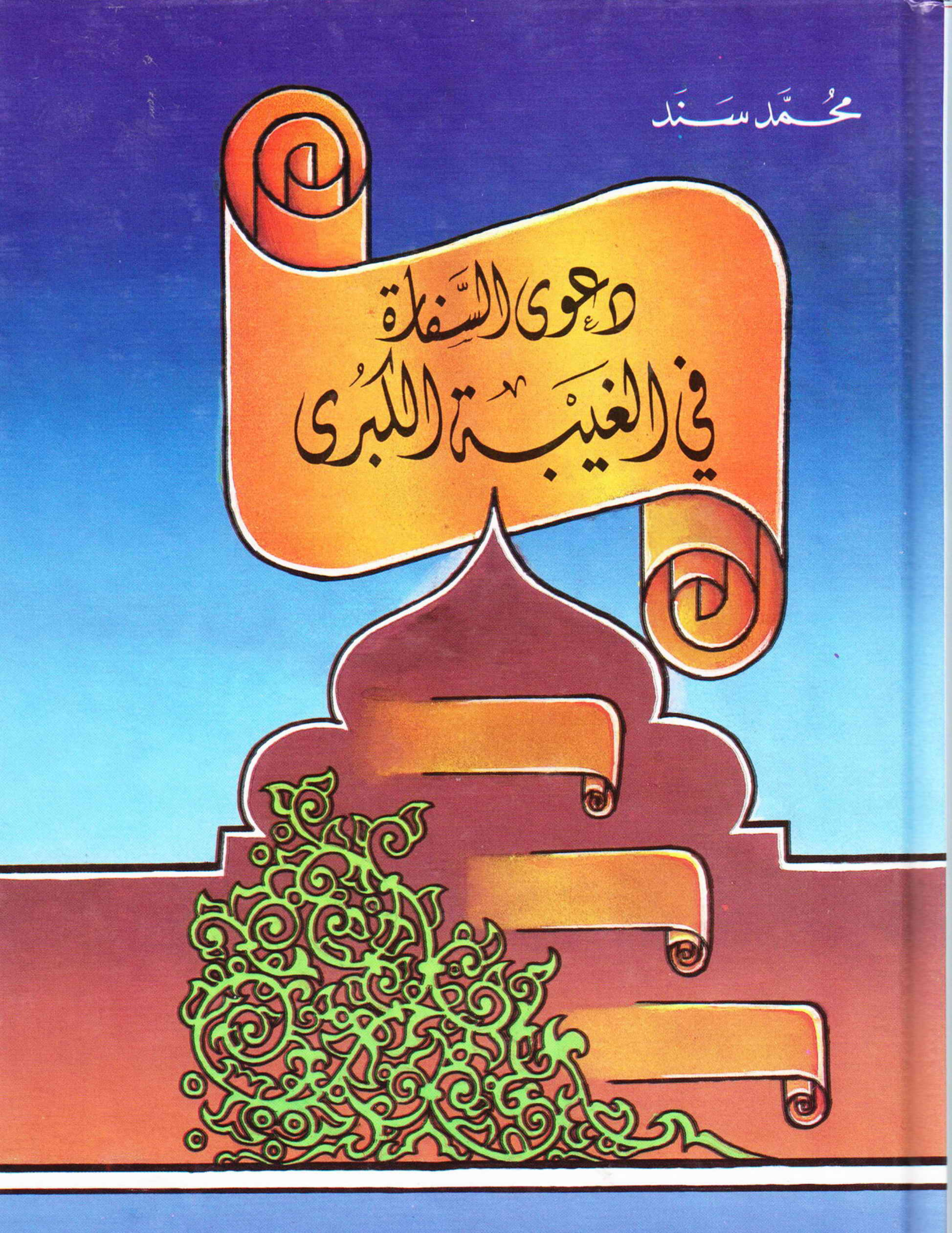

محمد سند
دعوى السفارة
في الغيبة الكبرى
مكتبة فخراوي



دعوى السفارة
في الغيبة الكبرى

دعوى السفارة في الغيبة الكبرى

تأليف

محمد سند

مكتبة فخراوي

جدحفص - البحرين

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

مكتبة فخراوي جدحفص - هاتف: ٢٧٧٦٤٤ - ص ب: ١٦٤٣ - المنامة

عنيت بطباعته

دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع .

هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥ - ٨٢٠٣٢٠ - ٨٣٤٢٦٥ - ص ب: ٢٥/١٦ - تلكس: ٢٢٥٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله الحجة البالغة ، والصلاة والسلام على محمد خاتم أنبيائه وسيد رسله الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وعلى آله الأوصياء الهداة وخاتمهم المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

وبعد فقد قال جلّ وعلىٰ ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتركُوْا أَنْ يَقُولُوا آمنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون** ﴾[1] « يفتنون كما يفتن الذهب ويخلصون كما يخلص الذهب »[2] كما قال الكاظم (ع) « ولا بد للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا وسيخرج من الغربال خلق كثير »[3] كما جاء عن الصادق (ع) .

وعن الباقر (ع) أنه قال : « لتمحصنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: (٢).

(٢) رواها في الكافي (ج ١، ص ٣٧٠، باب التمحيص والامتحان، ح ٥).

(٣) رواها في الكافي، ج ١، ص ٣٧٠، باب التمحيص والامتحان، ح ٢)، ولكن الموجود (ويستخرج) بدل (وسيخرج).

في العين وإن صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينه ولا يعلم متى يخرج منها وكذلك يصبح الرجل على شريعةٍ من أمرنا ويمسي وقد خرج منها ويمسي على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها » . وفي خبر آخر « والله لتمحصنّ حتى لا يبقى منكم إلا الأقل وإلا الأندر فالأندر ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم (وهو ظهور الحجة ، عج) حتى يشقى من شقى ويسعد من سعد »[1] .

وإنّ من تلك الفتن العمياء هي توالي المدعين للنيابة الخاصة (الوساطة) والسفارة في الغيبة الكبرى بأساليب وأشكال مختلفة وتسميات متعددة يموّهون بها على مختلف أصناف الناس . فتارة تحت غطاء التشرف والفوز بلقاء الحجة ، وأخرى التظاهر بالتقى والورع والوصول إلى مقام الابدال والأوتاد ، وثالثة الرؤيا في المنام ، ورابعة السحر والشعبذة وإظهاره كمعجزة وكرامة ، وخامسة المكاتبة و . . . و . . . .

ومن ثم انتظم البحث في هذه الصفحات بعداد تلك الشُبَه[2] ، تنبيهاً على زيفها وإبانة لزيغها وإلا فانقطاع السفارة في الغيبة الكبرى كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار ، حتى أن الشيخ أبا القاسم جعفر بن محمد بن قولويه[3] قال : « إنّ عندنا (أي الطائفة الإمامية) أن كل من أدعى الأمر (أي السفارة) بعد السمري[4] (آخر النواب الأربعة في الغيبة الصغرى) فهو كافر منمس (محتال) ضال مضل »[5] فلولا التلبيس بالأقنعة المتلونة والالتواء

---

(١) الغيبة للنعماني، باب التمحيص والامتحان.

(٢) الشُبَه، جمع شبهة وتجمع على شبهات أيضاً.

(٣) صاحب كتاب كامل الزيارات، وأستاذ الشيخ المفيد في الفقه، قال عنه النجاشي من ثقات أصحابنا وأجلائهم في الحديث والفقه، قرأ عليه شيخنا أبو عبد الله الفقه، كل ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه.

(٤) وربما أثبت البعض السيمري، أو الصيمري بالصاد؛ وهو أبو الحسن علي بن محمد السيمري، كما يأتي في الأمر السادس من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٥) الغيبة للشيخ الطوسي، (ص ٢٥٥).

بالطرق المعوجّة لما كانت حاجة للخوض في ذلك . ومنوال الكتاب كما يلي :

الفصل الأوّل : في الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة .

الفصل الثاني : في كون انقطاع النائب الخاص لـلإمام الحجـة (عج) عقيدة من ضروريات الإمامية الإثني عشرية ، وفيه عشرة أمور :

الأمر الأول : معنى النيابة .

الأمر الثاني : كلمات علماء الطائفة رضوان الله تعالى عليهم .

الأمر الثالث : النيابة العامة للفقهاء .

الأمر الرابع : منابع الشريعة .

الأمر الخامس : الرؤيا ليست مصدراً للتشريع .

الأمـر السـادس : نبـذة من أحـوال النـواب الأربعـة (رض) في الغيبـة الصغرى .

الأمر السابع : ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية[1] لعنهم الله .

الأمر الثامن : ثـواب الثبات والتمسـك بالـدين في الغيبة الكبـرى وشدة المحنة .

الأمر التاسع : تفسير الكتـاب الوارد من النـاحية المقـدسة على الشيـخ المفيد وتشرف عدة من أساطين الفقه والعلم بلقاءه (عج) .

---

(١) البابية: نسبة إلى الباب، وهم من كانوا يدّعون أنهم الباب إلى الحجة (عج) . بمعنى أن من يريد أمراً ما من الحجة، فلا بد أن يعود إليهم، وهم بدورهم يؤدون ذلك إلى الحجة حتى يبين الحق، وكل من ادّعى ذلك سوى السفراء الأربعة الذين كانوا في عصر الغيبة الصغرى، ادّعى باطلاً، كما سيأتي ذلك مفصلاً في الأمـر السابـع من الفصل الثاني .

الأمر العاشر : من هم الابدال والاوتاد ؟

الفصل الثالث : في الفرق التي انحرفت عن الطائفة الامامية وكيفية ذلك .

الفصل الرابع : في تاريخ البابية في إيران .

الخاتمة وفيها ثلاث أمور : الأمر الأول : في خروج الدجال .

الأمر الثاني : ظهور الحجة (ع) وأصحابه .

الأمر الثالث : في ذم الجهل ومدح العلم .

هذا ما وسع المجال لسطره وبالله التوفيق .

الفصل الأول

(في الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة)

لما كان طريق إثبات النبوة هي المعجزة التي هي من قبل الله تعالى وهي تفترق عن السحر كان من اللازم معرفة كل منهما بنحو عميق ودقيق كي لا يلتبس الأمر ويعلم المحق من المبطل والصادق من الكاذب ، سأل إبن السكيت ، الرضا (ع) بعد ما بين له علل ووجه معجزات الأنبياء ، فما الحجة على الخلق اليوم ؟ فقال (ع) : « العقل تعرف به الصادق على الله فتصدقه والكاذب على الله فتكذبه » فقال ابن السكيت : هذا والله الجواب[1] . وسأل أبو بصير ، الصادق (ع) : لأي علة أعطى الله عزّ وجلّ أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة ؟ فقال : « ليكون دليلاً على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلاّ أنبياءه ورسله وحججه ليُعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب »[2] .

قال المحقق الطوسي[3] في التجريد : « وطريق معرفة صدقه

(١ ـ ٢) البحار: (ج ١١، ص ٧٠)، نقلاً عن علل الشرائع، وعيون أخبار الرضا (ع) للصدوق.

(٣) المحقق نصير الدين الطوسي من أكابر علماء الإمامية وله خدمات كبيرة للمذهب وقد برع في علوم كثيرة كالفلسفة وعلم الكلام والفلك والهيئة والهندسة وغيرها، وقد بنى المرصد الفلكي المشهور بمراغة.

(النبي (ع)) ظهور المعجزة على يده وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى »[١] .

وقال العلامة الحلي[٢] في شرحه للتجريد في ذيل العبارة : « الثبوت والنفي سواء في الإعجاز فإنه لا فرق بين قلب العصا حية وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء ، وشرطنا خرق العادة لأن فعل المعتاد ونفيه لا يدل على الصادق ، وقلنا مع مطابقة الدعوى لأن من يدعي النبوة ويسند معجزته إلى إبراء الأعمي فيحصل له الصمم مع عدم برء الأعمى لا يكون صادقاً .

ولا بد في المعجزة من شروط أحدها : أن يعجز عن مثله أو عما يقاربه الأمة المبعوث إليها . الثاني : أن يكون من قبل الله تعالى أو بأمره . الثالث : أن يحدث عقيب دعوى المدّعي للنبوة أو جارياً مجرى ذلك ونعني بالجاري مجرى ذلك أن يظهر دعوة النبي في زمانه . . . .[٣] . الخامس : أن يكون خارقاً للعادة »[٤] .

وقال المحقق الطوسي في التجريد أيضاً : « المسألة الخامسة في الكرامات : وقصة مريم وغيرها تعطي جواز ظهورها على الصالحين »[٥] وقال العلامة الحلي في شرحه للعبارة : « إستدل المصنف (قده) بقصة مريم ، فإنها تدل على ظهور معجزات عليها وغيرها مثل قصة آصف وكالأخبار المتواترة

---

(١) تجريد الإعتقاد، نصير الدين الطوسي، (ص ٣٥٠)، طبعه جماعة المدرسين، ١٤٠٧ هـ.

(٢) العلامة الحلي هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر، شيخ الطائفة وعلامة وقته وصاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه، برع في العلوم العقلية والنقلية.

(٣) أي إلى أن قال. . . . . .

(٤) شرح تجريد الاعتقاد، العلاّمة الحلي، (ص ٣٥٠).

(٥) تجريد الإعتقاد، (ص ٣٥١).

المنقولة عن علي وغيره من الأئمة (ع) »[٦] .

وقال المحقق الطوسي بعد ذلك : « ولا يلزم خروجه عن الإعجاز ولا النفور ولا عدم التميز ولا إبطال دلالته ولا العمومية »[٧] .

وقال العلامة في شرحه : « إن المعجزة مع الدعوى مختص بالنبي (ص) فإذا ظهرت المعجزة على شخص فإما أن يدّعي النبوة أو لا فإن ادّعاها علمنا صدقه إذ إظهار المعجزة على يد الكاذب قبيح عقلاً ، وإن لم يدّع النبوة لم يحكم بنبوته ، فالحاصل أن المعجزة لا تدل على النبوة ابتداءً ، بل تدل على صدق الدعوى فإن تضمنت الدعوى النبوة دلت المعجزة على تصديق المدعي في دعواه ولا يلزم إظهار المعجزة على كل صادق إذ نحن إنما نجوز إظهارها على مدعي النبوة أو الصالح إكراماً لهما وتعظيماً وذلك لا يحصل لكل مخبر بصدق وإن امتياز النبي (ص) يحصل بالمعجزة وإقتران دعوى النبوة ، وهذا شيء يختص به دون غيره ولا يلزم مشاركة غيره له في المعجز مشاركته له في كل شيء ، وكما لا يلزم الاهانة وإنحطاط مرتبة الإعجاز مع ظهور المعجز على جماعة من الأنبياء كذا لا يلزم الاهانة مع ظهوره على الصالحين »[١] .

وقال المحقق القمي[٢] (قده) في رسالة أصول الدين : « الإمام يعرف بالمعجزة فكل من إدّعى الإمامة وأتى بالمعجزة فإنما تدل على صدقه مثل ما مضى في بعث النبوة »[٣] .

---

(١) شرح تجريد الاعتقاد، للعلاّمة الحلي . (ص ٣٥١).
(٢) المحقق الميرزا « أبو القاسم القمي (قده) » من كبار فقهاء الشيعة له كتاب (قوانين الأصول) في أصول الفقه و (جامع الشتات) و (غنائم الأيام) في الفقه وغير ذلك، واشتهر بالمحقق القمي .
(٣) المحقق القمي (قده) رسالة في أصول الدين.

وقال العلامة الحلي في كتاب أنوار الملكوت ما حاصله : « المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، والتقييد بخارق للعادة ليتميّز المعجز عن غيره ، وهذا القيد يُكتفى به عن التقييد بعدم المعارضة ليتميز به عن السحر والشعبذة إذ السحر والشعبذة ليس بخارق للعادة وإن كانت خفية على أكثر الناس . وقيدنا الخارق للعادة بالاقتران بالتحدي ليتميز المعجز عن الكرامات »[1] .

وقال الحكيم المتبجر محمد مهدي النراقي[2] في كتابه أنيس الموحدين : « كل من ادّعى النبوة أو الإمامة واقترنت دعوته بالمعجزة فهو نبي أو إمام ، وكل من لم يدّعِ شيئاً من النبوّة والإمامة وصدر منه أمر خارق فهو صاحب كرامة »[3] ثم قال : « والفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة هو أن السحر والشعبذة من الأمور العادية ، ولكن أسبابهما تخفى على أكثر الناس ، وهذا بخلاف المعجزة فهي ليست من الأمور العادية ولا يوجد لها سبب مطلقاً »[4] .

وتوضيح الكلام في هذا المقام ، أن الأمور العادية التي جرت عادةُ الله تعالى على وقوعها على قسمين :

(الأول) : ما سببه ظاهر وهو يحصل إمّا من أسبابٍ أرضية مثل تأثير بعض الأغذية والأدوية ، وصيرورة النطفة إنساناً ونحو ذلك من الأسباب الأرضية التي تتفق ، وإمّا تحصل من أسبابٍ سماوية مثل الحرارة الحاصلة من الشمس ، وإما تحصل من تركّب الأسباب مثل تأثير الدواء المتناول في جو هوائي خاص ، ومثل تأثير الدعاء المكتوب في وقت خاص ، أو الذي يقرأ في وقت خاص وهذه كلها من الأمور التي جرت عادة الله تعالى على وقوعها بأسبابٍ

---

(١) العلاّمة الحلي، أنوار الملكوت في شرح الياقوت، (ص ١٨٤).
(٢) هو العلامة الجامع للفنون والعلوم العقلية والنقلية ذو الفضائل الأخلاقية والملكات النورانية، صاحب كتاب (جامع السعادات).
(٣-٤) أنيس الموحدين، العلاّمة محمد مهدي النراقي.

متوفرة ومتهيئة لأكثر الناس .

(الثاني) : هي التي تحصل أيضاً إمّا من أسبابٍ أرضية أو سماوية أو كليهما ، ولكن أسبابها مخفية على أكثر الناس ، مثل السحر والشعبذة والطلسمات وعلم الحيل ، والنيرنجات ، وحيث أن لها أسباباً فالتعلّم والتعليم حاصل فيها ، أي أن كل من يعلم تلك العلوم يمكن له أن يعلّمها غيرَه ، بخلاف المعجزة ، التي لها سبب مطلقاً لأنه من المعلوم أن شق القمر ـ مثلاً ـ لم يقع بسبب وحيلة ما ، بل هو عطية إلهية يعطيها الله تبارك وتعالى لمن يشاء ، ومن ذلك لا يستطيع صاحب المعجزة أن يعلّمها غيرَه حيث إنه ليس لها علّة غير إرادة الله تعالى فالتعليم في المعجزة لا مجال له .

إذاً اتضح أن المعجزة خارقة للعادة .

وأما السحر والكهانة[1] والشعبذة فليست بخارقة للعادة بل هي أمور عادية أسبابها تخفى على أكثر الناس .

والفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة على من له غَرْفة من المعارف والعلوم في نهاية السهولة حيث إنه يتمكن من العلم بأن الأمر له سبب أم لا ، وأرباب السحر أسرع معرفة لذلك من بقية المتعلمين ، ولذلك أول من آمن بالنبي موسى (ع) هم السحرة . ولكن هذا الفرق يشكل على العوام (عامة الناس) الاهتداء إليه فعليهم بمتابعة العلماء كي يشرق نور الحقيقة في قلوبهم .

نعم هنالك فرق آخر بين صاحب المعجزة والساحر يمكن لعامة الناس

---

(١) الكهانة الأخبار عن المستقبل بتوسط الجن بعد انصياعهم للكاهن بسبب نمط من الأعمال وهي قريبة من السحر.

معرفته وهو أن صاحب المعجزة مهما طلب منه[1] أمر خارق للعادة للإحتجاج به فإنه قادر على إظهاره مثلما طلب جماعة من المعاندين من نبينا (ص) كثيراً من الأمور الخارقة للعادة فأظهرها لهم ، وكذلك بقية الأنبياء (عليهم السلام) .

وهذا بخلاف الساحر فإن عمله منحصر في فعل خاص قد تعلمه ، وإذا طلب منه أمر ـ خارق للعادة ـ آخر فإنه يعجز عن ذلك ومن ذلك لم يُرَ ولم يُسْمَع أن ساحراً كان يأتي بكل ما يطلب منه .

أقول فتحصل مما تقدم من كلمات الأعلام أن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بها من يدّعي النبوّة أو الإمامة إثباتاً لصدقه وأن معجزات الأنبياء تتحدى البشرية على مر العصور إلى يوم القيامة بأن يأتوا بمثلها ، فإخراج النبي صالح (ع) للناقة من الجبل بانشقاقه تعجز البشرية مهما تطورت علومُهم عن ذلك ، وكذلك قلب العصا حيّةً تسعى تلتقم سحرَ وإفكَ كل ساحرٍ من النبي موسى (ع) ، وكذلك إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأكمّه والأبرص من النبي عيسى (ع) ، وكذلك شق القمر والقرآن الخالد لنبينا الأعظم (ص) .

إذاً لا بد من إدعاء ، وأمر خارق للعادة ، كي يتحقق معنى المعجزة ومن هنا يتضح أن كرامات أولياء الله الصالحين لا تسمى معجزةً لأنهم لا يدّعون لأنفسهم شيئاً ، ولو إدّعوا ما ليس لهم لما أعطاهم الله تلك الكرامات ، وهذه السنة من الله تعالى حكمة بالغة كي لا تبطل حججه على عباده ويتم الاحتجاج عليهم ببعث الرسل وبإقامة الأوصياء خلفاء الرسل .

قال العلامة الطباطبائي[2] في تفسيره ـ عند الكلام حول قدرة الأنبياء

---

(١) هذا إذا لم يكن الطلب بداعي العناد واللجاج، بل لاستكشاف حقيقة الحال، كما كان يتفق ذلك مع النبي (ص) حينما كانت قريش تطلب منه بعض المعجزات.

(٢) هو العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (قده) (صاحب تفسير الميزان) من بيت العلم والفضل، له تاريخ طويل في خدمة الشريعة حيث أن أربعة عشر من أجداده كانوا من العلماء المبرزين، كان واحد هذا العصر في العلوم العقلية والتفسير.

والأولياء ـ : « الناس في جهل بمقام ربهم وغفلة عن معنى إحاطته وهيمنته فهم مع ما تهديهم الفطرة الانسانية إلى وجوده وأحديته يسوقهم الابتلاء بعالم المادة والطبيعة والتوغل في الأحكام والقوانين الطبيعية ثم السنن والنواميس الاجتماعية والأُنس بالكثرة والبينونة إلى قياس العالم الربوبي بما ألفوا من عالم المادة ، فالله سبحانه عندهم مع خلقه كجبار من جبابرة البشر مع عبيده ورعيته . . . . لكن البراهين اليقينية تقتضي بفساد ذلك كله فإنها تحكم بسريان الفقر والحاجة إلى الموجودات الممكنة في ذواتها وآثار ذواتها وإذا كانت الحاجة إليه تعالى في مقام الذات إستحال الإستقلال عنه والإنعزال منه على الإطلاق إذ لو فرض إستقلالٌ لشيء عنه تعالى في وجوده أو شيء من آثار وجوده ـ بأي وجه فرض في حدوث أو بقاء ـ إستغنى عنه من تلك الجهة وهو محال .

فكل ممكن غير مستقل في شيء من ذاته وآثار ذاته والله سبحانه هو الذي يستقل في ذاته وهو الغني الذي لا يفتقر في شيء ولا يفقد شيئاً من الوجود وكمال الوجود كالحياة والقدرة والعلم فلا حد له يتحدد به . . .

وعلى ما تقدم كل ما للممكن من الوجود والحياة والقدرة والعلم متعلق الوجود به تعالى غير مستقل منه بوجه والاستقلال يبطل الحاجة الامكانية ولا فرق فيه بين الكثير والقليل كما عرفت هذا من جهة العقل .

وأما من جهة النقل فالكتاب الإلهي وإن كان ناطقاً باختصاص بعض الصفات والأفعال به تعالى كالعلم بالمغيبات والإحياء والأمانة والخلق كما في كثير من الآيات ولكنها جميعها مفسرة بآيات أُخر كقوله ﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدَاً إِلَّا مَنْ إرْتَضَى مِن رَسُولٍ** ﴾[1] ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ** ﴾[2] ﴿ **وَإِذْ تُخلق مِنَ الطِينِ كَهَيْئَةِ الطَيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونَ طَيْراً بِإِذْنِي** ﴾[3]

---

(١) سورة الجن، الآية (٢٦).

(٢) سورة السجدة، الآية (١١).

(٣) سورة المائدة، الآية (١١٠).

وإنضمام الآيات إلى الآيات لا يدع شكّاً في أنّ المراد بالآيات النافية إختصاص هذه الأمور به تعالى بنحو الاصالة والاستقلال والمراد بالآيات المثبتة إمكان تحققها في غيره تعالى بنحو التبعية وعدم الاستقلال .

فمن أثبت شيئاً من العلم المكنون أو القدرة الغيبية أعني العلم من غير طريق الفكر والقدرة من غير مجراها العادي الطبيعي لغيره تعالى من أنبيائه وأوليائه كما وقع كثيراً في الأخبار والآثار ونفى معه الأصالة والاستقلال بأن يكون العلم والقدرة مثلاً له تعالى وإنما ظهر ما ظهر منه بالتوسيط ووقع ما وقع منه بإفاضته وجوده فلا حجر عليه ومن أثبت شيئاً من ذلك على نحو الأصالة والاستقلال طبق ما يثبته الفهم العامي وإن أسنده إلى الله سبحانه وفيض رحمته لم يخل من غلو وكان مشمولاً لمثل قوله تعالى ﴿ **لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى الله إلاَّ الْحَقَّ** ﴾[1] .

وقال (رحمة الله عليه) في تفسيره[2] في ذيل قوله تعالى ﴿ **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا آلشَيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانُ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِل هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانَ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُر** ﴾[3] إن الآية بسياقها تتعرض لشأن آخر من شئون اليهود وهو تداول السحر بينهم وأنهم كانوا يستندون في أصله إلى قصة معروفة أو قصتين . . . أن اليهود كما يذكره عنهم القرآن أهل تحريف وتغيير في المعارف والحقائق فلا يؤمنون ولا يُؤمن من أمرهم أن يأتوا بالقصص التاريخية محرّفة مغيّرة على ما هو دأبهم في المعارف يميلون كل حين إلى ما يناسبه من منافعهم في القول والفعل .

---

(١) سورة النساء، الآية (١٧١).
(٢) تفسير الميزان: (ج ١، ص ٢٣٤).
(٣) سورة البقرة، الآية (١٠٢).

وفيما يلوح من الآية أن اليهود كانوا يتناولون بينهم السحر وينسبـونه إلى سليمـان زعماً منهم أن سليمـان (ع) إنمـا ملك الملك وسخّـر الجن والإنس والوحش والطير وأتى بغرائب الأمور وخوارقهـا بالسحـر الذي هـو بعض ما في أيديهم وينسبون بعضه الآخر إلى الملكين ببابل هاروت وماروت .

فـردّ عليهم القرآن بـأن سليمـان (ع) لم يكن يعمـل بـالسحـر ، كيف والسحر كفر بالله وتصرف في الكون على خلاف ما وضع الله العادة عليه وأظهره على خيـال الموجـودات الحيّة وحـواسها ؟ ولم يكفـر سليمان (ع) وهـو نبي معصوم وهو قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَان وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ ٱلسِّحْـرَ** ﴾[1] وقولـه تعالى ﴿ **وَلَقَـدْ عَلِمُوا لَمَنْ إشْتَـرَاهُ مَا لَـهُ فِي ٱلآخِـرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ﴾[2] .

فسليمان (ع) أعلى كعباً وأقدس ساحة من أن ينسب إليه السّحر والكفر وقد إستعظم الله قدره في مواضع من كلامه في عدة من السورة المكية النـازلة قبل هذه السورة . . . . . إلى أن قال :

وفيها أنه كان عبداً صالحاً ونبياً مرسلاً آتاه الله العلم والحكمة ووهب له من الملك مـا لا ينبغي لأحد من بعـده فلم يكن بساحـر بـل هـو من القصص الخـرافية والأسـاطير التي وضعتهـا الشياطين وتَلُوهـا وقرؤهـا على أوليائهم من الإنس وكفروا بإضـلالهم الناس بتعليم السحـر ورد عليهم القرآن في الملكين ببابل هاروت وماروت بأنه وإن نـزل عليهما ذلـك ولا ضير في ذلـك لأنه فتنـة وامتحان إلهي كما ألهم قلوب بني آدم وجوه الشر والفساد فتنة وامتحاناً وهو من القـدر ، فهما وإن أنـزل عليهما السحـر إلا أنهما مـا كان يعلمـان من أحد إلا ويقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال ما تتعلمه من السحر في غير مورده

(١ ـ٢) سورة البقرة، الآية (١٠٢).

كإبطال السحر والكشف عن بغي أهله وهم مع ذلك يتعلمون منهما ما يفسدون به أصلح ما وضعه الله في الطبيعة والعادة . إلى أن قال : « لأن العقل لا يرتاب في أن السحر أشأم منابع الفساد في الاجتماع الانساني »[1] . . .

وفي تفسير العياشي والقمي في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِين عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾[2] عن الامام الباقر (ع) في حديث : « فلما هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا ثم دفنه تحت سريره ثم استثاره لهم فقرأه فقال الكافرون : ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا وقال المؤمنون : بل هو عبد الله ونبيّه ، فقال الله جلّ ذكره ﴿ وَٱتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . . . » .[3]

« وإسناد الوضع والكتابة والقراءة إلى إبليس لا ينافي استنادها إلى سائر الشياطين من الجن والإنس لانتهاء الشر كله إليه وانتشاره منه لعنه الله ، إلى أوليائه بالوحي والوسوسة وذلك شائع في لسان الأخبار »[4] .

ثم قال (قده) : تحت عنوان (بحث فلسفي) « من المعلوم وقوع أفعال خارقة للعادة الجارية للمشاهدة والنقل ، فقلما يوجد منا من لم يشاهد شيئاً من خوارق الأفعال أو لم ينقل إليه شيء من ذلك ـ قليل أو كثير ـ إلا أن البحث الدقيق في كثير منها يبين رجوعها إلى الأسباب الطبيعية العادية ، فكثير من هذه الأفعال الخارقة يتقوى بها أصحابها بالاعتياد والتمرين كأكل السموم وحمل الأثقال والمشي على حبل ممدود في الهواء إلى غير ذلك ، وكثير منها تتكي

---

(١) تفسير الميزان: (ج ١، ص ٢٣٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٠٢).

(٣) تفسير القمي: (ج ١، ص ٥٥)، وذلك نقلاً عن تفسير الميزان (ج ١، ص ٢٣٧). بحث روائي.

(٤) تفسير الميزان (ج ٢١، ص ٣٣٧).

على أسبابٍ طبيعية مخفية على الناس مجهولة لهم كمن يدخل النار ولا يحترق بها من جهةً طلاية الطلق ببدنه أو يكتب كتاباً لا خط عليه ولا يقرأه إلاَّ صاحبه وإنما كتب بمائع لا يظهر إلا إذا عرض لكتاب على النار إلى غير ذلك .

وكثير منها يحصل بحركات سريعة تخفى على الحس لسرعتها فلا يرى الحس إلا أنه وقع من غير سبب طبيعي كالخوارق التي يأتي بها أصحاب الشعبذة فهذه كلها مستندة إلى أسباب عادية مخفية على حسّنا أو غير مقدورة لنا ، لكن بعض هذه الخوارق لا يحلل إلى الأسباب الطبيعية الجارية على العادة كالإخبار عن بعض المغيبات ، وخاصة ما يقع منها في المستقبل وكأعمال الحب والبغض والعقد والحل والتنويم والتمريض وعقد النوم والإحضار والتحريكات بالارادة مما يقع من أرباب الرياضات وهي أمور غير قابلة للإنكار ، شاهدنا بعضاً منها ونقل إلينا بعض آخر نقلاً لا يطعن فيه ، وهو ذا يوجد اليوم من أصحابها بالهند وإيران والغرب جماعة يشاهد منهم أنواع من هذه الخوارق .

والتأمل التام في طرق الرياضات المعطية لهذه الخوارق والتجارب العملي في أعمالهم وإراداتهم يوجب القول بأنها مستندة إلى قوة الإرادة والإيمان بالتأثير على تشتت أنواعها ، فالإرادة تابعة للعلم والإذعان السابق عليه ، فربما توجد على إطلاقها وربما توجد عند وجود شرائط خاصة ككتابة شيء خاص بمداد خاص في مكان خاص في بعض أعمال الحب والبغض أو نصب المرآة حيال وجه طفل خاص عند إحضار الروح أو قراءة عوذة خاصة إلى غير ذلك فجميع ذلك شرائط لحصول الإرادة الفاعلة .

فالعلم إذا تم علماً قاطعاً أعطى للحواس مشاهدة ما قطع به ويمكنك أن تختبر صحة ذلك بأن تلقن نفسك أن شيئاً كذا أو شخصاً كذا حاضر عندك

تشاهده بحاستك ثم تتخيله بحيث لا تشك فيه ولا تلتفت إلى عدمه ولا إلى شيء غيره فإنك تجده أمامك على ما تريد وربما توجد في الآثار معالجة بعض الأطباء الأمراض المهلكة بتلقين الصحة على المريض ، وإذا كان الأمر على هذا فلو قويت الإرادة أمكنها أن تؤثر في غير الإنسان المريد نظير ما توجده في نفس الانسان المريد إما من غير شرط وقيد أو مع شيء من الشرائط .

ويتبين بما مر أمور : أحدها : أن الملاك في التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العادة وأما مطابقة هذا العلم للخارج فغير لازم كما كان يعتقده أصحاب تسخير الكواكب من الأرواح المتعلق بالأجرام الفلكية ويمكن أن يكون من هذا القبيل الملائكة والشياطين الذين يستخرج أصحاب الدعوات والعزائم أسماءهم ويدعون بها على طرق خاصة عندهم ، وكذلك ما يعتقده أصحاب إحضار الأرواح من حضور الروح فلا دليل لهم على أزيد من حضورها في خيالهم أو حواسهم دون الخارج وإلاّ لرآه كل من حضر عندهم وللكل حس طبيعي .

وبه تنحل شبهة أخرى في إحضار روح من هو حي في حال اليقظة مشغول بأمره من غير أن يشعر به والواحد من الانسان ليس له إلا روح واحدة وبه تنحل أيضاً شبهة وهي أن الروح جوهر مجرد لا نسبة له إلى زمان ومكان دون زمان ومكان وبه تنحل أيضاً شبهة أخرى ثالثة ، وهي أن الروح الواحدة ربما تحضر عند أحد بغير الصورة التي تحضر بها عند آخر وبه تنحل شبهة رابعة وهي أن الأرواح ربما تكذب عند الإحضار في أخبارها وربما يكذب بعضها بعضاً .
فالجواب عن الجميع : أن الروح إنما تحضر في مشاعر الشخص المحضر لا في الخارج منها على حد ما نحس بالأشياء المادية الطبيعية .

ثانيها : أن صاحب هذه الإرادة المؤثرة ربما يعتمد في إرادته على قوة نفسه وثبات أنيته كغالب أصحاب الرياضات في إراداتهم فتكون لا محالة

محدودة القوة مقيدة الأثر عند المريد وفي الخارج ، وربما يعتمد فيه على ربه كالأنبياء والأولياء من أصحاب العبودية لله وأرباب اليقين بالله فهم لا يريدون شيئاً إلا لربهم وبربهم وهذه إرادة ظاهرة لا استقلال للنفس التي تطلع هذه الإرادة منها بوجه ولم تتلون بشيء من ألوان الميول النفسانية ولا إتكاء لها إلا على الحق فهي إرادة ربانية غير محدودة ولا مقيدة والقسم الثاني أن أثرت في مقام التحدي كغالب ما ينقل من الأنبياء سميت آية معجزة وإن تحققت في غير مقام التحدي سميت كرامة أو استجابة دعوة إن كانت مع دعاء ، والقسم الأول إن كان بالاستخبار والاستنصار من جن أو روح أو نحوه سمي كهانة وإن كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك سمي سحراً .

ثالثها : إن الأمر حيث كان دائراً مدار الإرادة في قوتها وهي على مراتب من القوة والضعف أمكن أن يبطل بعضها أثر البعض كتقابل السحر والمعجزة أو أن لا يؤثر بعض النفوس في بعض إذا كانت مختلفة في مراتب القوة وهو مشهود في أعمال التنويم والإحضار »[1] .

ثم قال (قده) : تحت عنوان (بحث علمي) « العلوم الباحثة عن غرائب التأثير كثيرة والقول الكلي في تقسيمها وضبطها عسيرة جداً ، وأعرف ما هو متداول بين أهلها ما نذكره :

منها : السيمياء وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف في الأمور الطبيعية ومنه التصرف في الخيال المسمى بسحر العيون وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر ومنها الليمياء وهو العلم الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغير ذلك بتسخيرها أو باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم وهو فن التسخيرات .

---

(١) الميزان (ج ١ ، ص ٢٤٤) .

ومنها الهيمياء وهو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوي مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات فإن للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما أن العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك ، فلو ركبت الأشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث كموت فلان وحياة فلان وبقاء فلان مثلاً مع الصورة المادية المناسبة أنتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم .

ومنها الريمياء وهو العلم الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو الشعبذة وهذه الفنون الأربعة مع فن خامس يتلوها وهو الكيمياءالباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها إلى بعض كانت تسمى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية .

قال شيخنا البهائي : أحسن الكتب المصنفة التي في هذه الفنون كتاب رأيته ببلدة هرات اسمه (كله سر) وقد ركب اسمه من أوائل أسماء هذه العلوم الكيميا والليمياء والهيمياء والسيمياء والريمياء انتهى ملخص كلامه ومن الكتب المعتبرة فيها خلاصة كتب بليناس ورسائل الخسر وشاهي والذخيرة الاسكندرية والسر المكتوم للرازي والتسخيرات للسكاكي وأعمال الكواكب السبعة للحكيم طمطم الهندي .

ومن العلوم الملحقة بما مر علم الأعداد والأوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب في جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك على ترتيب مخصوص .

ومنها الخافية وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء وإستخراج أسماء الملائكة والشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب ومن الكتب المعتبرة فيها عندهم كتب الشيخ أبي العباس التوني والسيد حسين الاخلاطي وغيرهما .

ومن الفنون الملحقة بها الدائرة اليوم التنويم المغناطيسي وإحضار الأرواح وهما كما مرّ من تأثير الإرادة والتصرف في الخيال وقد ألّف فيها كتب ورسائل كثيرة واشتهار أمرها يغني عن الإشارة إليها ههنا والغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر أو الكهانة انتهى كلامه[1] .

أقول : والغرض من هذا التطويل في النقل التنبيه على مدى وكثرة العلوم الغريبة الباحثة حول الأفعال التي بظاهرها خارقة للعادة ولكنها في الحقيقة عادية لمن مارس وتعلم تلك العلوم أو تلك الرياضيات الباعثة على تقوية الإرادة وتأثيرها وأن لهذه الأفعال أسباب عادية ولكنها خفية على أكثر الناس فيتوهم الجاهل أنها معاجز أو كرامات لصاحب تلك الأفعال والأمور .

وفي هذا العصر قد خصصت الجامعات والمعاهد العلمية الحديثة كليات وتخصصات مرتبطة بهذه العلوم كالتنويم المغناطيسي وعلم التسخير وإحضار الأرواح والتنبّؤ والأخبار بالمغيبات المستقبلية الأرضية ونحو ذلك كثير من أراد الإطلاع فليراجع النشرات الدورية الصادرة من مختلف الجامعات الأكاديمية في البلدان المختلفة .

وفي الختام لهذا الفصل نتعرض لما قاله المحقق السيد الخوئي (دام بقاه) في الاعجاز وفرقه مع السحر والشعبذة ونحوها قال : « وهو في الإصطلاح أن يأتي المدّعي لمنصبٍ من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه »[1] .

أقول : ولا يخفى أن التعميم في التعريف لكل منصب إلهي اتقن مما تقدم من التعريفات حيث لا ينحصر إظهار الفعل الخارق بمدعى النبوة والإمامة

---

(١) البيان في تفسير القرآن ـ المدخل، (ص ٣٣).

بـل يعمّ النواب والسفـراء للإمـام المعصوم (ع) كمـا نصّ على ذلك الشيـخ المفيد[1] في أوائل المقالات قال « القول في ظهور المعجزات على المنصوبين من الخاصة والسفراء . . . » إلى أن قال :

أقول : « إن ذلك جائز لا يمنع منه عقل وسنة ولا كتاب »[2] انتهى كلامه رفع مقامه ونص على ذلك السيد المرتضى في كتاب الذخيرة في فصل عقـده لذلك بعد الفصول التي ذكرها في معجزات الأنبياء وسيأتي ذكر بعض مـا ظهر على أيديهم من الكرامات .

وقال السيد الخوئي (دام بقاه) تتمـة لما سبق : « وإنمـا يكون المعجـز شاهداً على صدق ذلك المدعي إذا أمكن أن يكون صادقاً في تلك الدعوى وأما إذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل أو بحكم النقل الثـابت عن نبي أو إمام معلوم العصمـة فلا يكـون ذلـك شـاهـداً على الصـدق ولا يسمى معجـزاً في الاصطلاح وإنِ عجز البشر عن أمثاله » .

مثال الأول : ما إذا ادّعى أحد أنه إله فإن هذه الدعوى يستحيل أن تكون صادقة بحكم العقل للبراهين الصحيحة الدالة على استحالة ذلك .

ومثـال الثاني : مـا إذا ادعى أحد النبـوة بعد نبي الإسـلام ، فـإن هـذه الدعوى كاذبة قطعاً بحكم العقل المقطوع بثبـوته الـوارد عن نبي الإسلام وعن خلفائه المعصومين بأن نبوّته خاتمة النبوّات وإذا كانت الدعوى بـاطلة قطعـاً ، فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدّعى ؟ ولا يجب على الله جلّ شأنه أن يبطل ذلك

---

(١) هو فخر الشيعة أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المتـوفي ٤١٣ هـ ق، ويعرف بابن المعلم أجلّ مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم وكل من تأخر عنه استفاد منه وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية أوثق أهل زمانه وأعلمهم انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته.

(٢) أوائل المقالات (ص ٨٠)، الطبعة الثانية.

بعد حكم العقل بإستحالة دعواه أو شهادة النقل ببطلانها »[1] .

أقول : تقييد دعوى صاحب الأمر أو الفعل الخارق للعادة بكون دعواه مما يحتمل صدقها عقلاً ونقلاً أي لا يقوم دليل عقلي أو نقلي قطعيين على كذبه قد يوهم أن الأمر الخارق للعادة ليس شاهداً قطعي على الصدق وبالتالي لا تكون المعجزة شاهداً على الصدق ، ولكن هذا الوهم فاسد فإن المراد أن قيام الدليل العقلي أو النقلي القطعي كاشف عن عدم كون هذا الأمر خارقاً للعادة ومن قبل الله عزّ وجل ودليل على كون هذا الأمر خارق للعادة صورةً وظاهراً لا واقعاً أي أنه مخفي سببه لا أنه يعجز عنه البشر أجمع بل من يطلع على سببه يتمكن من ذلك .

وقال (دام بقاه) : « وليست من الإعجاز المصطلح عليه ما يظهره الساحر والمشعوذ أو العالم ببعض العلوم النظرية الدقيقة وإن أتى بشيء يعجز عنه غيره ولا يجب على الله إبطاله إذا علم استناده في عمله إلى أمر طبيعي من سحرٍ أو شعبذة أو نحو ذلك ، وإن ادّعى ذلك الشخص منصباً إلهياً وقد أتى بذلك الفعل شاهداً على صدقه فإن العلوم النظرية الدقيقة لها قواعد معلومة عند أهلها وتلك القواعد لا بد من أن توصل إلى نتائجها وإن احتاجت إلى دقة في التطبيق وعلى هذا القياس تخرج غرائب علم الطب المنوطة بطبائع الأشياء وإن كانت خفية على عامة الناس بل وإن كانت خفية على الأطباء أنفسهم وليس من القبيح أن يختص الله أحداً من خلقه بمعرفة شيء من تلك الأشياء وإن كانت دقيقة وبعيدة عن متناول أيدي عامة الناس ولكن القبيح أن يغري الجاهل بجهله وأن يجري المعجز على يد الكاذب فيضل الناس عن طريق الهدى »[2] .

أقول : فبعد وضوح الموارد التي لا بد أن يبطلها الله تعالى والموارد التي

---

(١) البيان ـ المدخل (ص٣٣) .

(٢) البيان ـ المدخل (ص ٣٤) .

ليست كذلك فلا يتوقع ذو الذهن الساذج أن كل مورد يقصر ذهنه ولم يبطله الله تعالى فهو معجز بل عليه التحري بنفسه أو بتوسط ذوي الخبرة والإطلاع كما مر في كلام الحكيم النراقي (قده)[١] .

وتابع السيد الخوئي قائلاً : « تكليف عامة البشر واجب على الله سبحانه وهذا الحكم قطعي قد ثبت بالبراهين الصحيحة والأدلة العقلية الواضحة فإنهم محتاجون إلى التكليف في طريق تكاملهم وحصولهم على السعادة الكبرى والتجارة الرابحة فإذا لم يكلفهم الله سبحانه فإما أن يكون ذلك لعدم علمه بحاجتهم إلى التكليف وهذا جهل يتنزه عنه الحق تعالى وإما لأن الله أراد حجبهم عن الوصول إلى كمالاتهم وهذا بخل يستحيل على الجواد المطلق ، وإما لأنه أراد تكليفهم فلم يمكنه ذلك وهو عجز يمتنع على القادر المطلق وإذن فلا بد من تكليف البشر ومن الضروري أن التكليف يحتاج إلى مبلغ من نوع البشر يوقفهم على خفي التكليف وجليه : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بيّنة »[٢] .

ومن الضروري أيضاً أن السفارة الإلهية من المناصب العظيمة التي يكثر لها المدعون ويرغب في الحصول عليها الراغبون ونتيجة هذا أن يشتبه الصادق بالكاذب ويختلط المضل بالهادي .

وإذن فلا بد لمدعي السفارة أن يقيم شاهداً واضحاً يدل على صدقه في الدعوى وأمانته في التبليغ ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التي يمكن غيره أن يأتي بنظيرها فينحصر الطريق بما يخرق نواميس الطبيعة .

وإنما يكون الإعجاز دليلاً على صدق المدّعي لأن المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية الله تعالى وإقدار منه فلو

(١) في الصفحة (١٢) من هذا الكتاب.
(٢) البيان في تفسير القرآن، المدخل (ص ٣٥).

كان مدّعي النبوة كاذباً في دعواه كـان إقداره على المعجـز من قبل الله تعـالى إغراءاً بالجهل وإشارة بالباطل وذلك محال على الحكيم تعالى . . . . وقـد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في كتابه الكريم ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيل لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِين ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ** ﴾[1] .

(١) سورة الحاقة، الآيات (٤٤، ٤٥، ٤٦).



الفصل الثاني

في كون انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف عقيدة من ضروريات مذهب الإمامية الإثنى عشرية

ونذكر فيه أمور :

الأول :

(معنى النيابة لغة) ففي مجمع البحرين للطريحي : « ناب فلان عني قام مقامي وناب الوكيل عنّي في كذا ينوب نيابة فهو نائب »[١] ومثله في تاج العروس[٢] . ومن هنا عرّف الفقهاء الوكالة بالنيابة أو الاستنابة والغالب في استعمال النيابة هو فيما كان مورد النيابة محدود ومقيد أي أن النائب ينوب عن المنوب عنه في متعلق محدود معيّن وأما إذا كان المورد غير محدود وذو شؤون عديدة فذلك نحو من إعطاء الولاية من المنوب عنه إلى النائب فيقال ولّاه أو

(١) مجمع البحرين (ج٢، ص١٧٨)

(٢) تاج العروس (ج٤، ص٣١٥).

نصّبه والياً في كذا وإذا اتسعت الدائرة أكثر من ذلك فيقال استخلاف وقد جعل خليفة .

وعلى أية حال في موارد النيابة والوكالة المتعلق يكون محدود ومعين .

الثاني :

قال بعض الحكماء أنه لا يستدل على الضروري وإنما ينبّه عليه فما ظاهره استدلال إنما هو تنبيه إذ بمجرد التنبّه يحصل الالتفات إلى ضرورته ، وهكذا ما نحن فيه وهو انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة (عج) عند الإمامية فما نسطره من كلمات العلماء الأعلام ووجوه الطائفة الإثني عشرية إنما هو تنبيه على التسالم والضرورة عندهم .

وليعلم أن معنى النائب الخاص هو استنابة الإمام (ع) شخصاً بخصوصه في شيء معين كما في قول الإمام الحسن العسكري (ع) العمري (عثمان بن سعيد) وابنه (محمد) ثقتان فما أدّيا إليك عنّي فعني يؤديان وما قالا لك فعنى يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان » ومعنى النائب العام والمرجع الديني هو استنابة الإمام (ع) كل من توفرت فيه صفات معينة في أمر معين كما في قول الصادق (ع) « من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً » وهو تنصيب للفقهاء العارفين بالأحكام عن طريق روايات الأئمة (عليهم السلام) أن يقضوا بين الناس .

وكذلك قول الحجة المنتظر (عج) في رواية الطبرسي في كتابه الاحتجاج « فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة » وهو تنصيب للفقهاء العدول كمرجع ديني لبيان الأحكام

الشرعية وتعلم الشيعة ذلك منهم وسيأتي تفصيل ذلك .

ومجمله أن النيابة الخاصة في المقام هي استنابة الإمام (ع) شخصاً لإيصال أقواله وأوامره للشيعة وأخذ الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة ولذا أطلق لفظ السفير على النواب الأربعة وهم عثمان بن سعيد العمري ومحمد ابنه والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري في الغيبة الصغرى (٢٦٠ ـ ٣٢٩ هـ) ، حيث أن الأربعة كان عملهم كالوسيط بين الإمام (عج) والشيعة ويقرب من هذا المعنى استعمال لفظة السفير في يومنا هذا على ممثلي الدولة في البلدان المختلفة . ولذا يطلق على هذا النحو من النيابة السفارة .

وأما النيابة العامة فهي استنابة الإمام (ع) كل من وجدت فيه صفات كما مر لمنصب القضاء والإفتاء ونحو ذلك مما سيأتي بالأخذ والاستنباط من كتاب الله العزيز والروايات المأثورة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، أي لا بالأخذ المباشر منه (ع) لوقوع الغيبة الكبرى حتى يظهر ويخرج بإذن الله تعالى وذلك حين تقع علامات الظهور كالصيحة من السماء والخسف بالبيداء وخروج السفياني وقتل النفس الزكية بمكة .

ولنذكر كلمات العلماء الذين هم أمناء الأئمة (عليهم السلام) على الحلال والحرام والفرائض والسنن :

قال الشيخ أبا القاسم بن محمد بن قولويه ـ صاحب كتاب كامل الزيارات أستاذ الشيخ المفيد في الفقه والذي قال النجاشي فيه كلما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه ـ « إن عندنا (أي الطائفة الإمامية الشيعية) أن كل من ادعى الأمر (أي السفارة والباب) بعد السمري (آخر النواب الأربعة في الغيبة الصغرى) فهو كافر منمس (محتال) ضال مضل[1] .

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، (ص ٢٥٥).

قال الشيخ سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي ـ « الذي قال عنه النجاشي يكنى أبا القاسم جليل القدر واسع الأخبار شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها والذي تلمذ عليه وروى عنه والد الصدوق (علي بن بابويه) وشيخ الصدوق محمد بن الحسن بن الوليد ومحمد بن جعفر بن قولويه والد صاحب كامل الزيارات وغيرهم من مشاهير الطائفة » ـ في كتاب المقالات والفرق[1] :

فنحن متمسكون بإمامة الحسن بن علي (ع) مقرّون بوفاته موقنون مؤمنون بأن له خلفاً من صلبه متدينون بذلك وأنه الإمام من بعد أبيه الحسن بن علي وأنه في هذه الحالة مستتر خائف مغمور مأمور بذلك حتى يأذن الله عزّ وجل له فيظهر ويعلن أمره ، كظهور من مضى من آبائه إذ الأمر لله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويأمر بما يريد من ظهور وخفاء ونطق وصموت كما أمر رسوله (ص) في حال نبوّته بترك إظهار أمره والسكوت والإخفاء من أعدائه والاستتار وترك إظهار النبوّة التي هي أجلّ وأعظم وأشهر من الإمامة فلم يزل كذلك سنين إلى أن أمره بإعلان ذلك وعند الوقت الذي قدره تبارك وتعالى فصارع بأمره وأظهر الدعوة لقومه .

ثم بعد الإعلان بالرسالة وإقامة الدلائل المعجزة والبراهين الواضحة اللازمة بها الحجة وبعد . . . قريش وسائر الخلق من عرب وعجم وما لقي من الشدة ولقيه أصحاب من المؤمنين أمرهم بالهجرة إلى الحبشة وأقام هو مع قومه حتى توفّى أبو طالب فخاف على نفسه وبقية أصحابه فأمره الله عند ذلك بالهجرة إلى المدينة وأمره بالاختفاء في الغار والاستتار من العدو فاستتر أياماً خائفاً مطلوباً حتى أذن الله له وأمره بالخروج .

وكيف بالغريب الوحيد الشديد الطريد المطلوب الموتور بأبيه وجده هنا

(١) ص (١٠٢).

مع القول المشهور من أمير المؤمنين على المنبر « إن الله لا يخلي الأرض من حجة له على خلقه ظاهراً معروفاً أو خافياً مغموراً لكي لا يبطل حجته وبيناته » وبذلك جاءت الأخبار الصحيحة المشهورة عن الأئمة .

وليس على العباد أن يبحثوا عن أمور الله ويقفوا أثر ما لا علم لهم به ويطلبوا إظهاره فستره الله عليهم وغيّبه عنهم قال الله عزّ وجل لرسوله : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ فليس يجوز لمؤمن ولا مؤمنة طلب ما ستر الله ولا البحث عن اسمه وموضعه ولا السؤال عن أمره ومكانه حتى يؤمروا بذلك إذ هو (ع) غائب خائف مغمور مستور بستر الله من متبع لأمره عزّ وجلّ ولأمر آبائه .

بل البحث عن أمره وطلب مكانه والسؤال عن حاله وأمره محرّم لا يحل ولا يسع لأن في طلب ذلك وإظهاره ما ستره الله عنّا وكشفه وإعلان أمره والتنويه بإسمه معصية الله والعون على سفك دمه (ع) ودماء شيعته وانتهاك حرمته أعاذ الله من ذلك كل مؤمن ومؤمنة برحمته وفي ستر أمره والسكوت عن ذكره حقنها وصيانتها سلامة ديننا والانتهاء إلى أمر الله وأمر أئمتنا وطاعتهم وفّقنا الله وجميع المؤمنين لطاعته ومرضاته بمنّه ورأفته .

ولا يجوز لنا ولا لأحد من الخلق أن يختار إماماً برأيه ومعقوله واستدلاله وكيف يجوز هذا وقد حظّره الله جلّ وتعالى على رسله وأنبيائه وجميع خلقه فقال في كتابه إذا لم يجعل الاختيار إليهم في شيء من ذلك ﴿ **وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ وقال ﴿ **وَرَبّكَ يَخلِقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُم الخيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ وإنما اختيار الحجج والأئمة إلى الله عزّ وجلّ وإقامتهم إليه فهو يقيمهم ويختارهم ويخفيهم وإذا شاء يقيمهم فيظهرهم ويعلن أمرهم إذا أراد ويستره إذا شاء فلا يبديه لأنه تبارك وتعالى أعلم بتدبيره في خلقه وأعرف بمصلحتهم والإمام أعلم بأمور نفسه

وزمانه وحوادث أمور الله منّا ـ إلى أن قال ـ : « فهذه سبيل الإمامة وهذا المنهاج الواضح والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الإجماع من الشيعة الإمامية المهتدية رحمة الله عليها ، وعلى ذلك كان إجماعنا إلى يـوم مضى الحسن بن علي رضوان الله عليه » .

وقال أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي المتكلم الفيلسوف من أكابر الطائفة وعظماء سلالة بنو النوبخت في كتابه فرق الشيعة[1] « فنحن مستسلمون بالماضي (العسكري) وإمامته مقرّون بوفاته معترفون بأن له خلفاً قائماً من صلبه وأن خلفه هو الإمام من بعده حتى يظهر ويعلن أمره كما ظهر وعلن أمر من مضى قبله من آبائه ـ إلى أن قال ـ « وبه جاءت الأخبار الصحيحة عن الأئمة الماضين لأنه ليس للعباد أن يبحثـوا عن أمور الله ويقفـوا بلا علم ويـطلبوا آثـار ما ستـر عنهم . . . » وقد رويت أخبار كثيرة أن القائم تخفى عن الناس ولادته ويخمل ذكره ولا يعرف ـ إلى أن قال ـ « فهذا سبيل الامامة والمنهاج الواضح الأحـب الذي لم تزل الشيعة الإمامية الصحيحة التشيّع عليه » . .

وقال الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد في باب ذكر القائم وتـاريخ مـولده ودلائل إمامته « وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده وبدولته مستفيضاً قبل غيبته وهو صاحب السيف من أئمة الهدى (عليهم السلام) والقائم بالحق المنتظر لدولـة الإيمان وله قبل قيامـه غيبتان إحـداهما أطـول من الأخرى كمـا جاءت بـذلك الأخبار » .

فأما القصري منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعتـه وعدم السفراء بالوفاة .

وأما الطولي فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف قال الله عـز وجل

---

(١) ص (١٠٩).

﴿ ونـريد أن نمنّ على الـذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمـة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ وقال جلّ اسمه **﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكـر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾** وقال رسول الله (ص) « لن تنقضي الأيام والليـالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » .

وقال قدّس سرّه في الرسائل الخمس التي ألّفهـا في الغيبة في الـرسالـة الثـانية « فـإن قال إذا كـان الإمام عنـدكم غائبـاً ومكانـه مجهولاً فكيف يصنـع المسترشد وعلى ماذا يعتمدون الممتحن فيمـا ينزل بـه من حادث لا يعـرف له حكماً وإلى من يرجع المتنازعون لا سيما والإمام إنما نصب لما وصفناه قيل له هذا السؤال مستأنف لا نسبة له بما تقدم وصلة بينه وبينه وقد مضى السؤال الأول في معنى الخبر وفرض المعرفة .

وجوابه على انتظام ونحن نجب عن هذا المستأنف بموجز لا يخل بمعنى التمام وبالله التوفيق فنقول إنمـا الامام نصب لأشيـاء كثيرة أحـدها الفصـل بين المختلفين » .

الثـاني بيان الحكم للمستـرشدين ولم ينصب لهـذين دون غيـرهمـا من مصالح الدنيا والدين غير أنه إنما يجب عليه القيام فيما نصّب له مع التمكن من ذلك والاختيار وليس يجب عليـه شيء لا يستطيعـه ولا يلزمه فعـل الإيثار مـع الاضـطرار ولم يؤت الإمام في التقيّـة من قِبَل الله عـزّ وجلّ ولا من جهـة نفسه وأوليائه المؤمنين وإنما أتى ذلك من قبل الظالمين الذين أباحوا دمه ونفـوا نسبه وأنكروا حقّه وحمّلوا الجمهور على عداوته ومناصبة القائلين بإمامته وكانت البلية فيما تضيع من الأحكام وتتعطل من الحدود ويفوت من الصلاح متعلقة بالظالمين وإمام الأنام بريء منها وجميع المؤمنين .

وأما الممتحن بحادث يحتاج إلى علم الحكم فيه فقد وجب عليه أن يرجع ذلك إلى العلماء من شيعة الإمام وليعلم ذلك من جهتهم مما استودعوه من أئمة الهدى المتقدمين وإن عدم ذلك والعياذ بالله ولم يكن فيه حكم منصوص على حال فيعلم أنه على حكم العقل لأنه لو أراد الله أن يتعبد فيه بحكم سمعي لفعل ذلك ولو فعله لسهل السبيل إليه .

وكذلك القول في المتنازعين يجب عليهم رد ما اختلفوا فيه إلى الكتاب والسنّة عن رسول الله (ص) من جهة خلفائه الراشدين من عترته الطاهرين ويستغنوا في معرفة ذلك بعلماء الشيعة وفقهائهم وإن كان والعياذ بالله لم يوجد فيما اختلفوا فيه نص على حكم سمعي فليعلم أن ذلك مما كان في العقول مثل أن من غصب إنساناً شيئاً فعليه ردّه بعينه إن كانت عينه قائمة فإن لم تكن عينه قائمة كان عليه تعويضه بمثله وإن لم يوجد له مثل كان له أن يرضي خصمه بما تزول معه ظلامته فإن لم يستطع ذلك أو لم يفعله مختاراً كان في ذمّته إلى يوم القيامة فإن كان جان جنى على غيره جناية لا يمكن تلافيها كانت في ذمته وكان المجنى عليه ممتحناً بالصبر إلى أن ينصفه الله تعالى يوم الحساب فإن كان الحادث مما لا يعلم بالسمع إباحته من حظره فإنه على الإباحة إلا أن يقوم دليل سمعي على حظره .

وهذا الذي وصفناه إنما جاز للمكلف الاعتماد عليه والرجوع إليه عند الضرورة بفقد الإمام المرشد ولو كان الإمام حاضراً ما وسعه غير الرد والعمل على قوله وهذا قول خصومنا كافة أن على الناس في نوازلهم بعد النبي (ص) أن يجتهدوا فيها عند فقدهم النص عليها ولا يجوز لهم الاجتهاد واستعمال الرأي بحضرة النبي (ص) فإن قال « فإذا كانت عبادتكم تتمّ بما وصفتموه مع غيبة الإمام فقد استغنيتم عن الإمام » قيل له « كما ظننت في ذلك لأن الحاجة إلى الشيء وقد تكون قائمة مع فقد ما يسدها ولولا ذلك ما كان الفقير محتاجاً إلى المال مع فقده ولا المريض محتاجاً إلى الدواء وإن بعد وجوده والجاهل محتاجاً

إلى العلم وإن عدم الطريق إليه والمتحير محتاجاً إلى الدليل وإن لم يظفر به » .

ولو لزمنا ما ادعيتموه وتوهمتموه للزم جميع المسلمين أن يقولوا أن الناس كانوا في غيبة النبي (ص) للهجرة وفي الغار مستغنين عنه وكذلك حالهم في وقت استتاره بشعب أبي طالب (ع) وكان قوم موسى (ع) أغنياء عنه في حال غيبته عنهم لميقات ربه وكذلك أصحاب يونس (ع) أغنياء عنه كما ذهب مغضباً والتقمه الحوت وهو مليم وهذا مما لا يذهب إليه مسلم ولا ملي فيعلم بذلك بطلان ما ظنّه الخصوم وتوهّموه على الظنّة والرجوم وبالله التوفيق » .

وقال طيّب الله رمسه في الرسالة الرابعة في الغيبة « المهدي الذي يظهر الله به الحق ويبيد بسيفه الضلال وكان المعلوم أنه لا يقوم بالسيف إلا مع وجود الأنصار واجتماع الحفدة والأعوان ولم يكن أنصاره (ع) عند وجوده متهيئن إلى هذا الوقت موجودين ولا على نصرته مجمعين ولا كان في الأرض من شيعته طرّاً من يصلح للجهاد وإن كان يصلحون لنقل الأثار وحفظ الأحكام والدعاء له بحصول التمكن من ذلك إلى الله عزّ وجلّ لزمته التقية ووجوب فرضها عليه كما فرضت على آبائه (عليهم السلام) لأنه لو ظهر بغير أعوان لألقى نفسه بيده إلى التهلكة ولو أبدى شخصه للأعداء لم يألوا جهداً في إيقاع الضرر به واستيصال شيعته وإراقة دمائهم على الاستحلال فيكون ذلك أعظم للفساد في الدين والدنيا » .

وقال الشيخ الصدوق[1] رضوان الله تعالى عليه في كتابه إكمال الدين وتمام النعمة في الباب الثاني والأربعون ما روي في ميلاد القائم (ع) بسنده

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشتهر بالصدوق أحد أعلام الإمامية الاثني عشرية في القرن الرابع ولد بدعاء الصاحب (عج) وصدر فيه من ناحيته المقدسة بأنه (فقيه خير مبارك)، وأما والده علي بن بابويه فأشهر من أن يعرف وكان وكيلاً للأئمة عليهم السلام في قم.

إلى غياث بن أسيد قال : ولد الخلف المهدي (ع) يوم الجمعة ، وأمه ريحانة ويقال لها : نرجس ، ويقال لها : صقيل ، ويقال : سوسن إلا أنه قيل لسبب الحمل صقيل وكان مولده (ع) لثمان خلوان من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين ووكيله عثمان بن سعيد فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنهم قال فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال : لله أمر هو بالغه ، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمري رضي الله عنه » .

وقال رفع الله درجته في أعلى عليين في الكتاب المزبور في الباب الخامس والأربعون في ذكر التوقيعات « حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد المكتب[1] قال : كنت بمدينة السلام في السنة التي توفى فيها الشيخ علي بن محمد السمري ـ قدّس الله روحه ـ فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا علي بن محمد السمري ، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جوراً » .

وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال « فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيّك من بعدك ؟ فقال : لله أمر هو بالغه ، ومضى رضي الله عنه فهذا آخر كلام سمع منه » .

---

(١) من مشائخ الصدوق، ترحّم عليه في كتابه كمال الدين.

وقال عطّر الله مرقده في مقدمة كتابه المزبور « إن الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا : أني لما قضيت وطري من زيارة علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه رجعت إلى نيسابور وأقمت بها فوجدت أكثر المختلفين إلي من الشيعة قد حيرتهم الغيبة ودخلت عليهم في أمر القائم (ع) الشبهة وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقاييس فجعلت أبذل مجهودي في إرشادهم إلى الحق وردّهم إلى الصواب بالأخبار الوارد في ذلك عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم » .

وقال الشيخ الطوسي[1] في كتاب الغيبة « ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمري بعد الشيخ أبي القاسم الحسين ابن روح رضي الله عنه وانقطاع الاعلام به وهم الأبواب أخبرني جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (قال) قال حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق عن الحسن بن علي بن زكريا بمدينة السلام قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن خليلان قال حدثني أبي عن جده عتاب ـ من ولد عتاب بن أسيد ـ (قال) ولد الخلف المهدي صلوات الله عليه يوم الجمعة وأمه ريحانة ويقال لها نرجس ويقال صقيل ويقال لها سوسن إلا أنه قيل بسبب الحمل صقيل .

وكان مولده لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين ووكيله عثمان ابن سعيد فلما مات عثمان بن سعيد أوصى إلى أبي جعفر محمد بن عثمان رحمه الله وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين ابن روح رضي الله عنه وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنه

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي نسبة إلى طوس من مدن خراسان شيخ الطائفة الامامية صاحب التصانيف في أكثر العلوم والفنون والتي تعد أصلاً في بابها وهو مؤسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف تلمذ على الشيخ المفيد والسيد الشريف المرتضى ، توفى ٤٦٠ هـ.ق.

فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال (لله أمر هو بالغه) فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمري رضي الله عنه .

(وأخبرني) محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) والحسين بن عبيد الله (الغضائري)[1] عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الصفواني[2] قال أوصى الشيخ أبو القاسم رضي الله عنه إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنه فقام بما كان إلى أبي القاسم لما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه فلم يظهر شيئاً من ذلك وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصى إلى أحد بعده في هذا الشأن .

(وأخبرني) جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه قال حدثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقاني رحمه الله في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد قال حضرت بغداد عند المشايخ رحمهم الله فقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري (قده) ابتداء منه : « رحم الله علي بن الحسين بن بابويه القمي » قال فكتب المشايخ تأريخ ذلك اليوم فورد الخبر أنه توفي في ذلك اليوم ومضى أبو الحسن السمري ـ رضي الله عنه ـ بعد ذلك في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

(وأخبرنا) جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه

---

(١) جليل القدر، أستاذ الشيخ الطوسي والشيخ النجاشي، صاحب الرجال. قال الأول فيه: «كثير السماع عارف بالرجال». وله تصانيف ذكرناها في الفهرست وقال الثاني فيه: «شيخنا رحمه الله له كتب ثم ذكر كتبه».

(٢) قال عنه النجاشي: «شيخ الطائفة ثقة فقيه فاضل»، وهو محمد بن أحمد كما في مشيخة التهذيب والاستبصار وفي كتب الرجال، ويروي عنه المفيد والغضائري.

قال حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب[1] قال كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري ـ قدس سره ـ فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته :

(بسم الله الرحمن الرحيم : يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة إلا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) (قال) فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له : من وصِيّك من بعدك ؟ فقال (لله أمر هو بالغه) وقضى ، فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه .

(وأخبرني) الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس بن نوح عن أبي نصر هبة الله ابن محمد الكاتب أن قبر أبي الحسن السمري ـ رضي الله عنه ـ في الشارع المعروف بشارع الخلنجي من ربع باب المحول قريب من شاطىء نهر أبي عتاب[2] وذكر أنه مات رضي الله عنه في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة » انتهى كلام الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) .

وقال الشيخ الأجل ابن أبي زينب محمد بن ابراهيم النعماني من أعلام القرن الرابع والتلميذ الخصيص بالشيخ الكليني صاحب كتاب الكافي قال في كتابه الغيبة في فصول ما روي في غيبة الامام المنتظر (ع) « هذه الروايات التي قد جاءت متواترة تشهد بصحة الغيبة وباختفاء العلم والمراد بالعلم الحجة

---

(١) تقدم أنه من مشائخ الصدوق وأنه ترحم عليه في كتابه إكمال الدين.

(٢) وفي يومنا هذا قبره معروف في بغداد، وكذلك بقية النواب الأربعة.

للعالم وهي مشتملة على أمر الأئمة (عليهم السلام) للشيعة بأن يكـونوا فيهـا على ما كانـوا عليه ولا يـزولون ولا ينتقلون بـل يثبتون ولا يتحـولون ويكـونون متوقعين لما وعدوا به وهم معذورون في أن لا يروا حجّتهم وإمام زمانهم في أيام الغيبة ويضيق عليهم في كل عصر وزمان قبله أن لا يعرفوه بعينه واسمه ونسبـه ومحظور عليهم الفحص والكشف عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الإشادة بذكره فضلاً عن المطالبة بمعاينته وقال لنا : أياكم والتنويـه وكونوا على ما أنتم عليه وإياكم والشك .

فـأهل الجهـل الذين لا علم لهم بمـا أتى عن الصادقين (ع) من هـذه الروايات الواردة للغيبة وصاحبها يطالبون بـالإرشاد إلى شخصـه والدلالـة على موضعه ويقتـرحون إظهـاره لهم وينكرون غيبتـه لأنهم بمعزل عن العلم وأهـل المعرفة مسلمون لما أمروا به ممتثلون له صابرون على ما ندبوا إلى الصبر عليه وقد أوقفهم العلم والفقه مواقف الرضا عن الله والتصديق لأوليـاء الله والامتثال والانتهــاء عمـا نهــوا عنـه حــذرون مـا حــذر الله في كتـابــه من مخـالفــة رسول الله (ص) والأئمة الذين هم في وجوب الطاعة بمنزلته لقوله ، فليحـذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم عـذاب أليم ولقولـه ﴿ **أطيعوا الله وأطيعـوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ ولقوله ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسـول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾ .

وفي قـوله في الحـديث الرابـع من هذا الفصـل ، ـ حديث عبـد الله بن سنان ـ كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيهـا إمام هـدى ولا علماً يـرى » دلالـة على ما جـرى وشهـادة بمـا حـدث من أمـر السفـراء الـذين كـانـوا بين الامام (ع) وبين الشيعة من ارتفـاع أعيانهم وانقـطاع نظامهم لأن السفيـر بين الامام في حال غيبته وبين شيعته هو العلم فلما تمت المحنة على الخلق ارتفعت الأعـلام ولا ترى حتى يـظهر صـاحب الحق (ع) ووقعت الحيرة التي ذكـرت وآذننا بها أولياء الله . وصح أمر الغيبة الثانية التي يأتي شرحها وتأويلها فيما يأتي

من الأحاديث بعد هذا الفصل نسأل الله أن يزيدنا بصيرة وهدى ويوفقنا لما يرضيه برحمته »[1] .

ثم إنه قدس الله لطيفه روى في الفصل اللاحق عدة أحاديث في أن للقائم (عج) غيبتين نذكر نبذة منها قال بعد ذكر سنده إلى إبراهيم بن عمر اليماني قال سمعت أبا جعفر (الباقر) (ع) يقول « أن لصاحب هذا الأمر غيبتين » وسمعته يقول « لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة » .

وروى بسنده إلى أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله (الصادق) (ع) كان أبو جعفر (ع) يقول لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى فقال : نعم ولا يكون ذلك حتى يختلف سيف بني فلان وتضيق الحلقة ويظهر السيفاني ويشتد البلاء ويشمل الناس موت وقتل يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله (ص) .

وروى بسنده إلى المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول « إن لصاحب هذا الأمر غيبتين يرجع في إحداهما إلى أهله والأخرى يقال هلك في أي واد سلك قلت كيف نصنع إذا كان ذلك ؟ قال : أن ادعى مدع فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله » .

ثم قال الشيخ النعماني[2] هذه الأحاديث التي يذكر فيها أن للقائم (ع) غيبتين أحاديث قد صحّت عندنا بحمد الله وأوضح الله قول الأئمة (عليهم السلام) وأظهر برهان صدقهم فيها فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام (ع) وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم غوامض العلم وعويص الحكم

---

(١) الغيبة للنعماني (ص ١٦١).
(٢) المصدر السابق (ص ١٧٣).

والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى والتدبير الذي يمضيه في الخلق ولوقوع التمحيص والامتحان والبلبلة والغربلة والتصفية على من يدعي هذا الأمر كما قال الله تعالى عزّ وجلّ ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب** ﴾ وهذا زمان قد حضر جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق وممن لا يخرج في غربال الفتنة فهذا معنى قولنا « له غيبتان » ونحن في الأخيرة نسأل الله أن يقرب فرج أوليائه منها ويجعلنا في حيز خيره وجملة التابعين لصفوته » .

وروى (قده) بسنده في الباب الرابع عشر في العلامات التي تكون قبل قيامه (ع) بسنده عن أبي عبد الله (ع) أنه قال « لا يقوم القائم حتى يقوم اثنا عشر رجلاً كلهم يجمع على قول أنهم قد رأوه فيكذبهم » .

وقال الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري[1] الشهيد في سنة ٥٠٨ هـ ق في كتابه روضة الواعظين « وروى أنه ولد يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومئتين قبل وفاة أبيه بسنتين وسبعة أشهر والأول هو المعتمد (أي سنة خمس وخمسين) وبابه عثمان بن سعيد فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال أن الله بالغ أمره وقد انتظر (ع) لدولة الحق » .

وقال الشيخ أمين الإسلام[2] أبي علي الفضل بن الحسن

---

(١) وهو أستاذ صاحب معالم العلماء الحافظ محمد بن علي بن شهر آشوب السروي.

(٢) هو صاحب (مجمع البيان) كتاب التفسير المعروف، وهو من أعلام القرن السادس في علماء الطائفة.

الطبرسي قدس الله سره في كتابه أعلام الورى بأعلام الهدي عند ذكره الدلائل على إمامة الإمام الثاني عشر (عج) في البـاب الثالث وبعـد ذكره لـرواية أبي بصير التي تقدم ذكـرها وفيهـا الأخبار بـالغيبتين قال « فـانظر كيف قـد حصلت الغيبتان لصاحب الأمر على حسب ما تضمنت الأخبار السابقة لوجوده عن آبائه وجدوده .

أما غيبته الصغرى منهما فهي التي كانت فيها سفـراؤه موجـودين وأبوابـه معروفين لا تختلف الامامية القائلون بإمامـة الحسن بن علي فيهم فمنهم(١) أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري ومحمد بن علي بن بلال وأبو عمرو عثمان بن سعيـد السمان (العمـري) وابنه أبـو جعفر محمـد بن عثمان وعمـر الاهوازي وأحمد بن إسحاق وأبو محمد الوجناني وإبراهيم بن مهزيار ومحمد بن إبراهيم في جماعة أخرى ربما يأتي ذكرهم عند الحاجة إليهم في الرواية عنهم .

وكانت مدة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري باباً لأبيه وجدّه(٢) من قبل وثقه لهما ثم تـولى الباقيـة من قبله وظهرت المعجزات على يده ولما مضى لسبيله قام ابنه أبو محمد مقامه رحمهما الله بنصّه عليه ، ومضى على منهاج أبيه في آخر جمادى الأخرة من سنـة أربع أو خمس وثلاثمائة وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت بنص أبي جعفر محمد بن عثمان عليه وأقامـه مقام نفسـه ومات في شعبـان سنة ست وعشـرين وثلاثمائة وقام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري بنص أبي القاسم عليه

---

(١) هؤلاء الجماعة فيهم الوكلاء المباشرين وهم السفراء الأربعة والأخرين وكلاء بالواسطة أي بواسطة الأربعة، وهذا الذي ذكره الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة قال: «وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل» ثم ذكر عدة كثيرة منهم ومعناه أن الوكلاء بالواسطة كانوا كثيرين تصلهم التوقيعات عبر النواب الأربعة الذين هم وكلاء بالمباشرة.

(٢) أي لأبي الامام الثاني عشر وجدّه.

وتوفى لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرون وثلاثمائة » .

ثم ذكر رواية أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب التي سبق ذكرها والتي فيها وقوع الغيبة التامة وانقطاع السفراء وكذب من يدعي المشاهدة أي السفارة والنيابة حتى يظهر بعلامات الصيحة وخروج السفياني ثم قال « ثم حصلت الغيبة الطولى التي نحن في أزمانها والفرج يكون في آخرها بمشيئة الله تعالى »[1] .

وقال رحمه الله في الباب الخامس في حل الشبهات في غيبته (ع) « فإن قالوا الحق مع غيبة الإمام كيف يدرك ؟ فإن قلتم : لا يدرك ولا يوصل إليه فقد جعلتم الناس في حيرة وضلال مع الغيبة وإن قلتم يدرك الحق من جهة الأدلة المنصوص بها عليه فقد صرحتم بالاستغناء عن الإمام بهذه الأدلة وهذا يخالف مذهبكم . الجواب : إن الحق على ضربين عقلي وسمعي فالعقلي يدرك ولا يؤثر فيه وجود الإمام ولا فقده والسمعي عليه أدلة منصوبة من أقوال النبي (ص) ونصوصه وأقوال الأئمة الصادقين (عليهم السلام) قد بيّنوا ذلك وأوضحوه غير أن ذلك وإن كان على ما قلناه فالحاجة إلى الإمام مع ذلك ثابتة لأن جهة الحاجة مستمرة في كل عصر وعلى كل حال هي كونه لطفاً لنا في الفعل الواجب العقلي من الإنصاف والعدل واجتناب الظلم والبغي وهذا مما لا يقوم غيره مقامه فيه » .

وقال الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي وهو من الأعلام في القرن الخامس في كتاب الاحتجاج « وأما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة فأولهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري نصّبه أولاً أبو الحسن علي بن محمد العسكري ثم ابنه أبو محمد الحسن فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما (عليهما السلام) ثم بعد

---

(١) وقد ذكر صاحب كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة العلّامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى الأربلي (رحمه الله) عين ما ذكره الطبرسي بألفاظه.

ذلك قام بأمر صاحب الزمان (ع) وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه .

فلما مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب منابه في جميع ذلك فلما مضى هو قام أبو القاسم حسين بن روح من بني نوبخت فلما مضى هو قام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري .

ولم يقم أحد منهم بذلك إلا بنص عليه من قبل صاحب الأمر (ع) ونصب صاحبه الذي تقدم عليه ولم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدل على صدق مقالتهم وصحة بابيتهم فلما حان سفر أبي الحسن السمري من الدنيا وقرب أجله قيل له إلى من توصي ؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسخته . . . » .

ثم ذكر التوقيع الذي مر ذكره[1] .

وقال العلامة الحلي (قده) في كتاب الرجال في ترجمة محمد بن عثمان العمري « يكنى أبا جعفر وأبوه أبا عمرو جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان (ع) ولهما منزلة عظيمة جليلة عند الطائفة ـ إلى أن قال ـ وقال عند موته : « أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم بن روح وأوصي إليه وأوصي أبو القاسم بن روح إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال : لله أمر هو بالغه والغيبة الثانية هي التي وقعت بعد السمري »[2] .

وذكر ابن داود الحلي في كتاب الرجال عين ذلك بألفاظه في الترجمة المذكورة .

---

(١) الإحتجاج : ج ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٢) رجال العلّامة ، ص ١٤٨ ، الرقم : ٥٧ .

وقال الخواجه نصير الدين الطوسي في كتاب تجريد الاعتقاد في المقصد الخامس في الإمامة : « المسئلة الأولى في أن نصب الإمام واجب على الله تعالى . و . . . وانحصار اللطف فيه معلوم للعقلاء ووجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا »[1] وشرح العلامة الحلي (قده) العبارة بقوله : « لطف الامامة يتم بأمور منها ما يجب على الله تعالى وهو خلق الامام وتمكينه بالتصرف والعلم والنص عليه باسمه ونسبه وهذا قد فعله الله تعالى ومنها ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله لها وهذا قد فعله الإمام ومنها ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله وهذا لم يفعله الرعية فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام »[2] .

وقال العلامة المجلسي رفع الله درجته في شرح كتاب ا لكافي في ذيل الأحاديث المتعرضة لوقوع الغيبتين قال « وأعلم أنه كان له (ع) غيبتان أولهما : الصغرى ، وهي زمان وفاة أبي محمد العسكري (ع) وهو لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومأتين إلى وقت وفاة رابع السفراء أبي الحسن علي ابن محمد السمري وهو النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فتكون قريباً من سبعين .

والعجب من الشيخ الطبرسي والسيد ابن طاووس أنهما وافقا في التاريخ الأول وقالا في وفاة السمري توفي سنة ثمان وعشرون وثلاثمائة ومع ذلك ذكرا أن مدة الغيبة الصغرى أربع وسبعون سنة ولعلهما عدا ابتداء الغيبة من ولادته (ع) .

وأما سفراؤه (ع) فأولهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري فلما توفي رضي الله عنه نص على ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان فقام مقامه وهو

---

(١) تجريد الاعتقاد: ص ٣٦٢، طبعة جماعة المدرسين، سنة ١٤٠٧ هـ.
(٢) شرح التجريد، العلاّمة الحلي: ص ٣٦٣، طبعة جماعة المدرسين.

الثاني من السفراء وتوفي رضي الله عنه سنة أربع وثلاثمائة وقيل خمس وثلاثمائة وكان يتولى هـذا الأمر نحـو من خمسين سنة فلمـا دنت وفاتـه أقام أبـا القاسم الحسين بن روح النوبختي مقامه وتوفى أبو القاسم قدس الله روحه في شعبـان سنة ستة وعشرين وثلاثمائة فلما دنت وفاته نص على أبي الحسن علي بن محمد السمري فلما حضرت السمري رضي الله عنه الوفاة سئل أن يوصي فقال لله أمر هو بالغه ومات روّح الله روحه في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة كل ذلك ذكره الشيخ[1] رحمه الله » .

وقال الفيض الكاشاني[2] في كتابه علم اليقين « وكان الخبر بغيبته ثـابتاً قبـل وجـوده وبـدولتـه مستفيضـاً قبـل غيبتـه وهـو صـاحب السيف من أئمـة الهدى (عليهم السلام) والقـائم الحق المنتظر لـدولة الإيمـان وله قبـل قيامـه غيبتان أحدهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار فأما القصـرى فمنذ وقت ولادتـه إلى انقطاع السفـارة بينه وبين شيعتـه وعدم السفـراء بالـوفاة وأمـا الطولى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف » وقـال روح الله وكان مـولده صلوات الله عليه لثمان ليال خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومأتين ووكيله عثمـان بن سعيد رضي الله عنـه فلما مـات عثمان أوصى إلى ابنـه أبي جعفـر محمد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنهم فلما حضـرت

---

(١) ويعني به الشيخ الطوسي (قده) وقد سميت تلك السنة بسنة تناثر النجوم تـارة وبسنة تهافتت فيها الكواكب كما ذكر ذلك الشيخ الطوسي في رجاله في تـرجمة الصـدوق الأب (علي بن الحسين)، وذكر ذلك النجاشي في رجاله في ترجمته وسبب التسمية هو كثرة من مات فيها من أعلام الطائفة كالنائب الرابع والصدوق الأب والكليني.

(٢) هو الشيخ محمد بن المرتضى المدعو بالمولي محسن الكاشاني صاحب التآليف الكثيرة منها كتاب الوافي الشهير، ومفاتيح الشرائع وغيرها، وهو شيخ الإجـازة في الحديث «لعدد كبير من علماء الطائفة وهو من أعلام القرن الحادي عشر».

السمري رضي الله عنه الوفاة سئل أن يوصي فقال : لله أمر هو بالغه ، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمري رضي الله عنه » .

وقال السيد عبد الله الشبر[1] في كتابه حق اليقين في معرفة أصول الدين في المقصد الثالث من أحوال الغائب المستتر (عج) « في بعض معجزاته وأحوال سفرائه قال الطبرسي (قده) في الإحتجاج أما الأبواب المرضيون . . . » وذكر كل ما تقدم ذكره عن الطبرسي في كتاب الاحتجاج .

ومن وضوح انقطاع السفارة وانقطاع النائب المباشر المتصل بالحجة (عج) أخذ علماء العامة بالتشنيع على الشيعة بأنكم تستدلون على ضرورة وجود المعصوم لهداية الانام ولتدبير الأمور وإقامة العدل والقسط فكيف تناقضون ذلك بالالتزام بالغيبة والاستتار والانقطاع ولكن علماء الامامية لم يتركوا لهذه الأوهام مجالاً وأخذوا بالجواب عنها وقد تقدم طرفاً من ذلك في الكلمات التي نقلناها وأن الحرمان من ظهور المعصوم وتصرفه وتدبيره سببه راجع إلى الرعية والمكلفين من الخذلان وعدم الوقوف إلى جانب الحق والعدل وأنه حين يكتمل نصاب الأنصار والأعوان يكتب الله تعالى فرجه الشريف .

ومن شاء مراجعة هذه السجالات بين علماء الفريقين فليسرح النظر في ما ألفه علماء الإمامية من الكتب بإسم الغيبة أو التي تبحث عن حياة الحجة (ع) ، وكل ذلك مما ينبه على كون انقطاع النائب الخاص والسفير من ضروريات المذهب حتى عرفه علماء أهل السنة ولنذكر بعض كلماتهم وعلى القارىء مراجعة البقية في مظانّها إن شاء الاطلاع عليها .

---

(١) هو السيد العلامة عبد الله بن السيد محمد رضا صاحب المؤلفات منها جامع الأحكام في الأخبار وهو قرابة ٢٠ مجلداً وغيرها مما يقارب ٧٠ كتاباً وهو من أعلام القرن الثالث عشر.

قال الشهرستاني[1] في كتاب الملل والنحل « ومن العجب ! أنهم قالوا الغيبة قد امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة وصاحبنا قال إن خرج القائم وقد طعن في الأربعين فليس بصاحبكم ولسنا ندري كيف تنقضي مائتان ونيف وخمسون سنة في أربعين سنة وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف تتصور ؟ قالوا : أليس الخضر والياس (عليهما السلام) يعيشان في الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب فلم لا يجوز ذلك في واحد من آل البيت ؟ قيل لهم ومع اختلافكم هذا كيف يصح لكم دعوى الغيبة ؟ ثم الخضر (ع) ليس مكلّفاً بضمان الجماعة والإمام عندكم ضامن مكلّف بالهداية والعدل والجماعة مكلّفون بالاقتداء به والاستنان بسنّته ومن لا يرى كيف يقتدى به ؟ » انتهى كلامه .

ولا يخفى تخبّطه وتحريفه في النقل كعادته في كتابه إذ قول الشيعة عن أئمتهم (عليهم السلام) أن القائم (ع) حين يظهر يكون في سن الشيوخ وشاب المنظر حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة فلا يصيبه الهرم بمرور الليالي والأيام وليس ذلك من قدرة الله تعالى ببعيد .

وأما الجواب عن إشكاله الآخر فقد تقدم وقد ذكرت في الروايات فوائد وجوده وانتفاع الناس منه في غيبته منها أن قلوب المؤمنين مثبتة به فهم بها عاملون وأنه كالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب وأن المعصوم (ع) أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء وبه يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبه ينزل الغيث وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض ولولا وجوده على الأرض لساخت بأهلها ولولاه لم يعبد الله .

---

(١) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، توفي سنة ٥٤٨ هـ وهو شافعي الفروع وأشعري الأصول.

وقال الخواجه كلان[1] في كتابه ينابيع المودة (ص ٤٢٧) عن كتاب المحجة فيما نزل في القائم الحجة في قوله تعالى ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون** ﴾ عن ثابت الثمالي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) قال : فينا نزلت هذه الآية وجعل الله الإمامة في عقب الحسين إلى يوم القيامة وأن للقائم منّا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا من قوى يقينه وصحّت معرفته » انتهى كلامه .

وقد عرفت سابقاً أن الغيبة الصغرى إشارة إلى مدة النواب الأربعة والكبرى إلى الغيبة التامة وانقطاع النواب والسفراء .

وقال علاء الدين المشهور بالمتقي الهندي[2] في كتاب البرهان في علامات مهدي آخر الزمان في الباب الثاني عشر عن أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) قال : لصاحب هذا الأمر يعني المهدي (ع) غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم ذهب الحديث » انتهى كلامه .

ومضمون هذه الرواية موجود في الروايات التي وردت بطرقنا ومن الواضح أن قول البعض المشار إليه في الرواية بأنه (ع) مات أو ذهب أو في أي واد سلك أو هلك كما في الروايات الأخرى لا يكون إلا بعد انقطاع النائب الخاص والسفير للحجة (ع) وشدة الامتحان بالغيبة التامة .

أقول : هذا غيض من فيض من كلمات علماء الإمامية وتركنا الأكثر مخافة

---

(١) هو الشيخ سليمان بن الشيخ ابراهيم المعروف بخواجه كلان الحسيني البلخي القندوري المتوفى سنة ١٢٩٤هـ من علماء أهل السنّة.

(٢) هو صاحب كتاب كنز العمال علاء الدين علي بن حسام، نزيل مكة المشرفة، المتوفى سنة ٩٧٥ هـ.

التطويل والملال وكلها على كون انقطاع النيابة الخاصة من معتقدات المذهب وضرورياته .

الامر الثالث :

قد عرفت انقطاع النيابة الخاصة والسفارة ولكن ليس ذلك يعني بقاء المؤمنين والمكلفين همج رعاء بل قد نصّب الأئمة (عليهم السلام) وإمام زماننا (عج) لهم من يرجعون إليه في كل ما ينزل بهم من الحوادث والوقائع وفي تعلم الأحكام الشرعية وفصل الخصومات واستيفاء الحقوق وغيرها من حاجاتهم الدينية .

وهو الفقيه الجامع لشرائط معينة كالعلم بالأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة وهي الروايات المعتبرة المأثورة عن المعصومين عليهم الصلاة والسلام ، وكالعدالة والتقوى وغيرها من الشروط .

فقد قال الصادق (ع) « من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله »[١] .

وقال (ع) « اجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حلالنا وحرامنا فإني قد جعلته عليكم قاضياً وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر »[٢] .

وروى الشيخ الصدوق في كتاب إكمال الدين وتمام النعمة عن محمد بن محمد بن عصام عن محمد بن يعقوب (الشيخ الكليني) عن إسحاق بن يعقوب

(١) كما في كتاب الكافي للشيخ الكليني (قده) (ج ١، ص ٦٧ و ج ٧، ص ٤١٢) وكتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ج ٣، ص ٥) وكتاب التهذيب للشيخ الطوسي (ج ٦، ص ٣٠١) وكتاب الاحتجاج للطبرسي (ص ١٩٤).
(٢) كتاب التهذيب للطوسي (ج ٦، ص ٣٠٣).

قال : « سألت محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني في الغيبة الصغرى) أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع) : أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك ـ إلى أن قال ـ وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله وأما محمد ابن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه كتابي » .

وروى هذا الحديث الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن جماعة عن جعفر ابن محمد بن قولويه (صاحب كتاب كامل الزيارات وأستاذ الشيخ المفيد الذي قال المفيد عنه أفقه أهل زمانه) وأبو غالب الزراري (من أحفاد زرارة بن أعين ومن شيوخ الطائفة الأجلّاء) وغيرهم كلهم عن محمد بن يعقوب (الشيخ الكليني) ورواه أيضاً الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج .

وروى الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن الحجة (عج) « فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم فإن من ركب من القبايح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة » .

وروى الكشي[1] في كتاب الرجال بسنده عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله (الصادق) (ع) قال : « قال رسول الله (ص) يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد » .

وروى بسنده إلى أحمد بن ماهويه قال : « كتبت إليه يعني ـ أبا الحسن الثالث ـ (الهادي) (ع) ، أسأله عمن آخذ معالم ديني وكتب أخوه أيضاً بذلك

---

(١) رجال الكشي، حديث ٥، باب شرطة الخميس.

فكتب إليهما : فهمت ما ذكرتما فاصمدا في دينكما على كل مسن في حبّنا وكل كثير القدم في أمرنا فإنهما كافوكما إنشاء الله تعالى » .

وروى الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال : « فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عز وجل ﴿ **فمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا** ﴾ فقال ﴿ **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها** ﴾ أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة والقرى الظاهرة الرسل[1] والنقلة عنا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا وقوله تعالى ﴿ **وقدرنا فيها السير** ﴾ فالسير مثل للعلم سير به ليالي وأياماً مثل لما يسير من العلم في الليالي والأيام عنّا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام آمنين فيها إذا أخذوا منه آمنين من الشك والضلال والنقلة من الحرام إلى الحلال لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إياه عنهم بالمعرفة « الحديث » .

وروى البرقي في كتاب المحاسن عن أبيه عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران الحلبي عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير[2] قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) : « أرأيت الراد على هذا الأمر كالراد عليكم » فقال : « يا أبا محمد من رد عليك هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله (ص) » .

هذا مع أن بيان الأحكام الشرعية وجوبه على الفقيه كان منذ صدر الشريعة قال تعالى ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[3] فأوجب على الطائفة

---

(١) الاحتجاج (ج ٢، ص ٦٣).

(٢) وسند الرواية كله من وجهاء الرواة وأجلاءهم الفقهاء ولا تخفى منزلة أبي بصير ليث المرادي في الوثاقة والفقاهة، وهو أحد الفقهاء الأربعة اللذين قال عنهم الصادق (ع) «أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست».

(٣) سورة التوبة، الآية (١٢٣).

المتفقهة في الدين الإنذار كما أوجب على غيرهم من عامة الناس قبول قولهم في بيان الأحكام الشرعية وهو يستفاد من الآية الشريفة حيث أن حذر الناس بعد الإنذار مطلوب وراجح بدلالة الآية ولا يترتب الحذر إلا عند وجوب قبول ما أنذروا به .

ولهذا كانت طوائف تلو الأخرى تنهال على الرسول (ص) ثم على الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من بعده للتفقه ومعرفة الفرائض والسنن والآداب وأركان العقيدة والإيمان .

لم تذهب الطوائف وتنشر وتبين ذلك لعامة الناس وهذا مما يقتضيه طبيعة النظام البشري حيث أنه ليس من النظام البشري حيث أنه ليس من الممكن عادة أن ينهال كل المكلفين والناس بأجمعهم على الرسول (ص) وعلى المعصومين (عليهم السلام) بالسؤال عن معالم دينهم فهذا الممشى والسلوك عند العقلاء دأبوا عليه وأقره الشرع المقدس في نشر الأحكام .

وقد روى عبد المؤمن الأنصاري عن أبي عبد الله (الصادق) (ع) : «قول الله عز وجل : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يرجعون** ﴾ فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (ص) فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم الحديث »[1] .

وروى النجاشي في كتابه الرجال عن الباقر (ع) أنه قال لأبان بن تغلب وهو أحد الفقهاء من تلامذته « اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك » .

وسأل عبد العزيز بن المهتدي الرضا (ع) قال قلت : « لا أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم ديني أفيونس بن عبد الرحمن ثقة

(١) معاني الأخبار (ص ١٥٧) وسائل الشيعة، أبواب صفات القاضي (ب ١١، ح ١٠).

آخذ منه ما أحتاج إليه من معالم ديني ؟ فقال : نعم »[1] وكذلك سأل علي بن المسيب الهمداني قال : قلت للرضا (ع) : « شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني ؟ قال : من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا »[2] .

وسأل عبد الله بن أبي يعفور قال : قلت لأبي عبد الله (الصادق) (ع) : « أنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه » فقال : « ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فإنه سمع من أبي وكان عنده وجيهاً »[3] .

وسأل شعيب العقرقوفي قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : « ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل ؟ قال : عليك بالأسدي يعني أبا بصير (ع) » والأخبار المشتمله على إرجاع الناس إلى تلامذتهم (عليهم السلام) كثيرة ومن هنا حث الأئمة المعصومين (عليهم السلام) على التفقّه في الدين وحفظ الروايات المأثورة عنهم وبينوا فضل ذلك .

فقد روى الصدوق قال : « قال علي (ع) قال رسول الله (ص) : اللهم ارحم خلفائي ـ ثلاثاً ـ قيل : يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي » .

وروى الكشي عن جميل بن دراج قال : « سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : بشّر المخبتين بالجنة : بريد بن معاوية العجلي وأبو بصير ليث ابن البختري المرادي ومحمد بن مسلم وزرارة أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ولولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست » .

وروي عن أبي بصير أن أبا عبد الله (الصادق) (ع) قال له في حديث :

(١ ـ ٢ ـ ٣) كتاب وسائل الشيعة (ج ١٨ ، أبواب صفات القاضي ، ب ١١ ، ح ٣٣ و ٢٧).

« لولا زرارة ونظراؤه لظنن أن أحاديث أبي (ع) ستذهب » .

وفي رواية أخرى عن الصادق (ع) « قال : أحب الناس إلي أحياءً وأمواتاً أربعةٌ يُريد بن معاوية العجلي وزرارة ومحمد بن مسلم والأحول وهم أحب الناس إليّ أحياءً وأمواتاً » وهؤلاء الأربعة كانوا من أفقه أصحابه وأصحاب الباقر (ع) . وروى سليمان بن خالد عن الصادق (ع) أنه قال : « ما أجد أحداً أحيى ذكرنا وأحاديث أبي (ع) إلا زرارة وأبو بصير ليث المرادي ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا ، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي (ع) على حلال الله وحرامه وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة » .

وروى جميل بن دراج عن الصادق (ع) أنه ذكر أقواماً وقال « كان أبي (ع) ائتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة[1] علمه ، وكذلك اليوم هم عندي مستودع سري وأصحاب أبي حقاً إذا أراد الله بأهل الأرض سوء صرف بهم عنهم السوء ، هم نجوم شيعتي أحياءً وأمواتاً هم الذين أحيوا ذكر أبي (ع) ، بهم يكشف الله كل بدعة ، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين ثم بكى ؟ فقلت : من هم ؟ فقال : من عليهم صلوات الله وعليهم رحمته أحياءً وأمواتاً : بريد العجلي وأبو بصير وزرارة ومحمد بن مسلم » .

وعن الصادق (ع) قال : « اعرفوا منازل الرجال منّا على قدر رواياتهم عنّا » .

وعنه (ع) قال : « قال رسول الله (ص) : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، إلا أن الله يحب بغاة العلم » .

---

(١) أي صندوق وخِزانة علمه.

وعنه (ع) قال : « عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً[1] فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملاً » .

وقال (ع) : « لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا » .

وقال (ع) : « أن العلماء ورثة الأنبياء وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه ، فإن فينا أهل البيت في كل عدو لا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وقال (ع) : « إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدين ، ومن علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً » .

وقال (ع) : « احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها » وقال للمفضل بن عمرة : « اكتب وبث علمك في إخوانك فإن متّ فأورث كتبك بنيك فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون إلا بكتبهم » .

والأحاديث في هذا المجال كثيرة جداً لا يسع المقام ذكرها .

والسرّ في هذا الحث الشديد هو أن الفقهاء حصون الإسلام يدفعون عنه بدع الباطل وردعاته وكذب المفترين كما تقدم في الروايات .

وقال الكاظم (ع) : « إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله وثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور

---

(١) أي أهل البادية الجاهلين بأحكام الدين.

المدينة لها » .

وقال الصادق (ع) : « ما من أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من موت فقيه » .

وقال (ع) : «إن أبي كان يقول : إن الله عز وجل لا يقبض العلم بعد ما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفاة[1] فيضلون ويضلون ولا خير في شيء ليس له أصل .

الأمر الرابع :

إن منابع الشريعة هما الكتاب العزيز والسنة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول (ص) وأقوال الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وأفعالهم وتقريرهم وقال الكاظم (ع) لهشام بن الحكم في الوصية المعروفة « يا هشام إن لله على الناس حجّتين : حجّة ظاهرة وحجّة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ، وأما الباطنة فالعقول » .

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان « حجة الله على العباد النبي والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل » .

وفي حديث طويل للصادق (ع) حيث بيّن فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوّتها وعمارتها وبه عرف الله وصفاته الكمالية وبه عرفت الكمالات قيل له : فهل يكفي العباد بالعقل دون غيره ؟ قال : « إن العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية فلم يجد عقله يدله على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه فوجب

---

(١) أي أهل النفوس الغليظة والقلوب القاسية التي ليست قابلة لاكتساب العلم والكمال.

على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلا به » (الكافي كتاب العقل والجهل) .

وقد روى السنّة والشيعة بالطرق المستفيضة المتواترة حديث الثقلين عن رسول الله (ص) أنه قال : « إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردّا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

وقد رواه عن النبي (ص) أكثر من ثلاثين صحابياً وما لا يقل عن مئتين عالم من كبار علماء السنة بألفاظ مختلفة في كتبهم[1] فضلاً عن الشيعة .

وروى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار عن الباقر (ع) قال : خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بالكوفة بعد منصرفه من النهروان وبلغه أن معاوية يسبّه ويلعنه ويقتل أصحابه ، فبعد حمد الله والثناء عليه .

قال (ع) : « يا أيها الناس أنه بلغني ما بلغني وأني أرَ أني قد اقترب أجلي وكأني بكم وقد جهلتم أمري وأني تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتي وهي عترة الهادي إلى النجاة خاتم الأنبياء وسيد النجباء والنبي

(١) راجع صحيح مسلم (ج ٤، ص ١١٠)، ومسند أحمد (ج ٥، ص ١٨١ وج٤، ص ٣٦٦) وفيض القدير للمناوي (ج ٣، ص ١٤) والصواعق لابن حجر (ص ١٣٦) والزمخشري في المناقب (ص ٢١٣) مخطوط، والحمويني في الفرائد وجمال الدين الحنفي في درر بحر المناقب (ص ١١٦) مخطوط والحافظ محمد بن أبي الفوارس في الأربعين (ص ١٤) مخطوط، كما في إحقاق الحق (ج ٤، ص ٢٨٨، وج٩، ص ١٩٨) والخوارزمي في مقتل الحسين (ص ٥٩) والشيخ سليمان في ينابيع المودة (ص ٨٢).

المصطفى (معاني الأخبار ، ٥٨) .

وقال الصادق (ع) : « الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا أنزل في القرآن إلا وقد أنزله الله فيه » .

وقال (ع) يقول : « ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدار فما كان من الطريق فهو من الطريق وما كان من الدار فهو من الدار حتى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة » .

وقال : « ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنّة » .

وقال زين العابدين (ع) : « إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنّة وإن قلّ » .

وقال الباقر (ع) : « كل من تعدّى السنّة ردّ إلى السنّة » .

وقال الصادق (ع) : « من خالف كتاب الله وسنّة محمد (ص) فقد كفر » .

وعن الباقر (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال : « قال رسول الله (ص) : لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنّة » .

وقال (ع) : « من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة » ، أي من تدين وعمل بحكم بغير المأثور من المعصوم جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفزع الأكبر في تيه مع كونه ذلك اليوم في أشد الحاجة إلى الأمان والقرار أو أن التيه كناية عن الضلال وعاقبة السوء .

وفي الرسالة المشهورة للإمام الصادق (ع) إلى أصحابه والتي أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم

فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها والتي رواها الكليني (قده) في كتاب الروضة من الكافي بطرق معتبرة نذكر موضع منها مما يهم الكلام في المقام .

قال (ع) : « أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله أتم لكم مـا آتاكم من الخير واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقائيس قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقائيس أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصّهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم وهم الذين من سألهم ـ وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم ـ أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بـإذنه وإلى جميع سبل الحق » .

وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عنـدهم إلا من سبق عليـه في علم الله الشقـاء في أصـل الخلق تحت الأظلة[1] فأولئك الـذين يرغبـون عن سؤال أهل الـذكر والـذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم وأولئك الذين يـأخذون بـأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم حتى دخلهم الشيطان لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الأمر حراماً وجعلوا ما حـرّم الله في كثير من الأمـر حلالاً فذلك أصل ثمرة أهوائهم وقد عهد إليهم رسول الله (ص) قبل موته فقالوا نحن بعد ما قبض الله عزّ وجلّ رسوله (ص) يسعنـا أن نأخـذ بما اجتمـع عليه رأي الناس بعدما قبض الله عزّ وجلّ رسوله (ص) وبعد عهده الذي عهده إلينا وأمرنا به مخالفاً لله ولرسوله (ص) .

---

(١) يحتمل إرادة عالم الأرواح أو التقرر العلمي للأشياء.

فما أحد أجرأ على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه والله إن لله على خلقه أن يطيعوه ويتّبعوا أمره في حياة محمد (ص) وبعد موته هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمد (ص) أخذ بقوله ورأيه ومقائيسه ؟ فإن قال نعم فقد كذب على الله وضل ضلالاً بعيداً ، وإن قال : لا لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقائيسه فقد أقر بالحجة على نفسه وهو ممن زعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض رسول الله (ص) وقد قال الله وقوله الحق ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ إِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[1] وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره في حياة محمد (ص) وبعد قبض الله محمداً (ص) وكما لم يكن لأحد من الناس مع محمد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه خلافاً لأمر محمد (ص) فكذلك لم يكن لأحد من الناس بعد محمد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه .

ـ إلى أن قال (ع) ـ : « أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار الرسول (ص) وآله وسنّته وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله (ص) من بعده وسنّتهم فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم وقد قال أبونا رسول الله (ص) المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل أرضى لله وأنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواء ألا أن اتّباع الأهواء واتّباع البدع بغير هدى من الله ضلال وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار ولن ينال شيء من الخير عند الله إلا بطاعته والصبر والرضا لأن الصبر والرضا من طاعة الله » .

---

(١) والخطاب في الآية الشريفة يشملنا نحن أبناء هذا الزمن أيضاً، ويهتف بنا عن تبديل الدين الق والرجوع إلى العقب وإلى الضلالة. سورة آل عمران، الآية (١٤٤).

ـ إلى أن قال (ع) ـ : « فإن من لم يجعل الله من أهل صفة الحق فأولئك هم شياطين الإنس والجن وإن لشياطين الإنس حيلة ومكراً وخدائع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردوا أهل الحق عما أكرمهم الله به من النظر في دين الله الذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحق في الشك والإنكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف الله تعالى في كتاب من قوله ﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** ﴾ ثم نهى الله أهل النصر بالحق أن يتخذوا من أعداء الله وليّاً ولا نصيراً فلا يهولنكم ولا يردنكم عن النصر بالحق الذي خصّكم الله به من حيلة شياطين الإنس ومكرهم من أموركم » .

ـ إلى أن قال ـ : « هذا أدبنا أدب الله فخذوا به وتفهموه واعقلوه ولا تنبذوه وراء ظهوركم » .

وروى الكليني في كتاب الكافي في أبواب الحجة باب الغيبة بسنده عن أمير المؤمنين (ع) : « اللهم إنه لا بد لك من حجج في أرضك حجة بعد حجة على خلقك يهدونهم إلى دينك ويعلمونهم علمك كيلا يتفرق اتباع أوليائك ظاهر غير مطاع أو مكتتم يترقب إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون » .

ويقول (ع) في هذه الخطبة في موضع آخر : فيمن هذا ؟ ولهذا يأرز[١] العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه ، اللهم فإني لأعلم أن العلم لا يأرز كله ولا ينقطع مواده وإنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بمطاع أو خائف مغمور كيلا

(١) أي ينقبض ويرتفع كناية عن ذهابه.

تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم بل أين هم ؟ وكم هم ؟ أولئك الأقلّون عدداً الأعظمون عند الله قدراً » .

وفي كلامه (ع) إشارة إلى غيبة الحجة (عج) حيث قال : « أو مكتتم مترقب إن غاب عن الناس » والاكتتام إشارة إلى عدم نصب الحجة الغائب النائب الخاص في غيبته وهي الطولى الكبرى وأشار (ع) بقوله « إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون » إلى الوظيفة في الغيبة الكبرى وهي الرجوع إلى أحاديث الأئمة الحجج صلوات الله عليهم المثبتة في كتب المؤمنين الرواة منذ قديم أيام الأئمة (عليهم السلام) وأن هذه الأحاديث المأثورة عنهم هي علم الأئمة وآدابهم وهي منبع الدين والشريعة والهداية .

وأشار (ع) بقوله « ولهذا يأرز العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه » إلى أن العلم بالشريعة بين الناس يذهب ويقل بذهاب الفقهاء والحفاظ والرواة عن الأئمة (عليهم السلام) وهذا وجه قول الصادق (ع) الذي سبق حول زرارة ومحمد بن مسلم وأبي بصير وبريد .

وروى الصدوق في كتابه إكمال الدين بسنده عن الصادق (ع) عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي (ص) لعلي (ع) قال : يا علي أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا بالنبي (ص) وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد على بياض .

وروى الكشّي في كتاب الرجال بسنده إلى أبني هاشم الجعفري (داود بن القاسم من ذرية جعفر الطيار رضوان الله تعالى عليه) قال : أدخلت كتاب يوم وليلة الذي ألفه يونس عبد الرحمن (وهو من أصحاب الرضا (ع) وكان من أفقه أصحابه) على أبي الحسن العسكري (ع) فنظر فيه

وتصفحه كله ثم قال : « هذا ديني ودين آبائي كله وهو الحق كله » .

وروى الكليني بسنده عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شينو له قـال : قلت لأبي جعفر الثاني (االجواد) (ع) : « جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر (الباقر) وأبي عبد الله (الصادق) (ع) وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم فلم ترو عنهم فلما ماتوا صارت تلك الكتب إلينا فقال : حدثوا بها فإنها حق » .

وروى الشيخ الجليل الأقدم ابن شعبة الحـراني في كتابـه تحف العقول والشيـخ المفيـد في كتـاب الاختصـاص عن الكـاظم (ع) أنـه كـان لأبي يوسف (تلميذ أبي حنيفة وقاضي العباسيين) معه كلام في مجلس الرشيد فقال الرشيد بعد كلام طويل لموسى بن جعفر (ع) : « بحق آبـائك لمـا اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناه »[1] فقال : نعم ، وأتى بدواة وقرطاس فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، جميع أمور الأديان أربعة : أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة علي الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجمع عليها وهو الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وأمر يحتمل الشـك والانكار فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها وسنة مجمع عليها لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله ولا تسع خاصة الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار لـه وهذان الأمـران من أمر التـوحيد فمـا دونه وأرش الخدش فما فوقه فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الـدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته وما غمض عليك صوابه نفيته .

فمن أورد واحـدة من هذه الثـلاث فهي الحجـة البـالغـة التي بيّنهـا الله ورسـوله (ص) في قـوله لنبيّـه ﴿ **قل فللّه الحجـة البـالغـة فلو شـاء لهـداكم**

(١) أي لما وقع الكلام والمحادثة حوله.

أجمعين ﴾ تبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلم العالم بعلمه ، لأن الله عدل لا يجور يحتّج على خلقه بما يعلمون يدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون » .

ومضمون كتاب الكاظم (ع) هو مضمون ما تقدم في بداية هذا الأمر الرابع عن الصادق (ع) من أن العقل وإن كان حجة يدرك به التوحيد وصفات الخالق والكمالات وحسن العدل وقبح الظلم وإحالة اجتماع النقيضين ونحوها ولكن لا يكتفي به في معرفة مراضي الله ومعاصيه وأوامره ونواهيه بل لا بد من العلم وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة للنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم) فهذه هي الحجج الثلاث المشار إليها في قوله (ع) .

« فمن أورد واحدة من هذه الثلاث وهي الحجة البالغة » .

كما أن المشار إليه بقوله (ع) « وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه وأرش الخدش فما فوقه فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين » هو ما تقدم في صدر كلامه (ع) من إجماع الأمة على الضرورة والأخبار المجمع عليها أو الأمر الذي لا اختلاف فيه والذي فيه الشك سواء كان من الأصول أو الفروع والمراد من العرض هو ملاحظة الأمر المشكوك سواء في أصول الدين أو فروعه ومقارنته مع الضروريات والسنة القطعية والمستفيضة عنهم (عليهم السلام) فما وافقها اصطفى وارتضى وما نافاها أنكر ونفي .

وهذه ضابطة وردت بها أحاديث مستفيضة كما في قول الصادق (ع) : « الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه » .

وقال (ع) « إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) « وإلا فالذي جاءكم به أولى به » وقال : « ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف » « وكل شيء مردود إلى الكتاب والسنة » .

وقال الرضا (ع) : « إن الله حرّم حراماً وأحلّ حلالاً وفرض فرائض فما جاء في تحليل ما حرّم الله أو في تحريم ما أحلّ الله أو دفع فريضة في كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحلّ الله ولا ليحلّل ما حرّم الله ولا ليغيّر فرائض الله وأحكامه ، كان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤديّاً عن الله وذلك قول الله **﴿ أن أتبع إلا ما يوحى إليَّ ﴾** فكان (ع) متّبعاً لله مؤدّياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة » - إلى أن قال - : « إنّا لا نرخّص فيما لم يرخّص فيه رسول الله (ص) ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص) » - إلى أن قال - « فإما أن نستحلّ ما حرّم رسول الله (ص) أو نحرّم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً لأنّا تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربّه مسلماً له » وقال الله عزّ وجلّ : **﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾** .

وقال الصادق (ع) « حلال محمد (ص) حلال أبداً إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيىء غيره » ، وقال : « قال علي ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنّة »[1] .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) في كتابه إلى مالك الأشتر قال : « وأردد إلى الله ورسوله ما يظلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور ، فقد قال الله سبحانه لقوم أحب إرشادهم **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ﴾** فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والراد إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المتفرقة » .

---

(١) الكافي (ج ١، ص ٥٨، ح ١٩).

وفي تفسير العيّاشي عن سدير قال : قال أبو جعفر الباقر وأبو عبد الله (الصادق) (عليهم السلام) : « لا تصدق علينا إلا ما وافق كتاب الله وسنّة نبيّه (ص) » .

وقد تقدم قول الحجة (عج) « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا » وهي الأحاديث المعتبرة المأثورة عن آبائه المعصومين (عليهم السلام) وعنه في الغيبة الصغرى .

وقد تكرر إرجاع الحجة (ع) في التوقيعات الصادرة في الغيبة الصغرى إلى الروايات المأثورة عن آبائه (عليهم السلام) المدوّنة في الكتب المشهورة بين الطائفة ففي كتاب[1] لمحمد بن عبد الله بن جعفر الحميري[2] إلى الحجة (ع) بتوسط النواب الأربعة سأله : عن المصلي إذا قام من التشهد الأول إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبّر ؟ فإن بعض أصحابنا قال : « لا يجب عليه التكبير ويجزيه أن يقول بحول الله وقوته أقوم وأقعد ؟ .

الجواب توقيع الحجة (ع) : أن فيه حديثين : أما أحدهما : فإنه إذا انتقل من حالة إلى حالة أخرى فعليه التكبير وأما الآخر : فإنه روي : « أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثم اجلس ثم قام فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير وكذلك في التشهّد الأول يجري هذا المجرى ، وبأيهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً » .

فأرجع (عج) السائل وهو محمد بن عبد الله الجعفري إلى الحديثين المرويين عن آبائه (عليهم السلام) ثم أكّد على السائل الأخذ بأي واحد منهما

---

(١) أي مكتوب.

(٢) قال عنه العلامة الحلي : «أبو جعفر القمي كان ثقة وجها كاتب صاحب الأمر (ع) وسأله مسائل في أبواب الشريعة». وقال عنه النجاشي قال لنا أحمد بن الحسين الغضائري (ابن استاذه): «وقعت هذه المسائل إلى في أصلها والتوقيعات بين السطور».

والعمل به من باب التسليم والرد في كل ما ينوبه إلى الأحاديث المنقولة عنهم (عليهم السلام) .

وسئل الحميري أيضاً في ضمن المسائل التي في كتابه وروي في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها أن العالم (هو لقب للإمام الكاظم)[1] (ع) قال : « عجباً لمن لم يقرأ في صلاته ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ كيف تقبل صلاته ؟ » .

وروى : « ما زكّت صلاة من لم يقرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ » .

وروى : « أن من قرأ في فرائضه ﴿ **الهُمَزَة** ﴾ أعطي من الثواب قدر الدنيا ، فهل يجوز أن يقرأ ﴿ **الهُمَزة** ﴾ ويدع هذه السور التي ذكرناها مع ما قد روي أنه لا تقبل صلاة ولا تزكوا إلا بهما ؟ » .

التوقيع : « الثواب في السور على ما قد روي وإذا ترك سورة مما فيها الثواب وقرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ﴿ **وإنا أنزلناه** ﴾ لفضلهما أعطي ثواب ما قرأ وثواب السور التي ترك ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامة ، ولكن يكون قد ترك الفضل » .

وسأل عن التوجه للصلاة أن يقول على ملّة إبراهيم ودين محمد (ص) فإن بعض أصحابنا ذكر أنه إذا قال على دين محمد فقد أبدع لأنّا لم نجده في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم بن محمد عن جدّه عن الحسن بن راشد أن الصادق (ع) قال للحسن (أي بن راشد) : « كيف تتوجه فقال : أقول لبّيك وسعديك فقال له الصادق (ع) : ليس عن هذا أسألك كيف تقول وجّهت وجهي الذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً ؟ قال الحسن :

---

(١) للكاظم (ع) عدة ألقاب لشدة التقية في زمانه (ع) فكانت الشيعة تكنى عنه بالعالم والفقيه والعبد الصالح وغيرها من الألقاب خوفاً من سلطات بني العباس.

أقول :

فقال الصادق (ع) : « إذا قلت ذلك فقل : على ملّة إبراهيم ودين محمد ومنهاج علي بن أبي طالب والإئتمام بآل محمد ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين » .

فأجاب (عج) : « التوجّه كله ليس بفريضة والسنة المؤكدة فيه التي هي كالأجماع الذي لا خلاف فيه : وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمد وهدى أمير المؤمنين وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحيايى وممات لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم اجعلني من المسلمين أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم اقرأ الحمد » . قال الفقيه[1] الذي لا يشك في علمه : « إن الدين لمحمد والهداية لعلي أمير المؤمنين لأنها له (ص) وفي عقبه باقية إلى يوم القيامة فمن كان كذلك فهو من المهتدين ومن شكّ فلا دين له ونعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى » .

وسأل عن سجدة الشكر بعد الفريضة فإن بعض أصحابنا ذكر أنها (بدعة) فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة ؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة ؟

فأجاب (عج) : « سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها ولم يقل أن هذه السجدة بدعة إلا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله ، فإما الخبر المروي فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف في أنها بعد الثلاث أو بعد الأربع فإن فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على

---

(١) أي الإمام الكاظم (ع) وهذا أخبار منه (عج) عن جدّه.

النوافل والسجدة دعاء وتسبيح فالأفضل أن تكون بعد الفرائض فإن جعل بعد النوافل أيضاً جاز » .

وكتب إليه (صلوات الله عليه) أيضاً في سنة ٣٠٨ هجري كتاباً سأله فيه عن مسائل أخرى سأل : إن قبلنا مشايخ وعجايز يصومون رجباً منذ ثلاثين سنة وأكثر ويصلون بشعبان وشهر رمضان . وروى لهم بعض أصحابنا : أن صومه معصية ؟

فأجاب (ع) : قال الفقيه : « يصوم منه أياماً إلى خمسة عشر يوماً إلا أن يصومه عن الثلاثة الأيام الفائتة » للحديث « إن نعم شهر القضاء رجب » .

وسأل عن الركعتين الأخراوين قد كثرت فيها الروايات فبعض يروي : أن قراءة الحمد وحدها أفضل وبعض يروي : أن التسبيح فيهما أفضل . فالفضل لأيهما لنستعمله ؟ فأجاب (عج) : « قد نسخت قراءة أم الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح والذي نسخ التسبيح قول العالم (ع) : كل صلاة لا قراءة فيها فهو خداج إلا للعليل أو يكثر عليه السهو فيتخوف بطلان الصلاة عليه .

وسأل : عن الرجل يعرض له الحاجة مما لا يدري أن يفعلها أم لا ، فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما : « نعم أفعل » وفي الآخر : « لا تفعل » فيستخير الله مراراً ثم يرى فيهما ، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج ، فهل يجوز ذلك أم لا ؟ والعامل به والتارك له أهو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك ؟

فأجاب (عج) : « الذي سنّه العالم[1] (ع) في هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة » .

---

(١) قد ذكر المجلسي الأول (قده) في موضع من روضته أن لقب العالم هو لكل المعصومين (ع) لا خصوص الكاظم (ع) وأن هذا التخصيص اشتباه من بعض المتأخرين فتأمل.

وسأل : عن الرجل ينوي إخراج شيء من ماله وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه ثم يجد في أقربائه محتاجاً أيصرف ذلك عمّن نواه له أو إلى قرابته ؟

فأجاب : « يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه فإن ذهب إلى قول العالم (ع) ﴿ لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج ﴾ فليقسم بين القرابة وبين الذي نوى حتى يكون قد أخذ بالفضل كله » .

أقول : « فكل هذا الإرجاع من الحجة (عج) لأحاديث آبائه المعصومين (عليهم السلام) مع أنه معصوم أيضاً وقوله كقولهم حجة على العباد ليس إلا لتعليم الشيعة على الرجوع إلى الأحاديث المأثورة عن آبائه (عليهم السلام) في الغيبة الكبرى » .

والأئمة الإثنا عشر كلهم نور واحد ومشكاة واحدة قال هشام بن سالم وهو من أجلّاء أصحاب الصادق (ع) وكذلك قال حماد بن عثمان وغيره قالوا : « سمعنا أبا عبد الله (ع) يقول : حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله (ص) قول الله عزّ وجلّ[1] .

وقال جابر الجعفي (وهو من حواري الباقر (ع)) : قلت لأبي جعفر (ع) : « إذا حدثتني بحديث فأسنده لي فقال : حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الله تبارك وتعالى وكلما أحدثك أحدثك بهذا الإسناد » ، وقال : « لحديث واحد تأخذه عن صادق[2] خير لك من الدنيا وما فيها » .

---

(١) كما قال تعالى﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ﴿ إن اتبع إلا ما يوحى إلي﴾ .

(٢) إشارة إلى المعصوم (ع) كما قال تعالى : ﴿كونوا مع الصادقين﴾ أي المعصومين (ع) .

وروى الكليني عن الصادق (ع) أنه قال : « ليس يخرج شيء من عند الله عزّ وجلّ حتى يبدأ برسول الله (ص) ثم بأمير المؤمنين (ع) ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا »[1] .

وروى الكليني عن الحكم بن أبي نعيم قال : « أتيت أبا جعفر (الباقر) (ع) وهو بالمدينة فقلت له : علي نذر بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتى أعلم أنك قائم آل محمد أم لا ؟ فلم يجبني بشيء فأقمت ثلاثين يوماً ثم استقبلني في طريق فقال : يا حكم وإنك لههنا بعد فقلت : نعم إني أخبرتك بما جعلت لله عليّ فلم تأمرني ولم تنهني عن شيء ولم تجبني بشيء ، فقال : بكّر على غدوة المنزل فغدوت عليه فقال (ع) : سل عن حاجتك ؟ فقلت : إني جعلت لله عليّ نذراً وصياماً وصدقة بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتى أعلم إنك قائم آل محمد أم لا ؟ فإن كنت أنت رابطتك وإن لم تكن أنت ، سرت في الأرض فطلبت المعاش فقال : يا حكم كلنا قائم بأمر الله قلت : فأنت المهدي ؟ قال : كلنا نهدي إلى الله قلت : فأنت صاحب السيف ؟ قال : كلنا صاحب السيف ووارث السيف قلت : فأنت الذي تقتل أعداء الله ويعزّ بك أولياء الله ويظهر بك دين الله ؟ فقال : يا حكم كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً وأربعين سنة ؟ وإن صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن منّي وأخف على ظهر الدابة »[2] .

الامر الخامس :

إن الرؤيا ليست مصدراً للتشريع إلا للأنبياء والرسل خاصة .

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾[3] .

---

(١) الكافي (ج ١، ص ٢٥٥).

(٢) الكافي (ج ١، ص ٥٣٦).

(٣) سورة الصافات، الآية (١٠٢).

وروى السيد البحراني في تفسيره عن الصدوق بسنده عن الحسن بن علي بن فضال ، قال : « سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن معنى قول النبي (ص) أنا ابن الذبيحين ؟ قال : يعني إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) وعبد الله بن عبد المطلب ، أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشّر الله تعالى به إبرهيم (ع) فلما بلغ معه السعي قال وهو لما عمل مثله عمله « قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال : يا أبتِ افعل ما تؤمر » ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت الحديث »[1] .

وبهذا المضمون عدة روايات ـ

وقال تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُم أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً ﴾[2] .

أي يريد كل واحد من هؤلاء الذين لم يؤمِنُوا أن يكون رسولاً يوحى إليه أو لعله تفسير لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى . . . أَوْ تَرْقَى فِي آلسَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِلَ كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتَ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً ﴾[3] .

وروى الكليني بسنده عن زرارة قال : سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ وكان رسولاً نبيّاً ﴾ ما الرسول وما النبي ؟ قال : النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك قلت الإمام ما منزلته ؟ قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ثم تلا هذه الآية : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ﴾[4] .

---

(١) تفسير البرهان (ج ٤، ص ٣١).
(٢) سورة المدثر، الآية (٥٣).
(٣) سورة الإسراء، الآية (٩٤).
(٤) الكافي (ج ١، ص ١٧٦).

وروى أيضاً بسنده عن الحسن بن العباس المعروفي أنه كتب إلى الرضا (ع) جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام ؟ قال : فكتب أو قال : الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم (ع) والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص »[1][2] .

---

(١) ورد تحديث الملائكة أولياء الله والمعصومين في القرآن في موارد قال تعالى **﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾** (آل عمران، ٤٧).

وقال تعالى: **﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك﴾** (الآية مريم، ١٦).

وقال تعالى: **﴿وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ ﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾** (القصص، ١٤).

وقال تعالى: **﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾** (آل عمران، ٤٣).

وقال تعالى: **﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وامرأته قائمة فضحكت فبشّرنها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قالت يا ويلتي ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾** (هود، ٧٣).

فهذه مريم وأم موسى (ع) وسارة زوجة ابراهيم (ع) حدثن من قبل الملائكة.

وبهذا المضمون عدة روايات أخرى .

وروى المجلسي عن أمالي الشيخ الطوسي بسنده عن أمير المؤمنين (ع) قال : « رؤيا الأنبياء وحي »[1] .

وإذا لم تكن الرؤيا قناة شرعية للإمام المعصوم فما ظنك بغير المعصوم .

وروى الكليني بسنده عن ابن أذينة عن أبي عبد الله (الصادق) (ع) قال : قال : « ما تروي هذه الناصبة ؟ » فقلت : « جعلت فداك فيما ذا ؟ » فقال : « في أذانهم وركوعهم وسجودهم » فقلت : « إنهم يقولون : إن أبي بن كعب رآه في النوم » فقال : « كذبوا فإن دين الله عزّ وجلّ أعز من أن يرى في النوم » قال : فقال له سدير الصيرفي : « جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً » فقال أبو عبد الله (ع) : « إن الله عزّ وجلّ لما عرج بنبيّه (ص) إلى سماواته السبع الحديث[2] ثم ذكر (ع) تفصيل ذلك » .

وقال العلامة المجلسي (قده) « قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق (ع) في حديث الآذان أن دين الله تبارك وتعالى أعزّ من أن يرى في النوم » وقال : « المراد أنه لا يثبت أصل شرعية الأحكام بالنوم بل انما هي بالوحي الجلي »[3] .

وقد اتضح أن المقصود من أن الرؤيا ليست مصدر للشريعة إلا للأنبياء خاصة أن الرؤيا المشتملة على الأمر والنهي هي أحد أقسام الوحي الإلهي للأنبياء ومن المعلوم أنه مخصوص بمن ينبأ من الله عز وجل .

أما الرؤيا الصادقة المشتملة على حكاية وقائع مستقبلية أي التي يكون

---

(١) البحار (ج ١١، ص ٦٤، ج ٦١، ص ١٨١).
(٢) الكافي (ج ٣، ص ٤٨٢).
(٣) البحار (ج ٦١، ص ٢٣٧).

مضمونها الأخبار ـ بخلاف الرؤيا الأولى التي يكون مضمونها الإنشاء التشريعي الإلهي ـ فهذه أيضاً تحصل للأنبياء والرسل وهي تكون صادقة دائماً لديهم .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشمْس وَٱلقَمَرُ رَأَيْتُهُم لِي سَاجِدِين قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَانَكَ ﴾ الآية[1] وهذه التي فيها التأويل والتعبير .

قال تعالى على لسان يعقوب (ع) مخاطباً يوسف (ع) ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ ٱلأَحادِيث ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤيَا ٱلّتي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةٍ لِلْنَّاس ﴾[3] وقال: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ الله رَسُولهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لتدْخُلنَ المَسْجِد الحَرام إِنْ شَاءَ الله آمِنِينَ ﴾[4] .

حيث رأى النبي (ص) ذلك عام الحديبية وهي سنة الست من الهجرة وصدقت العام الذي بعده .

هذا وقد بحث علماء الكلام (وهو العلم الباحث عن أصول العقائد) عن طريق معرفة النبي أنه مبعوث واطمئنانه بذلك وعن كيفية العصمة في الوحي وتلقيه ومجمل الأدلة العقلية في ذلك هي بعينها الأدلة الدالة على ضرورة بعث الله عزّ وجل الرسل والأنبياء لهداية عباده فهي دالة على ضرورة تأييد الأنبياء وحفظهم وعصمتهم وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين أنه قال : وقد قرن الله به (ص) من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره » .

(١) سورة يوسف، الآية (٨).
(٢) سورة يوسف، الآية (٨).
(٣) سورة الإسراء، الآية (٦٠).
(٤) سورة الفتح، الآية (٢٧).

واستفاضت الروايات بأنه (ص) لم يزل مؤيداً بروح القدس يكلمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة حتى بعثه الله نبياً ورسولاً .

وقد سأل أصحاب الأئمة عن ذلك فعن زرارة بن أعين قال قلت : لأبي عبد الله (ع) « كيف لم يخف رسول الله (ص) فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزغ به الشيطان ؟ » فقال : « إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه »[1] .

وروى الكليني بسنده عن بريد أنه سئل أبي جعفر (الباقر) وأبي عبد الله (الصادق) (عليهما السلام) قال : قلت : « فما الرسول والنبي والمحدث ؟ » قال : « الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه والنبي هو الذي يظهر له الملك فيكلمه والنبي هو الذي يرى في منامه وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد والمحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة » قال : قلت : « أصلحك الله كيف يعلم أن الذي رأى في النوم حق وأنه من الملك ؟ » قال : « يوفق حتى يعرفه لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيّكم الأنبياء »[2] .

وروى عن محمد بن هارون عن أبي عبد الله (ع) قال : « ما علم رسول الله أن جبرئيل من عند الله إلا بالتوفيق »[3] .

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ ﴾[4] فالوحي إنزال حق ومعصوم وفي تلقي الرسول إياه حق ومعصوم وقال عز من قائل ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[5] .

---

(١) تفسير العياشي (ج ٢، ص ٢٠١).
(٢) الكافي (ج ١، ص ١٧٧).
(٣) تفسير العياشي (ج ٢، ص ٢٠١).
(٤) سورة الإسراء، الآية (١٠٥).
(٥) سورة الشعراء، الآية (٢١٠).

إذا تنبّهت إلى مجمل ما سبق يتضح لك أن غير المعصوم من سائر الناس ليس له أي حظ من الرؤيا من النحو الأول وهي ما يكون فيهـا إنشاء أي أوامـر ونواهي إلهية ونحوها من الأحكام الشرعية وإن توهم ذلك متوهم فليستيقن بأن ذلك من الشياطين وقد أشار القرآن الكريم إلى عدة من أفعال الشياطين .

(فمنها) الهمز كما في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِـكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلْشَيَاطِين ﴾[١] .

(ومنها) النزول على الافاك (أي الكذاب المفتري) الاثم كما في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلِى مَنْ تَنَزِلُ ٱلْشَّيَاطِين تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم ﴾ .

(ومنها) الاستهواء كما في قوله تعالى ﴿ كَالَّذِي إِسْتَهْـوَتْهُ ٱلْشَّيَـاطِينُ فِي ٱلأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾[٣] .

(ومنها) النزغ كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزِغَنَّـكَ مِنَ ٱلْشَّيْطَانِ نَـزْغٌ فَإِسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[٤] .

(ومنها) المس كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ إِتَّقُوا إِذَا مَسَّهُم طَائِفٌ مِنَ ٱلْشَّيطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾[٥] .

(ومنها) الإز كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلْشَّيَاطِين عَلَى ٱلْكَافِرِينَ تَؤُزهُم أَزَّاً ﴾[٦] .

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٩٧).
(٢) سورة الشعراء، الآية (٢٢١ و ٢٢٢).
(٣) سورة الأنعام، الآية (٧١).
(٤) سورة الأعراف، الآية (٢٠٠).
(٥) سورة الأعراف، الآية (٢٠١).
(٦) سورة مريم، الآية (٨٣).

(ومنها) الإلقاء كما في قولـه تعالى : ﴿ لِيَجْعَـلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْـطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾[1] .

(ومنها) الإيحاء كمـا في قولـه تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَـاطِينَ لَيُوحُـونَ إِلَىٰ أَوْلِيَـائِهِمْ لِيُجَادِلُـوكُم وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْـرِكُونَ ﴾[2] . وغيـر ذلـك من الآيات .

وعن الباقر (ع) قال : « لما ترون من بعثه الله عزّ وجلّ للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفة الله الذي بعثـه للعـدل والصواب للمـلائكة قيـل : يا أبـا جعفـر وكيف يكـون شيء أكثـر من الملائكة ؟ قال : كما يشاء الله عز وجـل . قال السـائل : يـا أبا جعفـر إني لو حدّثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكـروه ، قال : كيف ينكـرونه ؟ قال : يقولون إن الملائكة أكثر من الشياطين . قال : صدقت افهم عنّي ما أقول لك إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا وجميع الجن والشيـاطين تزور أئمـة الضلالـة وتزور أئمة الهدى عددهم من الملائكة حتى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولي الأمر قيض الله عز وجل من الشياطين بعددهم ثم زاروا ولي الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتى لعله يصبح فيقول رأيت كذا وكذا فلو سئل ولي الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتى يفسـر له تفسيـراً ويعلمه الضلالة التي هو عليها »[3] .

والهمز كالعصـر والنزغ الجـذب للشيء من مقره والمس كـاللمس والأز كالهز وهذه الأفعال تـوردها الشيـاطين في القلوب بتوسط الخـواطر والـواردات والميول والتجاذب النفسي .

---

(١) سورة الحج ، الآية (٥٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٢١).

(٣) تفسير البرهان (ج ٤ ، ص ٤٨٥).

وعن كتاب مجالس الصدوق بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال : سمعته يقول : « أن لإبليس شيطاناً يقال له « هزع » يملأ المشرق والمغرب في كل ليلة يأتي الناس في المنام ، ولهذا يرى الأضغاث »[1] .

نعم الرؤيا من القسم الثاني وهي المتضمنة للأخبار والحكاية عن الوقائع المستقبلة فلغير المعصوم حظ يسير منها بحسب تقواه وصدق حديثه ولسانه وصفاء قلبه فعن الصدوق (علي بن بابويه) بسند عن الكاظم عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (ص) الرؤيا ثلاثة : « بشرى من الله وتحزين من الشيطان والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه » وقال (ص) : « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان »[2] .

ولا تخفى دلالة الرواية على أن الرؤيا الصادقة التي هي نصيب غيرالمعصوم هي ما تكون بشرى أي حاكية ومخبرة أي من القسم الثاني لا الأول وهي المتضمنة للإنشاء والتشريع .

ومثل ذلك مفاد الرواية عن الباقر (ع) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : « أتى رجل من أهل البادية رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله أخبرني عن قول الله **﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم ألبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾**فقال رسول الله (ص) أما قوله **﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا ﴾ فهي** الرؤيا الحسنة ترى للمؤمن فيبشر بها في دنياه وأما قوله **﴿ وفي الآخرة فإنها بشارة المؤمن عند الموت إن الله غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك ﴾**[3] .

وروى الكليني بسنده عن أبي الحسن (ع) قال : « إن الأحلام لم تكن

---

(١) البحار (ج٦١، ص ١٩١).
(٢) نفس المصدر.

في ما مضى في أول الخلق وإنما حدثت فقلت : وما العلة في ذلك ؟ فقال : إن الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا : « إن فعلنا ذلك فما لنا ؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرة فقال : إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة وإن عصيتموني أدخلكم الله النار . فقالوا : وما الجنة وما النار ؟ فوصف لهم ذلك فقالوا : متى نصير إلى ذلك ؟ فقال : إذا متّم . فقالوا : لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتا ، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الاحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك . فقال : إن الله عزّ ذكره أراد أن يحتج عليكم بهذا ، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان »[1] .

وإذا عرفت أن الرؤيا التي هي من نحو الأخبار على ثلاثة أقسام صادقة وكاذبة وتخيلات يتضح لك عدم دوام الصدق فيها ففي كتاب التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي قال له الإمام الصادق (ع) : « فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها ، فمزج صادقها بكاذبها فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء ، ولو كانت كلها تكذّب لم يكن فيها منفعة ، بل كانت فضلاً لا معنى له ، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها ، أو مضرة يتحذّر منها ، وتكذّب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد »[2] .

وعن كتاب بصائر الدرجات في قصة الحسن بن عبد الله الرافقي (الواقفي) الزاهد العابد حيث كان يلقاه السلطان فيستقبله بالكلام الصعب يعظه ويأمره بالمعروف ، وكان يحتمله لصلاحه فلم يزل حاله حتى اهتدى للمعرفة على يد الإمام الكاظم (ع) في لقاءات متعددة وكان يرى الرؤيا

---

(١) روضة الكافي (ص ٩٠).
(٢) البحار (ج ٦١، ص ١٨٣).

الحسنة وترى له ثم انقطعت عنه الرؤيا فرأى ليلة أبا عبد الله (ع) فيما يرى النائم فشكى إليه انقطاع الرؤيا ، فقال : « لا تغتم فإن المؤمن إذا رسخ في الإيمان رفع عنه الرؤيا »[1] ولعل ذلك مراد ما حكاه الشيخ المفيد قال : « وقد كان شيخي ـ رضي الله عنه ـ قال لي : « إن كل من كثر علمه واتّسع فهمه قلّت مناماته »[2] .

وعن كتاب ثواب الأعمال للصدوق (قده) بسنده عن هشام بن أحمد وعبد الله ابن مسكان ومحمد بن مروان عن أبي عبد الله (ع) قالوا : « ثلاثة يعذّبون يوم القيامة من صور صورة من الحيوان حتى ينفخ فيها وليس بنافخ فيها ، والذي يكذب في منامه يعذّب حتى يعقد بين شعيرتين وليس بعاقدهما ، والمستمع من قوم وهم له كارهون يصب في أذنيه الإنك وهو الأسرب (الرصاص) »[3] .

وبعد هذا كله لعل قائل يقول : أليس قد روى عن رسول الله (ص) أنه قال : « من رآني في منامه فقد رآني لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم » وحينئذ كانت رؤيا الرسول (ص) أو أحد من أوصيائه صادقة لا محالة وهي لا يفرق فيها بين أن تكون من القسم الأول وهي ما كان فيها أمر ونهي ، أو من القسم الثاني وهي الأخبار عن ما يستقبل من الأمور .

وهذه المقالة وَهْمٌ فاسد لجهات عدّة :

(الأولى) : أن أكثر ما روي عن الرسول (ص) من رآني في منامه فقد رآني فهو بطرق العامة لا بطرق الخاصة الإمامية وأما ما روي بطريق الخاصة

---

(١) البحار (ج ٦١، ص ١٨٩).
(٢) البحار (ج ٦١، ص ٢١٠).
(٣) البحار (ج ٦١، ص ١٨٣).

فالمرحوم العلاّمة المجلسي على سعة باعه وتوغله في الرواية لم يذكر في كتاب البحار ، في باب رؤية النبي (ص) والأوصياء (ع) إلا رواية واحدة بهذا المضمون ثم ذكر أنه روى المخالفون (أهل السنّة) ذلك بأسانيد عندهم ولذا قال السيد المرتضى (رضوان الله تعالى عليه) عندما سئل عن هذا الخبر : « هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد ولا معول على مثل ذلك »[1] .

وهي ليست على درجة من الاعتبار وبعبارة أخرى أن حجية الرواية يشترط فيها أمور منها ما يتعلق بالسند والطريق وهو الأشخاص الذين ينقل كل منهم عن الآخر حتى يصل إلى المعصوم (ع) فإنهم لا بد أن يكونوا عدولاً أو ثقاتاً قد أطمئن إلى صدق لهجتهم فلا يقبل من غير العادل والثقة قال تعالى ﴿ **إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾[2] وكذلك مجهول الحال فإنه لا يمكن الاعتماد عليه في النقل والحديث .

(الثانية) : أن هذه المسألة وهي كون الرؤيا مصدراً لاستقاء أحكام الشريعة من سلك مسائل الأصول الاعتقادية فكيف يعول فيها على خبر واحد ظنّي إذ لا بد فيها من اليقين والقطع ولذلك قال العلاّمة المجلسي تغمّده الله برحمته : « أن الظاهر إن هذا من مسائل الأصول ولا بد فيه من العلم ولا يثبت بأخبار الآحاد المفيدة للظن »[3] .

(الثالثة) : لو فرضنا اعتبار طريق الرواية وفرضنا إمكان إثبات مثل هذه المسألة بخبر واحد ظنّي فإن ذلك يتم لو كنّا نحن والرواية على تقدير صحة هذه الاستفادة من معنى الرواية ، وأما مع ما تقدم من الآيات القرآنية والسنّة

---

(١) البحار (ج ٦١، ص ٢١٦) نقلاً عن كتاب الغرر والدرر للسيد المرتضى (قده).

(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).

(٣) البحار (ج ٦١، ص ٢٣٨).

المستفيضة المتواترة معنى في أن الرؤيا المتضمنة للأمر والنهي من خصائص الأنبياء والمرسلين فلا يمكن الاعتماد على هذه الاستفادة من الرواية ولا برفع اليد عن الدليل القطعي بخبر واحد ولا يوسوس في ذلك إلا من ليس يتحرّج في دينه ومن لا يركن إلى أوليات عقله وفطرته .

(الرابعة) :

توجد روايتان معتبرتان بل أكثر تدل بالخصوص على عدم صحة أن من رآهم في المنام مطلقاً ودوماً فقد رآهم (عليهم السلام) ، فقد روى الشيخ الجليل الكشّي (رحمه الله) في كتابه معرفة الرجال عن جبريل بن أحمد أنه حدّثه محمد بن عيسى (العبيدي اليقطيني) عن علي بن الحكم عن حمّاد بن عثمان عن زرارة قال : قال أبو عبد الله (الصادق) (ع) « أخبرني عن حمزة[1] أيزعم أن أبي آتيه ؟ قلت : نعم . قال : كذب والله ما يأتيه إلا المتكوّن ، إن إبليس سلّط شيطاناً يقال له المتكوّن يأتي الناس في أي صورة شاء ، إن شاء في صورة صغيرة وإن شاء في صورة كبيرة ولا والله ما يستطيع أن يجيء في صورة أبي (ع) »[2]

وروي عن سعد بن عبد الله الأشعري قال : « حدّثني أحمد (بن عيسى الأشعري) عن أبيه والحسين بن سعيد (الأهوازي) عن ابن أبي عمير عن محمد بن عمر بن أذينة عن بريد بن معاوية العجلي وبطريق آخر عن سعد بن عبد الله » قال : « حدثني محمد بن عيسى (العبيدي) عن يونس بن عبد الرحمن ومحمد بن أبي عمير عن محمد بن عمر بن أذينة عن بريد بن معاوية العجلي » قال : « كان حمزة بن عمارة الزبيدي (البربري) لعنه الله يقول لأصحابه أن أبا جعفر (الباقر) (ع) يأتيني في كل ليلة ولا يزال إنسان

---

(١) هو حمزة بن عمارة الزبيدي البربري وسيأتي حاله في الفصل الثالث.
(٢) رواهما الكشي في رجاله في ترجمة محمد بن أبي زينب أبي الخطاب (مقلاص).

يزعم أنه قد رآه فقدر لي أني لقيت أبا جعفر (ع) فحدّثته بما يقول حمزة » ، فقال : « كذب عليه لعنة الله ما يقدر الشيطان أن يتمثل في صورة نبي ولا وصي نبي »[1] .

وهاتان الروايتان وإن كان يحتمل منهما الرؤية في اليقظة ولكن ذلك لا يخدش في المطلوب وهو عدم دوام المطابقة بين ما يعتقده الرائي سواء في المنام أو اليقظة أنه قد رأى الأئمة مع الواقع والحقيقة وذلك لتلبيس وخداع الشيطان للرائي وتشكل الشيطان (الذي يسمى المتكوّن) بصور مختلفة يغري الرائي أن تلك الصور هم الأئمة (عليهم السلام) مع أن تلك الصور ليست بصورهم (عليهم السلام) لأنه لا يستطيع التمثّل والتشكّل بصورهم (عليهم السلام) وستأتي في الفصل اللاحق نقل عدة روايات بهذا المضمون .

(الخامسة) :

لو رفعنا اليد فرضاً عن ما سبق فإنما يتبع ما يرى في الشيء الذي علم من الشريعة المقدسة صحته أي كان المرئي موافقاً لظاهر الشريعة لا ما كان مخالفاً لها وذلك لكون منشأ ودليل حجّية الرؤية هي هذه الرواية التي هي واصل لنا من الشريعة فكيف تعارض الشريعة وهل يمكن للفرع أن يستأصل ويبيد الأصل .

قال الكراجكي (رحمه الله) في كتابه كنز الفوائد : « وجدت لشيخنا المفيد (رضي الله عنه) في بعض كتبه » .

« أن الكلام في باب رؤيا المنامات عزيز وتهاون أهل النظر به شديد والبلية بذلك عظيمة وصدق القول فيه أصل جليل » ـ إلى أن قال ـ « وأما رؤية الإنسان للنبي (ص) أو لأحد الأئمة (عليهم السلام) في المنام فإن ذلك

---

(١) نفس المصدر.

عندي على ثلاثة أقسام :

قسم أقطع على صحته وقسم أقطع على بطلانه وقسم أجوز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال .

فأما الذي أقطع على صحته فهو كل منام رأى فيه النبي (ص) أو أحد الأئمة (عليهم السلام) وهو الفاعل لطاعة أو آمر بها ، وناه عن معصية أو مبين لقبحها وقائل لحق أو داع إليه ، وزاجر عن باطل أو ذام لمن هو عليه .

وأما الذي أقطع على بطلانه فهو كل ما كان ضد ذلك ، لعلمنا أن النبي (ص) والإمام (ع) صاحبا حق ، وصاحب الحق بعيد عن الباطل .

وأما الذي أجوز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذي يرى فيه النبي والإمام (عليهما السلام) وليس هو آمراً ولا ناهياً ولا على حال يختص بالديانات[1] مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك .

وأما الخبر الذي يروى عن النبي (ص) من قوله : « من رآني فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتشبّه بي » فإنه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون في كل حال ويكون المراد به القسم الأول من الثلاثة الأقسام لأن الشيطان لا يتشبّه بالنبي (ص) في شيء من الحق والطاعات .

(إلى أن قال) وجميع هذه الروايات أخبار آحاد فإن سلمت فعلى هذا المنهاج وقد كان شيخي ـ رحمه الله ـ يقول :

إذا جاز من بشر أن يدّعي في اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلة حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة فما المانع من أن يدّعي إبليس عند

---

(١) يريد بعبارته هذه أن الرؤيا ليس من القسم الأول وهو ما تضمن إنشاء أمر أو نهي أو حكماً شرعياً.

النائم بوسوسة له أنه نبي ؟ مع تمكن إبليس مما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام .

ومما يوضح لك أن من المنامات التي يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمة منها ما هو حق ومنها ما هو باطل إنك ترى الشيعي يقول : رأيت في المنام رسول الله (ص) ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهو يأمرني بالاقتداء به دون غيره ، ويعلمني أنه خليفته من بعده وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه وينهاني عن موالاتهم ويأمرني بالبراءة منهم ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة ، ثم يرى الناصبي يقول : رأيت رسول الله في النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرني بمحبتهم وينهاني عن بغضهم ويعلمني أنهم أصحابه في الدنيا والآخرة ، وأنهم معه في الجنة ونحو ذلك مما يختص بمذهب الناصبية فنعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت الدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه ، والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه وليس يمكن الشيعي أن يقول للناصبي إنك كذبت في قولك : إنك رأيت رسول الله (ص) لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه .

وقد شاهدنا ناصبياً يتشيع وأخبرنا في حال تشيّعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه حال نصبه فبان بذلك أن أحد المنامين باطل وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك ، وأن المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعبده على المعنى المتقدم وصفه .

وقولنا في المنام الصحيح أن الإنسان رأى في نومه النبي (ص) إنما معناه أنه كأن قد رآه وليس المراد به التحقق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي (ص) ، وأي بصر يدرك به في حال نومه ؟ وإنما هي معاني تصورت وفي نفسه تخيل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم وليس هذا بمناف للخبر الذي روي من قوله « من رآني فقد رآني » لأن معناه : فكأنما رآني

وليس يغلط في هذا المكان إلا من ليس له من عقله اعتبار »[1] .

ولهذا بحث الكثير في علم ما اصطلح عليه « بالعرفان » عن الفارق بين الإلهام الرحماني والإلهام الشيطاني وبين الكشف الحقيقي والكشف الكاذب غير الحقيقي وبين الواردات الرحمانية والملكية والواردات القلبية الشيطانية والجنية .

فقد ذكر الشارح القيصري في شرحه على (فصوص الحكم) لابن العربي في الفصل السادس والسابع من الفصول التي ذكرها في المقدمة .

قال « وكما أن النوم ينقسم بأضغاث أحلام وغيرها كذلك ما يرى في اليقظة ينقسم إلى أمور حقيقية محضة واقعة في نفس الأمر وإلى أمور خيالية صرفة لا حقيقة لها شيطانية وقد يخلطها الشيطان بيسير من الأمور الحقيقية ليضل الرائي ، لذلك يحتاج السالك إلى مرشد يرشده وينجّيه من المهالك والأول إما أن يتعلق بالحوادث أو لا .

فإن كان متعلقاً بها فعند وقوعها كما شاهدها أو على سبيل التعبير وعدم وقوعها حصل التمييز بينهما وبين الخيالية الصرفة وعبور الحقيقة عن صورتها الأصلية إنما هو للمناسبات التي بين الصور الظاهرة هي فيها وبين الحقيقة ولظهورها فيها أسباب كلها راجعة إلى أحوال الرائي وتفصيله يؤدي إلى التطويل .

وأما إذا لم يكن كذلك (أي الرؤيا غير الاخبارية بالمستقبليات) فللفرق بينها وبين الخيالية الصرفة موازين يعرفها أرباب الذوق والشهود بحسب مكاشفاتهم كما أن للحكماء ميزاناً يفرّق بين الصواب والخطأ وهو المنطق .

(منها) : « ما هو ميزان عام وهو القرآن والحديث المنبىء كل منهما

---

(١) البحار (ج ٦١، ص ٢١١) نقلاً عن كتاب كنز الفوائد للكراجي.

على الكشف التام المحمدي (ص) » .

(ومنها) : « ما هو خاص وهو ما يتعلق بحال كل منهم القابض عليه من الإسم الحاكم والصفة العالية عليه وسنومي في الفصل التالي (أي السابع) بعض ما يعرف به إجمالاً »(١) .

أقول : « فترى أن الميزان عندهم لكون ما يرد على القلب وما ينكشف له - سواء بالرؤية في المنام أو في اليقظة أو بغير الرؤية من الإلهام القلبي وغيره - الميزان بين الحق والحقيقي منه وبين الباطل والشيطاني والخيالي الذي لا واقعية له هو القرآن الكريم والسنّة المطهرة » .

وقد برهن الشارح القيصري على ذلك بحسب مصطلح علم العرفان بقوله في الفصل السابع .

« ولما كان كل من الكشف الصوري والمعنوي على حسب استعداد السالك ومناسبات روحه وتوجّه سرّه إلى كل من أنواع الكشف وكانت الاستعدادات متفاوتة والمناسبات متكثرة صارت مقامات الكشف متفاوتة بحيث لا يكاد ينضبط وأصح المكاشفات وأتمها إنما يحصل لمن يكون مزاجه الروحاني أقرب إلى الاعتدال التام كأرواح الأنبياء والكمل من الأولياء (صلوات الله عليهم) »(٢) .

ولذا تقرر عندهم أن كل كشف فهو يعرض على كشف الأنبياء والرسل (عليهم السلام) فإن وافقه فيعلم صحته وإلا فيعلم فساده ، وأن الكشف المعصوم من الباطل هو كشف الأنبياء المتجلّي في الكتب السماوية

---

(١) شرح الفصوص للقيصري (ص ٣٢).
(٢) شرح القيصري (ص ٣٦)، وهو يشير إلى ما روي عن أمير المؤمنين (ع) عندما سئله بعض اليهود عن تعلم الفلسفة. راجع الكلمات المكنونة للفيض (ص ٧٨).

التي يبعثون بها وكذلك أقوالهم وأفعالهم .

وذكر أيضاً السيد حيدر بن علي الحسيني الأملي ـ والذي وصفه القاضي التستري (في مجالس المؤمنين) بالعارف المحقق الأوحد من أصحابنا الإمامية المتألهين[1] ـ (في كتابه جامع الأسرار ومنبع الأنوار) .

« وأما الإلهام العام فيكون بسبب وغير سبب ويكون حقيقياً وغير حقيقي فالذي يكون بالسبب ويكون حقيقياً فهو بتسوية النفس وتحلّيتها وتهذيبها بالأخلاق المرضية والأوصاف الحميدة موافقاً للشرع ومطابقاً للإسلام لقوله تعالى : ﴿ **ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ والذي يكون بغير السبب ويكون غير حقيقي فهو يكون لخواص النفوس واقتضاء الولادة والبلدان كما يحصل للبراهمة والكشايش (القساوسة) والرهبان » .

والتمييز بين هذين الإلهامين محتاج إلى ميزان إلهي ومحك ربّاني ، وهو نظر الكامل المحقق والإمام المعصوم والنبي المرسل المطلع على بواطن الأشياء على ما هي عليه واستعدادات الموجودات وحقائقها ، ولهذا احتجنا بعد الأنبياء والرسل (عليهم السلام) إلى الإمام والمرشد لقوله تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذِكْرِ إن كنتم لا تعلمون** ﴾ لأن كل واحد ليس له قوة التمييز بين الإلهامين الحقيقي وغير الحقيقي وبين الخاطر الإلهي والخاطر الشيطاني وغير ذلك والذكر هو القرآن أوالنبي وأهله هم أهل بيته من الأئمة المعصومين المطّلعين على أسرار القرآن وحقائقه ودقائقه ولقوله تعالى أيضاً تأكيداً لهذا المعنى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول** ﴾ أي إلى أهل الله تعالى وأهل رسوله والآيات الدالة على متابعة الكامل والمرشد الذي هو الإمام المعصوم أو العلماء الورثة من خلفائهم كثيرة فارجع إليها لأن هذا ليس موضعها .

---

(١) وقد اجتمع في سفره من آمل إلى العراق بفخر المحققين ابن العلامة الحلي فأجاز له رواية المسائل المدنية (المهنائية) كما ذكر ذلك في أعيان الشيعة .

فنرجع ونقول : « وإن تحققت عرفت أيضاً أن الخواطر التي قسموها إلى أربعة أقسام : إلهي وملكي وشيطاني ونفساني كان سببه ذلك أي عدم العلم بالإلهامين المذكورين أعني الحقيقي وغير الحقيقي لأنها كلها من أقسام الإلهام وتوابعه »[1] .

ونقل المتقي الهندي صاحب كنز العمال في كتابه (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان)[2] عن الشيخ الحسن الشاذلي المالكي رئيس الطريقة الشاذلية (الصوفية) أنه قال : « إن الله تعالى ضمن العصمة في جانب الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف والإلهام » .

ونقل عن أبي القاسم القشيري النيشابوري الأشعري الشافعي (الصوفي المفسر المحدث الفقيه العارف) أنه قال : « لا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة من الخطأ والزلل » .

هذا وقد عقد الشيخ الكليني في أصوله تحت عنوان أن للقلب أذنين ينفث فيهما الملك والشيطان وروى عن الصادق (ع) :

« ما من قلب إلا وله أذنان على إحداهما ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن هذا يأمره وهذا يزجره ، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ » .

وقال (ع) : « ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه أذن ينفث فيهما الوسواس الخنّاس وأذن ينفث فيهما الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله : ﴿ **وأيدهم بروح منه** ﴾ »[3] .

---

(١) جامع الأسرار (ص ٤٥٥).

(٢) ص ٦٦.

(٣) الكافي (ج ٢ ، ص ٢٦٦) والمراد من القلب ههنا هو المعنوي (الروح) لا الصنوبري.

و (سئل) السيد مهنابن سنان العلامة الحلي (قده) عن مفاد هذه الرواية وأنه لو فرض أن الرؤية متضمنة للأمر بالشيء أو النهي عن شيء فهل يتمثل ذلك الأمر ويجتنب المنهي أم لا ، سيما إذا كان خلاف ظاهر الشريعة .

(فأجابه) ـ نوّر الله ضريحه ـ : « أما ما يخالف الظاهر فلا ينبغي المصير إليه وأما ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب ورؤيته (ص) لا يعطي وجوب الاتباع في المنام[1] .

(الخامسة) :

ما هو مفاد الرواية ودلالتها ؟ فقد تعددت الآراء في ذلك :

أ ـ ما حكى عن الفيض الكاشاني أن معنى الرواة هو من رآني أي تحقق وتيقن من رؤية صورتي لأنه قد رآه في اليقظة . فقد رآه تحقيقاً وحقيقة لأن الشيطان لا يتمثل بصورته (ص) .

وحينئذ يكون مفاد الحديث مخصوص بمن شهد زمانه (ص) أو أحد الأئمة في ظهورهم (عليهم السلام) أو من عرف أوصافهم (صلوات الله عليهم) وشمائلهم المنقولة في الكتب بدقة .

وهذا الإلحاق والتتمة من بعض المتأخرين ويشهد له التعليل في الرواية لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ، فإن ذلك يعني حصر الرؤية بصورهم المختصة بهم (صلوات الله عليهم) وهي التي كانوا عليها في حياتهم من شمائلهم الخاصة بهم .

ب ـ ما أفاده السيد المرتضى (رحمه الله) في كتاب الغرر والدرر وهو : « من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة لأن الشيطان لا يتمثل بي لليقظان »

---

(١) أجوبة المسائل المهنائية، (مسألة ١٥٩، ص ٩٧).

فقد قيل : « إن الشياطين ربما تمثلت بصورة البشر وهـذا التشبيه أشبـه بظاهـر ألفاظ الخبر » لأنه قال : « من رآني فقـد رآني » ، فأثبت غيـره رائياً لـه ونفسه مرئية ، وفي النوم لا رائي له في الحقيقة ولا مرئي وإنمـا ذلك في اليقـظة ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد أنه يراني في منامه وإن كان غير راء له على الحقيقة فهو في الحكم كأنـه قد رآني وهـذا عدول عن ظـاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته »[1] انتهى .

أقول : « ما أفاده السيد يفهم من الكلام المتقدم للشيخ المفيد ولكن هذا المفاد ينسجم مع بعض الروايات المنقولة بطرق العامة حيث لم يقيد فيها الرؤية بكونها في المنام » .

ج ـ أن المراد هو الزيارة بالزاي المنقـوطة المعجمـة إذ في كتاب عيـون الشيخ الصدوق وهي الـرواية التي نقلهـا العلامـة المجلسي في كتاب البحـار ونقلهـا أيضاً عن مجـالس (أمالي) الصـدوق من زارني في منامـه فقد رآني » بالزاي المعجمة نعم في (الأمالي) بالراء غير المعجمة وحينئذ يكون المعنى أن الـزيارة في المنـام تعدل الـزيارة في اليقـظة في الثواب ويمكن أن تقـرب هذه النسخة بأن في ابتداء الرواية الكلام كان حول ثواب زيارة الإمام الرضا (ع) .

ولكن نسخة الراء غير المعجمة أنسب بمجموع الرواية .

د ـ أن المـراد هو بيـان فضيلة هذه الـرؤية والتشـرف بهم (صلوات الله عليهم) وصدق ما يخبرون به في المنام إذا رآهم النائم بصورهم الخاصة بهم ويشهد ذلك مورد الرواية التي بطرقنا والروايات التي بطرق العامة فإن الاستشهاد بـ « من رآني في منـامه فقـد رآني لأن الشيطان لا يتمثـل في صـورة أحـد من أوصيائي » في الرواية وقع للإستدلال بصدق ما أخبـر به النـائم في الرؤيـا من

---

(١) البحار (ج ٦١، ص ٢١٦).

قبلهم (ع) .

ثم ليتنبه إلى أن الأمر والنهي في الرؤية (تارة) يكون كتشريع حكم كلي وأنه لا يختص بالنائم بل لسائر المكلفين فهذا ليس إلا وحي يختص به الأنبياء .

(وتارة) يكون أمر جزئي شخصي للنائم خاصة لمرة واحدة فقط مثل ابن مسجداً أو تصدق بكذا من مالك ونحو ذلك فهذا الذي تقدم أنه إن وافق الشريعة فلا حرج في المتابعة من دون وجوب شرعي كما أفاده العلامة الحلي (قده) وجزم بصحة (الرؤية) الشيخ المفيد وإن عارض وخالف الشريعة فلا ينبغي المصير إليه كما عبّر بذلك العلاّمة الحلي وقطع ببطلانه الشيخ المفيد .

ولنختم هذا الأمر برواية عن الإمام الصادق (ع) أخرجها المجلسي (رحمه الله) عن كتاب مصباح الشريعة قال :

« إن الله عزّ وجلّ مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته وعلّمهم من مخزون علمه وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه فلا يشبه أخلاقهم وأحولهم أحد من الخلائق أجمعين ، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه ، وجعل حبهم وطاعتهم سبب رضاه وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه وأمر كل قوم باتباع ملّة رسولهم ، ثم أبى أن يقبل طاعة أحد إلا بطاعتهم ومعرفة حقّهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله فعظم جميع أنبياء الله ، ولا تنزلهم بمنزلة أحد من دونهم ، ولا تتصرّف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلا ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقق بها فضائلهم ومراتبهم وأنى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله ؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم وأنكرت معرفتهم وجهلت خصوصيتهم بالله ، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمرعفة فإياك ثم إياك »[1] .

---

(١) البحار (ج ١١، ص ٣٧).

وليعلم أن من خواص النبي (ص) والأوصياء أنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ووردت بذلك الروايات المستفيضة .

كما وللسيد المرتضى ـ رفع الله درجته ـ تحقيقاً في المقام يكون نهاية للمطاف قال في كتاب (الغرر والدرر) .

« إعلم أن النائم غير كامل العقل لأن النوم ضرب من السهو والسهو بنفي العلوم ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه ، وجميع المنامات إنما هي اعتقادات يبتدئها النائم في نفسه ، ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه ، لأن من عداه من المحدثين سواء كانوا بشراً أو ملائكة أو جناً أجسام والجسم لا يقدر أن يفعل في غيره اعتقاداً ابتداء بل ولا شيئاً من الأجناس على هذا الوجه وإنما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء وإنما قلنا أنه لا يفعل في غيره جنس الاعتقادات متولداً لأن الذي يعدي الفعل من محل القدرة إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتمادات وليس جنس الاعتمادات ما يولد الاعتقادات ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولد فيه شيء من الاعتقادات وقد بيّن ذلك وشرح في مواضع كثيرة والقديم تعالى هو القادر أن يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات » .

« ولا يجوز أن يفعل في قلب النائم اعتقاداً لأن أكثر اعتقادات النائم جهل ، ويتأول الشيء على خلاف ما هو به ، لأنه يعتقد أنه يرى ويمش وأنه راكب وعلى صفات كثيرة وكل ذلك على خلاف ما هو به ، وهو تعالى لا يفعل الجهل فلم يبق إلا أن الاعتقادات كلها من جهة النائم وقد ذكر في المقالات أن المعروف بصالح كان يذهب إلى ما يراه النائم في منامه على الحقيقة وهذا جهل منه يضاهي جهل السوفسطائية لأن النائم يرى أن رأسه مقطوع وأنه قد مات وأنه قد صعد إلى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله ، وإذا جاز عنده صالح هذا أن يعتقد اليقظان في السراب أنه ماء وفي المردي (خشبة يدفع بها الملّاح

السفينة) إذا كان في الماء أنه مكسور وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس فألا جاز ذلك في النائم وهو من الكمال أبعد ومن النقص أقرب ؟ »[1] انتهى كلامه .

وللحكماء والفلاسفة تحقيقات حول أقسام الرؤية بلحاظ عالم الخيال والعقل والقوة الواهمة وغير ذلك لا يسع المقام لها .

وفي الروايات المأثورة عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ما يهتدى به إلى كثير من أبحاث المقام .

الامر السادس :

في ذكر نبذة من أحوال النواب الأربعة والسفراء في الغيبة الصغرى (رضوان الله تعالى عليهم) :

قال الصدوق : حدثنا محمد بن ابراهيم بن إسحاق الطالقاني (رضي الله عنه) قال : « كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قده) مع جماعة فيهم علي بن عيسى القصري فقام إليه رجل فقال له : إني أريد أن أسألك عن شيء ؟ فقال له : سل عما بدا لك . فقال الرجل : أخبرني عن الحسين بن علي (عليهما السلام) أهو ولي الله ؟ قال : نعم » .

قال : « أخبرني عن قاتله أهو عدو الله . قال : نعم . قال الرجل : فهل يجوز أن يسلّط الله عزّ وجلّ عدوّه على وليّه ؟ فقال له أبو القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) : إفهم عنّي ما أقول لك إعلم أن الله عزّ وجلّ لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ولا يشافههم بالكلام ، ولكنه جلّ جلاله يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم ، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم ، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون

---

(١) البحار (ج ٦١، ص ٢١٤).

الطعام ويمشون في الأسواق قالوا لهم : « أنتم بشر مثلنا ولا نقبل منكم حتى تأتونا بشيء نعجز أن نأتي بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه » فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها » .

« فمنهم من جاء بالطوفان بعد الانذار والأعذار ، فغرق جميع من طغى وتمرّد ، ومنهم من ألقي في النار فكانت برداً وسلاماً » .

« ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة وأجرى من ضرعها لبناً » .

« ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون » .

« ومنهم من أبرأ الأكمة والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم » .

« ومنهم من انشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك » .

فلمّا أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق عن أمرهم ، وعن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله عزّ وجلّ ولطفه وحكمته أن جعل أنبياءه (عليهم السلام) مع هذه القدرة والمعجزة في حالة غالبين وأخرى مغلوبين وفي حال قاهرين وفي أخرى مقهورين ولو جعلهم الله عزّ وجلّ في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس ألهة من دون الله عزّ وجلّ ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار .

ولكنه عزّ وجلّ جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلاء صابرين وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين.

وليعلم العباد أن لهم (عليهم السلام) إلهاً هو خالقهم ومدبرهم فيعبدوه

ويـطيعوا رسله وتكـون حجة الله ثـابتة على من تجـاوز الحد فيهم وادعى لهم الـربـوبيـة أو عـانـد أو خـالف وعصى وجحـد بمـا أتت بـه الـرسـل والأنبيـاء (عليهم السـلام) « ليهلك من هلك عن بيّنـة ويحيى من حيّ عن بيّنة » .

قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق (رضي الله عنه) فعدت إلى الشيخ أبي القاسم بن روح (قدس روحه) من الغد وأنا أقول في نفسي : أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه فابتدأني فقال لي : يا محمد بن إبراهيم لأن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أو تهـوى بي الريـح في مكان سحيق أحب إليّ من أن أقول في دين الله عزّ وجلّ برأيي أو من عند نفسي بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه وسلامه »[1] .

قال الشيخ الطوسي : « أخبرني الحسين بن عبيـد الله (أستاذه) عن أبي الحسن محمد بن داود القمي قال : حدثني سلامة بن محمد قال : أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رضي الله عنـه) كتاب التـأديب إلى قم وكتب إلى جمـاعـة الفقهاء بها ، وقال لهم : أنظروا في هذا الكتاب وانظروا فيه شيء يخالفكم ؟ فكتبوا إليه أنه كله صحيح وما فيه شيء يخـالف إلا قولـه : الصاع في الفـطرة نصف صاع من طعام والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع »[2] .

وقال الشيخ الصدوق أخبرنا محمد بن علي بن متيـل قال : كـانت امرأة يقـال لها : زينب من أهـل آبـة وكـانت امـرأة محمـد بن عبـديـل الأبي معهـا ثلاثمائـة دينار فصـارت إلى عمي جعفر بن محمـد بن متيل وقـالت : أحب أن أسلم هذا المال من يد إلى يد أبي القاسم بن روح قال : فأنفدني معها أترجم عنها فلما دخلت على أبي القـاسم (رضي الله عنه) أقبـل يكلمها بلسـان آبي

---

(١) إكمال الدين (ص ٥٠٧).

(٢) الغيبة (ص ٢٤٠).

فصيح فقال لها : « زينب ! جونا ، خوبذا ، كوابذا ، جون استه »[1] ومعناه كيف أنت ؟ وكيف كنت ؟ وما خبر صبيانك ؟ قال : فاستغنت عن الترجمة وسلمت المال ورجعت »[2] .

وقال الشيخ الطوسي أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أيوب بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني في الغيبة الصغرى) قال : حدثتني أم كلثوم بنت أبي جعفر (رضي الله عنه) قالت : كان أبو القاسم الحسين بن روح (رضي الله عنه) وكيلاً لأبي جعفر (رضي الله عنه) سنين كثيرة ينظر له في أملاكه ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة وكان خصيصاً به حتى أنه كان يحدثه بما يجري بينه وبين جواريه لقربه منه وأنسه » .

قالت : « وكان يدفع إليه في كل شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم لجاهه ولموضعه وجلالة محله عندهم ، فحصل في أنفس الشيعة محصلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاص أبي إياه وتوثيقه عندهم ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر فمهدت له الحال في طول حياة أبي إلى أن انتهت الوصية إليه بالنص عليه » .

فلم يختلف في أمره ولم يشك فيه أحد إلا جاهل بأمر أبي أو لا مع ما لست أعلم أن أحداً من الشيعة شك فيه ، وقد سمعت هذا من غير واحد من بني نوبخت (رحمهم الله) مثل أبي الحسن بن كبرياء وغيره »[3] .

وبني النوبخت هو البيت الذي ينتمي إليه النائب الثالث في الغيبة

---

(١) لسان آو جي محلي .

(٢) كمال الدين (ص ٥٠٣) .

(٣) الغيبة (ص ٢٢٧) .

الصغرى وهو أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي (رضوان الله تعالى عليه) ، وهذا البيت خرج منه العلماء في الفنون المختلفة سيما علم الكلام فقد تصدر هذا البيت رئاسة هذا العلم في الشيعة سنين طويلة وكذلك في علم النجوم والعلوم الأخرى .

وقال الطوسي أخبرني جماعة عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن بابويه القمي (أخي الصدوق محمد بن علي بن بابويه وكلا الأخوين ولدا بدعاء الإمام العسكري (ع) وأبوهما كان وكيلاً له) قال : حدثني جماعة من أهل قم منهم عمران الصفار وقريبه علوية الصفار والحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن إدريس (رحمهم الله) .

قالوا : حضرنا بغداد في السنة التي توفي فيها أبي علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ـ وكان أبو الحسن علي بن محمد السمري (قدّس سرّه) ـ « وهو النائب الرابع في الغيبة الصغرى » يسألنا كل قريب عن خبر علي بن الحسين (رحمه الله) فنقول قد ورد الكتاب باستقلاله حتى كان اليوم الذي قبض فيه فسألنا عنه فذكرنا له مثل ذلك ، فقال : آجركم الله في علي بن الحسين فقد قبض في هذه الساعة (قالوا) فأثبتنا تأريخ الساعة واليوم والشهر ، فلما كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ورد الخبر أنه قبض في تلك الساعة التي ذكرها الشيخ أبو الحسن (السمري) (قده) »[1] .

ورواه أيضاً عن جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (الصدوق) قال : حدثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقاني (رحمه الله) في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد ، قال : حضرت بغداد عند

---

(١) الغيبة (ص ٢٤٣).

المشـايخ (رحمهم الله) « وجهـاء وعلماء الـطائفة » فقـال الشيـخ أبـو الحسن علي بن محمد السمري (قدس سرّه) ابتداء منه : رحم اا علي بن الحسين بن بابويه القمي (قال) : فكتب المشايخ تأريخ ذلك اليوم فورد الخبر أنه توفي في ذلك اليوم ومضي أبو الحسن السمري (رضي الله عنه) في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة »[1] .

وروى الصدوق بسنده عن أحمد الداودي قـال : كنت عند أبي القـاسم الحسين ابن روح (قـدس الله روحـه) فسـألـه رجـل مـا معنى قـول العبـاس للنبي (ص) : « إن عمك أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل ـ وعقد بيده ثلاثة وستين ـ فقال عني بذلك إله أحد جواد . وتفسير ذلك أن الألف واحـد واللام ثلاثون والهاء خمسة والألف واحد والحاء ثمانية والدال أربعة والجيم ثلاثة والواو ستة والألف واحد والدال أربعة فذلك ثلاثة وستون »[2] .

وقال الصدوق : حدثنا الحسين بن علي بن محمد القمي المعروف بأبي علي البغدادي قال : « كنت ببخارى فدفع إلى المعروف بـابن جاوشبـر عشرة سبائك ذهباً وأمرني أن أسلمها بمدينة السلام إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدّس الله روحه) فحملتها معي فلما بلغت آمويه[3] ضاعت مني سبيكة من تلك السبائك ولم أعلم بذلك حتى دخلت مدينة السلام » .

« فأخرجت السبائك لأسلمها فوجدتها قد نقصت واحدة فاشتريت سبيكة مكانها بوزنها وأضفتها إلى التسع السبـائك ثم دخلت على الشيـخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) ووضعت السبائك بين يديه » .

فقال لي : « خذ تلك السبيكة التي اشتريتها ـ وأشار إليها بيده ـ وقـال :

(١) الغيبة (ص ٢٤٢).

(٢) إكمال الدين (ص ٥١٩).

(٣) مدينة آمل في شمال ايران.

إن السبيكة التي ضيعتها قد وصلت إلينا وهو ذاهي ثم أخرج إلى تلك السبيكة التي كانت ضاعت مني بآمويه فنظرت إليها فعرفتها » .

قال الحسين بن علي بن محمد المعروف بأبي البغدادي : « ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألتني عن وكيل مولانا (ع) من هو ؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح وأشار إليها فدخلت عليه وأنا عنده فقالت له : أيها الشيخ أي شيء معي ؟ فقال : ما معك فألقيه في الدجلة ثم ائتيني حتى أخبرك » .

قال : « فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته في الدجلة ثم رجعت ودخلت إلى أبي القاسم الروحي (قدس الله روحه) فقال أبو القاسم لمملوكة له : اخرجي إلى الحق فأخرجت إليه حقّه فقال للمرأة : هذه الحقة التي كانت معك ورميت بها في الدجلة أخبرك بما فيها أو تخبريني ؟ فقالت له : بل أخبرني أنت ، فقال : في هذه الحقة زوج سوار ذهب وحلقة كبيرة فيها جوهرة وحلقتان صغيرتان فيهما جوهر وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق فكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً » .

« ثم فتح الحقة فعرض علي ما فيها فنظرت أليه فقالت : هذا الذي حملته بعينه ورميت به في الدجلة ، فغشي علي وعلى المرأة فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة ثم قال الحسين لي بعد ما حدثني بهذا الحديث : أشهد عند الله عزّ وجلّ يوم القيامة بما حدثت به أنه كما ذكرته لم أزد فيه ولم أنقص منه وحلف بالأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم) لقد صدق فيما حدث به وما زاد فيه وما نقص منه »[1] .

وروى الشيخ الطوسي عن مشايخه عن أبي الحسن علي بن محمد الدلال

---

(١) إكمال الدين (ص ٥١٨).

القمي قال : « دخلت على أبي جعفر محمد بن عثمان « النائب الثاني » (رضي الله عنه) يوماً لأسلم عليه فوجدته وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمة (عليهم السلام) على حواشيها فقلت له : يا سيدي ما هذه الساجة ؟ فقال لي : هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها « أو قال : أسند إليها » وقد عرفت منه ، وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فيه فأصعد » .

وأظنه (قال) : فأخذ بيدي وأرانيه ، فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله عزّ وجل ودفنت فيه وهذه الساجة معي فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره ولم أزل مترقباً به ذلك فما تأخّر الأمر حتى اعتل أبو جعفر فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها ودفن فيه »[1] .

وروي بسنده عن محمد بن علي بن الأسود القمي أن أبا جعفر العمري (قده) حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج فسألته عن ذلك فقال : « للناس أسباب . وسألته عن ذلك فقال : قد أمرت أن أجمع أمري فمات بعد ذلك بشهرين (رضي الله عنه وأرضاه) .

وقال الشيخ الطوسي وأخبرنا عن أبي محمد هارون بن موسى (شيخ الطائفة في زمانه) قال : « أخبرني أبو علي محمد بن همام (أشهر من أن يعرف) (رضي الله عنه وأرضاه) أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري (قدس الله روحه) جمعنا قبل موته ـ وكنا وجوه الشيعة وشيوخها ـ فقال لنا :

« إن حدث على حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه » .

---

(١) الغيبة (ص ٢٢٢).

وروى أيضاً بسنده إلى أبي إبراهيم جعفر بن أحمد النوبختي (قال) قال لي أبو أحمد ابن إبراهيم وعمي أبو جعفر عبد الله بن إبراهيم وجماعة من أهلنا - يعني بني نوبخت - :

« أن أبا جعفر العمري لمّا اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة منهم أبو علي بن همام وأبو عبد الله بن محمد الكاتب وأبو عبد الله الباقطاني وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر فدخلوا على أبي جعفر (رض) فقالوا له :

إن حدث أمر فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (ع) والوكيل والثقة والأمين فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت »[1] .

وقال الشيخ (قال ابن نوح) « أخبرني أبو نصر هبة الله ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر (قال) : كان لأبي جعفر العمري محمد بن عثمان العمري كتب مصنفة في الفقه مما سمعها من أبي محمد الحسن (العسكري) (ع) ومن الصاحب (ع) ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبي محمد وعن أبيه علي بن محمد (عليهما السلام) فيها كتب ترجمتها كتب الأشربة ذكرت الكبيرة أم كلثوم بنت أبي جعفر (رضي الله عنه) أنها وصلت إلى أبي القاسم الحسين بن روح (رضي الله عنه) عند الوصية إليه كانت في يده » .

(قال أبو نصر) : « وأظنها قالت وصلت بعد ذلك إلى أبي الحسن السمري (رضي الله عنه وأرضاه) »[2] .

(١) الغيبة (ص ٢٢٧).
(٢) الغيبة (ص ٢٢١).

وقال (قال أبو العباس) : « وأخبرني هبة الله بن محمد بن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري (رضي الله عنه) عن شيوخه قالوا : لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد ومحمد بن عثمان (رحمهماالله تعالى) إلى أن توفي أبو عمرو عثمان بن سعيد (رحمه الله تعالى) وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان وتولى القيام به وجعل الأمر كله مردوداً إليه والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن (العسكري) (ع) وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد لا يختلف في عدالته ولا يرتاب بأمانته » .

والتوقيعات تخرج عل يده إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره ولا يرجع إلى أحد سواه وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة وهي مشهورة عند الشيعة وقد قدمنا طرفاً منها فلا نطول بإعادتها فإن ذلك كفاية للمنصف إن شاء الله تعالى »[1] .

وقال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة : (فأما السفراء الممدوحون في زمان الغيبة) : فأولهم من نصّبه أبو الحسن علي بن محمد (الهادي) العسكري وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابنه (عليهم السلام) وهو الشيخ الموثوق به أبو عمر عثمان ابن سعيد المري (رحمه الله) وكان أسدياً » .

(إلى أن قال) : « فأخبرني جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى عن أبي علي محمد بن همام الإسكافي قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال : حدثنا أحمد بن إسحاق ابن سعد القمي[2] قال : دخلت على أبي

(١) الغيبة (ص ٢٢٠).

(٢) السند والطريق كلهم من أعلام وأجلاء الطائفة.

الحسن علي بن محمد (الهادي) صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت : يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل وأمر من نمتثل ؟ فقال لي (صلوات الله عليه) : « هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني بقوله ، وما أداه إليكم فعنى يؤديه .

فلما مضى أبو الحسن (الهادي) (عليه السلام) وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري (عليه السلام) مثل قولي لأبيه فقال لي : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات فما قاله لكم فعنى بقوله وما أدى إليكم فعنى يؤديه .

(قال أبو محمد هارون) : « قال أبو علي : قال أبو العباس الحميري فكنّا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محل أبي عمرو »[1] .

وروى بسنده إلى محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا : « دخلنا على أبي محمد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل عليه بدر خادمه فقال : يا مولاي بالباب قوم شعث غبر فقال لهم : هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن » .

(في حديث طويل يسوقانه) إلى أن ينتهي إلى أن قال الحسن (العسكري) (ع) لبدر : فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري .

فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان فقال له : سيدنا أبو محمد (ع) : امضِ يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال (ثم ساق الحديث) إلى أن قالا : ثم قلنا بأجمعنا يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى ، قال : نعم واشهدوا على أن عثمان بن

---

(١) الغيبة (ص ٢١٥).

سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمد وكيل ابني مهديكم »[1] .

وروى بسنده عن جماعة من الشيعة منهم محمد بن معاوية بن حكيم والحسن ابن أيوب بن نوح (في خبر طويل مشهور) قالوا جميعاً :

« اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي (العسكري) (ع) نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه (ع) أربعون رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري . فقال له : يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به منّي فقال له : اجلس يا عثمان فقام مغضباً ليخرج فقال : لا يخرجن أحد فلم يخرج منّا أحد إلى أن كان بعد ساعة فصاح (ع) بعثمان فقام على قدميه فقال : أخبركم بما جئتم ؟ قالوا : نعم يا بن رسول الله (قال) : جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي قالوا : نعم فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد (ع) فقال : هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم إلا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر ، فاقبلوا من عثمان ما يقولوا ، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه (في حديث طويل)[2] .

وقال (وأخبرنا جماعة) عن أبي القاسم جعفر بن محمد قولويه وأبي غالب الزراري وأبي محمد التلعكبري كلهم عن محمد بن يعقوب الكليني (رحمه الله تعالى) عن محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر الحميري[3] .

قال : « اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمي فغمزني أحمد أن أسأله عن الخلف فقلت له يا أبا عمر إني أريد

---

(١) الغيبة (ص ٢١٦).
(٢) الغيبة (ص ٢١٦).
(٣) والطريق كله من أعلام الطائفة وشيوخها.

أن أسـألك ومـا أنا بشـاكّ فيما أريـد أن أسألـك عنه فـإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بـأربعين يومـاً فإذا كـان ذلك وقعت الحجة وغلق باب التوبة فلم يكن ينفع نفساً إيمـانها لم تكن آمنت من قبـل أو كسبت في إيمانها خيراً فأولئـك أشرار من خلق الله عـزّ وجلّ وهم الـذين تقوم عليهم القيامة » .

« ولكن أحببت أن أزداد يقيناً فإن إبراهيم (ع) سأل ربـه أن يريـه كيف يحيي الموتى فقال : ﴿ **أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ .

وقد أخبرنا أحمد بن إسحاق أبو علي عن أبي الحسن (ع) قال : « سألته فقلت له : لمن أعامل وعمن آخذ وقول من أقبل ؟ فقال له : العمري ثقتي فما أدى إليـك فعني يؤدي وما قـال لك فعني يقـول فاسمـع له وأطـع فـإنـه الثقـة المأمون » .

(قال) : « وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد الحسن بن علي عن مثل ذلك فقال له : العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان فهذا قول إمامين قد مضيا فيك » .

(قال) : « فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال : سل فقلت لـه : أنت رأيت الخلف من أبي محمد (ع) فقال : إي والله ورقبته مثل ذا وأومـأ بيديـه فقلت له : فبقيت واحدة فقال لي : هات هات فالإسم قال : محرم عليكم أن تسـألوا عن ذلـك ولا أقـول هـذا من عنـدي وليس لي أن أحلل وأحـرم ولكن عنـه (ع) فإن الأمـر عند السلطان أن أبـا محمد (ع) مضى ولم يخلف ولـداً وقسّم ميراثه وأخذه من لاحق له وصبر على ذلك ، وهو ذا عياله يجولون وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً وإذا وقع الإسم وقع الطلب فاتقوا الله

وأمسكوا عن ذلك »[1] .

وروي عن جماعة عن الصدوق عن ابن هارون القامي عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه قال : « خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (قدس الله روحه) ـ في التعزية بأبيه ـ (رضي الله عنه) وفي فصل من الكتاب .

« إنا لله وإنا إليه راجعون تسليماً لأمره ورضاء بقضائه عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه (ع) فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم ، نضر الله وجهه وأقاله عثرته » .

وفي فصل آخر « أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسره الله في منقلبه كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه .

وأقول : « الحمد لله فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عزّ وجل فيك وعندك أعانك الله وقواك وعضدك ووفقك وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً »[2] .

أقول : « هذا طرف يسير من ما ورد في النواب الأربعة في الغيبة الصغرى (٢٦٠ ـ ٣٢٩ هـ .ق) ومنه تتنبه لمراد الشيخ الطوسي حيث يقول :

« وقد نقلت عنه (أي عن النائب الثاني) دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم (أي زادت الشيعة) في هذا الأمر بصيرة وهي مشهورة عند الشيعة »[3] .

---

(١) الغيبة (ص ٢١٨).
(٢) الغيبة (ص ٢١٩).
(٣) الغيبة (ص ٢٢١).

ولمراد الشيخ الطبرسي حيث يقول :

« ولم يقم أحـد منهم (أي من الأربعة) إلا بنص من قبل صاحب الأمر (ع) ونصب صاحبه الذي تقدم عليه ، ولم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدل على صدق مقالتهم وصحة بابيتهم »[٣] .

أقـول : « بل النائب الأول والثاني نص عليهما الإمام الحسن العسكري (ع) كما تقدمت الرواية التي رواها الطائفة عن الإمام العسكري (ع) والنائب الأول كان وكيلاً خاصاً للإمام الهادي (ع) ثم للإمام الحسن العسكري (ع) ثم سفيراً للصاحب (عج) » .

« فليتنبه اللبيب إلى كيفية ثبوت سفارة النواب الأربعة وبدؤها وانتهاؤها لدى الشيعة وأعلامها وشيوخها وأن ذلك كان بحضور الإمام العسكري (ع) ثم تنصيص كل على الآخر مع ما ظهر من البراهين والدلائل على أيديهم ومع مكانتهم العلمية والفقهية وجلالة محلهم لدى علماء الطائفة » .

الامر السابع :

قال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة « ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله » .

(أولهم) : المعروف بالشريعي (أخبرنا) جماعة عن أبي محمد التلعكيري (هارون ابن موسى) عن أبي علي محمد بن همام .

(قال) : « كان الشريعي يكنى بأبي محمد » (قال) هارون : « وأظن اسمه كان الحسن وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد (الهادي) ثم

---

(٣) الاحتجاج (ج ٢، ص ٢٩٧).

الحسن بن علي بعده (عليهم السلام) وهو أول من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له وكذب على الله وعلى حججه (عليهم السلام) ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء فلعنته الشيعة وتبرّأت منه وخرج الإمام (ع) بلعنه والبراءة منه » .

(قال هارون) ثم ظهر منه القول بالكفر والالحاد (قال) : « وكل هؤلاء المدعين إنما يكون كذبهم أولاً على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية (وهو القول بالحلول أي حلول الله عزّ وجلّ والعياذ بالله فيهم) كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى »[1] .

(ومنهم) : محمد بن نصير النميري (قال ابن نوح) : « أخبرنا أبو نصر هبة الله ابن محمد (قال) : « كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) فلما توفي أبو محمد ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان وادّعى له البابية وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبرئه منه واحتجابه عنه وادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي » .

(قال أبو طالب الأنباري) : « لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (النائب الثاني أبو جعفر العمري) (رضي الله عنه) ـ وتبرأ منه فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر ـ (رضي الله عنه) ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه ورده خائباً » .

(وقال) : سعد بن عبد الله : « كان محمد بن نصير النميري يدعي أنه

---

(١) أقول: وهذا المسير بعينه سار فيه الملعون مدعي البابية في إيران في القرن الثالث عشر الهجري فادعى أولاً الوكالة ثم المهدوية ثم إلى الأباطيل الأخرى التي سنوافيك بها في فصل لاحق.

رسول نبي وأن علي بن محمد (الهادي) (ع) أرسله وكان يقول بالتناسخ (أي أن أرواح الأموات تحل في أجسام الأحياء) ويغلو في أبي الحسن (ع) ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أديارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات وإن الله عزّ وجلّ (تعالى الله) لا يحرم شيئاً من ذلك وكان محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات يقوي أسبابه ويعضده (أي كان داعية له وناشر لأكذوبته) » .

(أخبرني) : « بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان أنه رآه عياناً وغلام له على ظهره (قال) : فلقيته فعاتبته على ذلك فقال أن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر » .

قال سعد : « فما اعتمد محمد بن نصير العلة التي توفى فيها قبل له وهو مثقل اللسان لمن هذا الأمر من بعدك ؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج أحمد فلم يدروا من هو ، فافترقوا بعده ثلاث فرق ، قالت فرقة : أنه أحمد ابنه وفرقة قالت : هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات ، وفرقة قالت : إنه أحمد بن أبي الحسين بن بشر ابن يزيد فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء » .

(ومنهم) : أحمد بن هلال الكرخي قال أبو علي بن همام : « كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد (العسكري) (ع) فاجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رضي الله عنه) بنص الحسن (ع) في حياته ولما مضى الحسن (ع) قالت الشيعة الجماعة له : ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة (أي الإمام العسكري (ع)) ؟ فقال لهم : لم أسمعه بنص عليه بالوكالة وليس أنكر أباه - يعني عثمان ابن سعيد - فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه فقالوا : قد سمعه غيرك » .

فقال : « أنتم وما سمعتم ووقف على أبي جعفر فلعنوه وتبرّؤا منه ثم ظهر التوقيع ، على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن » .

(ومنهم) : « أبو طاهر محمد بن علي بن بلال وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان (نضر الله وجهه) وتمسكه بالأموال التي كانت للإمام وامتناعه من تسليمها وادعائه أنه الوكيل حتى تبرّأت الجماعة منه ولعنوه وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف » .

(وحكى أبو غالب الزراري) قال : « حدثني أبو الحسن محمد بن محمد بن يحيى المعاذي » (قال) : « كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة ثم أنه رجع عن ذلك وصار في جملتنا فسألناه عن السبب ، (قال) : كنت عند أبي طاهر بن بلال يوماً وعنده أخوه أبو الطيب وابن حرز وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال : أبو جعفر العمري على الباب ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التي كانت جرت ، وقال : يدخل ، فدخل أبو جعفر (رضي الله عنه) فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس في صدر المجلس وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه فأمهلهم إلى أن سكتوا » .

(ثم قال) : « يا أبا طاهر نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان (ع) بحمل ما عندك من المال إلي ؟ فقال : اللهم نعم فنهض أبو جعفر (رضي الله عنه) منصرفاً ووقعت على القوم سكنة فلما تجلت عنهم قال له أخوه أبو الطيب : من أين رأيت صاحب الزمان ؟ فقال أبو طاهر : أدخلني أبو جعفر (رضي الله عنه) إلى بعض دوره فأشرف علي من علو داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه فقال له أبو الطيب ومن أين علمت أنه صاحب الزمان (ع) ؟ قال : قد وقع علي[1] من الهيبة له ودخلني من الرعب منه ما

---

(١) أقول: فليتنبه المؤمنين (رعاهم الله) إلى العبرة من حال المبطل أبي طاهر ابن بلال فإنه

علمت أنه صاحب الزمان (ع) فكان هذا سبب انقطاعي عنه » .

(ومنهم) : « الحسين بن منصور الحلاج أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري » (قال) :

« لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه وقع له (أي اعتقد) أن أبا سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي (رض) ممن تجوز عليه مخرقته (أي ممن تنطلي عليه أكذوبته) وتتم عليه حيلته فوجه إليه يستدعيه وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله وقدر (أي ظن) أن يستجره إليه فيتمخرق به ويتسوف بانقياده على غيره (أي ظن أن يجره إليه فيتخذه عضداً وشاهداً على ادعاءه) فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة لقدر (أي لمكانة) أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضاً عندهم ويقول له في مراسلته إياه إني وكيل صاحب الزمان (ع) وبهذا أو لا كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره وقد أمرت مراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوى نفسك ولا ترتاب بهذا الأمر » .

فأرسل إليه أبو سهل (رضي الله عنه) يقول له : « وإني أسألك أمراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين وهو أني رجل أحب الجواري وأصبوا إليهن ولي منهن عدة اتحاظهن والشيب يبعدني عنهن وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن

مع رؤيته للصاحب (عج) فلم يرتدع عن كذبه وباطله.

وهكذا الخوارج فإنهم شاهدوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وعاشوا في عصره ومع ذلك لم يتبعوه ويطيعوه (صلوات الله عليه) فالعبرة بالايمان لا بالرؤية لهم (عليهم السلام)، ولذا تلهف الرسول (ص) على إخوانه في الخطبة المعروفة فسأل أصحابه أولسنا إخوانك؟ فقال: بل هم قوم يأتون في آخر الزمان يؤمنون بسواد على ورق وسيأتي في الأمر الثامن ما له صلة بذلك.

ذلك ، وإلا انكشف أمري عندهن فصار القرب بعداً والوصال هجراً وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته وتجعل لحيتي سوداء فإني طوع يديك وصائر إليك وقائل بقولك وداع إلى مذهبك مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة .

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه أخطأ في مرسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولاً وصيره أبو سهل (رضي الله عنه) أحدوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد ، وشهر أمره عند الصغير والكبير وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه .

وأخبرني جماعة عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوه (أخي الصدوق) أن ابن الحلاج صار إلى قم وكاتب قرابة أبي الحسن يستدعيه ويستدعي أباالحسن أيضاً ويقول : أنا رسول الإمام ووكيله (قال) :

« فلما وقعت المكاتبة في يد أبي (رضي الله عنه) « أي أبي الحسن علي بن بابويه القمي والذي كان وكيلاً للعسكري (ع) » خرقها وقال لموصلها إليه : ما أفرغك للجهالات فقال له الرجل ـ وأظن أنه قال : إنه ابن عمته أو ابن عمه ـ فإن الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكانبته وضحكوا منه وهزؤوا به ثم نهض إلى دكّانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه » .

(قال) : « فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما يكون التجار أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه فأقبل عليه وقال له : تسأل عني وأنا حاضر ؟ فقال له أبي : أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك فقال له :

تخرق رقعتي وأنا أشاهدك تخرقها ؟ فقال له أبي : فأنت الرجل إذاً » .

(ثم قال) : « يا غلام برجله وبقفاه فخرج من الدار العدو لله ولرسوله ثم قال له : أتدعي المعجزات عليك لعنة الله (أو كما قال) فأخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم » .

(ومنهم) : ابن أبي العزاقر (وهو محمد بن علي الشلمغاني يكنى بأبي جعفر) أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أحمد بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد ابن أحمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري (رضي الله عنه) قال : حدثتني الكبيرة أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري (رضي الله عنه) » .

(قال) : « كان أبو جعفر ابن أبي العزاقر وجيهاً عند بني بسطام وذاك أن الشيخ أبا القاسم (رضي الله عنه وأرضاه) كان قد جعل له عند الناس منزلة وجاهاً فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه حتى انكشف ذلك لأبي القاسم (رضي الله عنه) فأنكره وأعظمه ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم لعنه والبراءة منه فلم ينتهوا وأقاموا على تولّيه وذاك أنه كان يقول لهم :

« إنني أذعت السّر وقد أخذ علي الكتمان فعوقبت بالابعاد بعد الاختصاص لأن الأمر عظيم لا يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن ممتحن فيؤكد في نفوسهم عظيم الأمر وجلالته فبلغ ذلك أبا القاسم (رضي الله عنه) فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله وأقام علي توليه فلما وصل إليهم أظهروه عليه فبكى بكاءاً عظيماً » .

ثم قال : « إن لهذا القول باطناً عظيماً وهو أن اللعنة الإبعاد فمعنى قوله« لعنه الله » أي باعده الله عن العذاب والنار والآن قد عرفت منزلتي ومرغ خديه على التراب وقال : عليكم بالكتمان لهذا الأمر » .

قالت الكبيرة (رضي الله عنها) : وقد كنت أخبرت الشيخ أبا القاسم أن أم أبي جعفر ابن بسطام قالت لي يوماً وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في إعظامي حتى انكبّت على رجلي تقبّلها ، فأنكرت ذلك وقلت لها : مهلاً يا ستّي فإن هذا أمر عظيم وانكببت على يدها فبكت ثم قالت : كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتي فاطمة فقالت لها : وكيف ذاك يا ستّي ؟ فقالت لي : أن الشيخ أبا جعفر محمد ابن علي خرج إلينا بالسر ، قالت : فقلت لها وما السر ؟ قالت : قد أخذ علينا كتمانه وأفزع إن أنا أذعته عوقبت ، قالت : وأعطيتها موثقاً أني لا أكشفه لأحد واعتقدت في نفسي الاستثناء بالشيخ (رضي الله عنه) يعني أبا القاسم الحسين بن روح ـ قالت : أن الشيخ أبا جعفر (ابن أبي العزاقر) قال لنا : أن روح رسول الله (ص) انتقلت إلى أبيك ـ تعني أبا جعفر محمد بن عثمان (رضي الله عنه) ، وروح أمير المؤمنين (ع) انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح وروح مولاتنا فاطمة (ع) انتقلت إليك فكيف لا أعظّمك يا ستّنا ، فقلت لها : مهلاً لا تفعلي فإن هذا كذب يا ستّنا فقالت لي : سر عظيم وقد أخذ علينا أننا لا نكشف هذا لأحد فالله في لا يحل لي العذاب ، ويا ستّي لو أنك حمّلتيني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك قالت الكبيرة أم كلثوم (رضي الله عنها) » .

« فلما انصرفت من عندها دخلت إلى الشيخ أبا القاسم بن روح (رضي الله عنه) فأخبرته بالقصة وكان يثق بي ويركن إلى قولي ، فقال لي : يا بنية إياك أن تمضي إلى هذه المرأة بعدما جرى منها ولا تقبلي لها رقعة إن كانبتك ولا رسولاً إن أنفذته إليك ولا تلقيها بعد قولها ، فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم بأن الله تعالى اتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح (ع) ويعدو إلى قول الحلاّج (لعنه الله) » .

قالت : « فهجرت بني بسطام وتركت المضي إليهم ولم أقبل لهم عذراً

ولا لقيت أمهم بعدها وشاع في بني نوبخت الحديث فلم يبق أحد وإلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممن يتولاه ورضي بقوله أو كلّمه فضلاً عن موالاته ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبي جعفر محمد بن علي والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع وله حكايات قبيحة وأمور فظيعة ننزّه كتابنا عن ذِكرها ، ذَكَرها ابن نوح وغيره » .

(وكان) سبب قتله : « أنه لما أظهر لعنه أبو القاسم بن روح (رضي الله عنه) واشتهر أمره وتبرأ منه وأمر جميع الشيعة بذلك لم يمكنه التلبيس فقال في مجلس حافل فيه رؤساء الشيعة ، وكل يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه أجمعوا بيني وبينه حتى آخذ يده ويأخذ بيدي فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه وإلا فجميع ما قاله في حق ، ورقى ذلك إلى الراضي لأنه كان ذلك في دار ابن مقلة ، فأمر بالقبض عليه وقتله فقتل واستراحت الشيعة منه » .

(وقال) أبو الحسن محمد بن أحمد بن داود كان محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر (لعنه الله) يعتقد القول بحمل الضد ومعناه أنه لا يتهيّأ إظهار فضيلة للولي إلا بطعن الضد فيه لأنه يحمل سامعي طعنه على طلب فضيلته فإذاً هو أفضل من الولي إذ لا يتهيّأ إظهار الفضل إلا به ، وساقوا المذهب من وقت آدم الأول إلى آدم السابع لأنهم قالوا : « سبع عوالم وسبع أوادم ، ونزلوا إلى موسى وفرعون ومحمد وعلي مع أبي بكر ومعاوية .

وأما في الضد فقال بعضهم الولي ينصب الضد ويحمله على ذلك كما قال قوم من أصحاب الظاهر : « أن علي بن أبي طالب (ع) نصبه أبا بكر في ذلك المقام . وقال بعضهم : لا ولكن هو قديم معه لم يزله (قالوا) : والقائم الذي ذكروا أصحاب الظاهر أنه من ولد الحادي عشر فإنه يقوم معناه إبليس لأنه

قال : ﴿ **فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس** ﴾ فلم يسجد ثم قال : ﴿ **لأقعدن لهم صراطك المسقيم** ﴾ فدل على أنه كان قائماً في وقت ما أمر بالسجود ثم قعد بعد ذلك وقوله : يقوم القائم إنما هو ذلك القائم الذي أمر بالسجود فأبى وهو إبليس (لعنه الله) » .

وقال شاعرهم لعنهم الله :

يا لاعناً للضد من عدي	ما الضد إلا ظاهر الولي
والحمد للمهيمن الوفي	لست على حال كحمامي
ولا حجامي ولا جغدي	قد فقت من قول على الفهدي
نعم وجاوزت مدى العبدي	فوق عظيم ليس بالمجوسي
لأنه الفرد بلا كيفي	متحد بكل أوحدي
مخالط النوري والظلمي	يا طالباً من بيت هاشمي
وجاحداً من بيت كسروي	قد غاب في نسبة أعجمي
في الفارسي الحسب الرضي	كما التوى في العرب لوي

(وقال الصفواني) : « سمعت أبا علي بن همام يقول : سمعت محمد بن علي العزاقري الشلمغاني يقول : الحق واحد وإنما تختلف قمصه ، فيوم يكون في أبيض ويوم يكون في أحمر ويوم يكون في أزرق (قال ابن همام) : فهذا أول ما أنكرته من قوله لأنه قول أصحاب الحلول » .

(وأخبرنا) : جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى عن أبي علي محمد بن همام أن محمد بن علي الشلمغاني لم يكن قط باباً إلى أبي القاسم ولا طريقاً له ولا نصبه أبو القاسم لشيء من ذلك على وجه ولا سبب ومن قال بذلك فقد أبطل وإنما كان فقيهاً من فقهائنا وخلط وظهر عنه ما ظهر وانتشر الكفر والالحاد عنه فخرج فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه والبراءة ممن تابعه وشايعه وقال بقوله » .

(وأخبـرني) : الحسين بن إبراهيم عن أحمـد بن علي بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد بن أحمد قال : حدثني أبـو عبد الله الحسين بن أحمـد الحـامدي البـزاز المعروف بغـلام أبي علي بن جعفر المعـروف بـابن زهـومـة النـوبختي ـ وكان شيخـاً مستوراً ـ قـال : سمعت روح بن أبي القاسم بن روح يقـول : لمـا عمـل محمـد ابن علي الشلمغـاني كتـاب التكليف قـال يعني أبا القاسم (رضي الله عنه) اطلبوه إلي لأنظره فجاؤوا به فقرأه من أوله إلى آخره فقال : ما فيه شيء إلا وقد روي عن الأئمـة إلا موضعين أو ثـلاثة فـإنه كـذب عليهم في روايتها (لعنه الله) » .

(وأخبـرني) : جماعـة عن أبي الحسن محمد بن أحمـد بن داود وأبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى أنهما قالا مما أخطأ محمـد بن علي في المذهب في باب الشهـادة أنه روي عن العـالم (الكاظم) (ع) أنـه قال : « إذا كان لأخيك المؤمن على رجل حق فدفعه ولم يكن له من البيّنة عليه إلا شاهد واحد وكان الشاهد ثقة رجعت إلى الشاهـد فسألتـه عن شهادتـه فإذا أقـامها عنـدك شهـدت معـه عنـد الحـاكم على مثـل مـا يشهـده عنـده لئـلا يتوى (يهلك) حق امرىء مسلم ، (واللفظ لابن بابويه) وقال هذا كذب منـه لسنا نعرف ذلك (وقال) في موضع آخر كذب فيه ، نسخة التوقيع الخارج في لعنه » .

(أخبرنا جماعة) عن أبي محمد هارون بن موسى قال : حدثنا محمد بن همـام (قـال) : « خـرج على يـد الشيـخ أبـي القـاسـم الحسيـن بن روح (رضي الله عنه) في ذي الحجة سنـة اثنتي عشرة وثـلاثمائـة في ابن أبي العزاقر والمداد رطب لم يجف » .

(وأخبرنا) جمـاعة عن ابن داود قـال : « خرج التـوقيع من الحسين بن روح في الشلمغاني وأنفذ نسختـه إلى أبي علي بن همام في ذي الحجـة سنة

اثنتي عشرة وثلاثمائة » .

(قال ابن نوح) : « وحدثنا أبو الفتح أحمد بن ذكا مولى علي بن محمد ابن الفرات (رحمه الله) قال : أخبرنا أبو علي بن همام بن سهيل بتوقيع خرج في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة » .

قال محمد بن الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصيمري : « أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رضي الله عنه) من محبسه في دار المقتدر إلى شيخنا أبي علي بن همام في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وأملاه أبو علي وعرفني أن أبا القاسم (رضي الله عنه) راجع في ترك إظهاره فإنه في يد القوم وحبسهم فأمر بإظهاره وأن لا يخش ويأمن فتخلص وخرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة والحمد لله » .

(التوقيع) : « عرّف عرفك الله الخير أطال الله بقاءك وعرّفك الخير كله وختم به عملك من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا أسعدكم الله بأن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني وهو ممن عجّل الله له النقمة ولا أمهله قد ارتد عن الإسلام وفارقه ، وألحد في دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جل وتعالى وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً وإننا قد برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم بمنه ولعناه عليه لعائن الله تترى في الظاهر منا والباطن في السرّ والجهر وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وتابعه أو بلغه هذا القول منّا وأقام على تولّيه بعده » .

« وأعلمهم تولاّكم الله أنا من التوقى والمحاذرة منه على ما كنّا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم وعادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة وبه نثق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل » .

قال هارون : « وأخذ أبو علي هذا التوقيع ولم يدع أحداً من الشيوخ إلا وأقرأه إياه ، وكوتب من بعد منهم بنسخته في سائر الأمصار فاشتهر ذلك في الطائفة فاجتمعت على لعنه والبراءة منه وقتل محمد بن علي الشلمغاني في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة » .

(ذكر أمر أبي بكر البغدادي) ابن أخي الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وأبي دلف المجنون .

(أخبرني) : الشيخ أبو عبد محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) عن أبي الحسن علي ابن بلال المهلبي (قال) : « سمعت أبا القاسم جعفر بن محمد بن قولويه يقول : أما أبو دلف الكاتب (لا حاطه الله) فكنّا نعرفه ملحداً ثم أظهر الغلو ثم جنّ وسلسل ثم صار مفوضاً وما عرفناه قط - إذا حضر في مشهد - إلا استخف به ، ولا عرفته الشيعة إلا مدة يسيرة والجماعة تتبرأ منه وممن يؤمي إليه وينمس به »[1] .

« وقد كنّا وجّهنا إلى أبي بكر البغدادي - لما ادعى له هذا ما ادعاه[2] - فأنكر ذلك وحلف عليه فقبلنا ذلك منه فلما دخل بغداد مال إليه وعدل عن الطائفة وأوصى إليه ، لم نشك أنه على مذهبه فلعناه وبرئنا منه لأن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمّس[3] ضالّ مضل وبالله التوفيق » .

(وذكر أبو عمرو) محمد بن محمد بن نصر السكري (قال) : « لما قدم ابن محمد ابن الحسن بن الوليد القمي من قبل أبيه والجماعة وسألوه عن الأمر الذي حكى فيه من النيابة أنكر ذلك ، وقال : ليس إلي من هذا شيء وعرض عليه مال فأبى وقال محرّم علي أخذ شيء منه فإنه ليس إلي من هذا الأمر شيء

---

(١) نمسّ بالشي خدع واحتال به.

(٢) أي أن أبا دلف المجنون ادعى البابية ونحو ذلك لأبي بكر البغدادي.

(٣) محتال صاحب حيلة ومكر.

ولا أدعيت شيئاً من هذا ، وكنت حاضراً لمخاطبته إياه بالبصرة » .

(وذكر ابن عياش) قال : « اجتمعت يوماً مع أبي دلف فأخذنا في ذكر أبي بكر البغدادي فقال لي : تعلم من أين كان فضل سيدنا الشيخ (قدس الله روحه وقدس به) على أبي القاسم الحسين بن روح وعلى غيره ؟ فقلت له : ما أعرف قال : لأن أبا جعفر محمد بن عثمان قدم اسمه على إسمه في وصيّته ؟ قال : فقلت له : فالمنصور (أي الخليفة العباسي) أفضل من مولانا أبي الحسن موسى (ع) قال : وكيف ؟ قلت : لأن الصادق (ع) قدم اسمه على إسمه في الوصية فقال لي : أنت تتعصب على سيدنا وتعاديه ، فقلت : والخلق كلهم تعادي أبا بكر البغدادي وتتعصب عليه غيرك وحدك وكدنا نتقاتل ونأخذ بالأزياق »[1] .

وأمر أبي بكر البغدادي في قلة العلم والمروة أشهر وجنون أبي دلف أكثر من أن يحصى لانشغل كتابنا بذلك وذكر ابن نوح طرفاً من ذلك .

(وروى) : أبو محمد هارون بن موسى عن أبي القاسم الحسين بن عبد الرحيم الابراروري قال : « أنفذني أبي عبد الرحيم إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) في شيء كان بيني وبينه فحضرت مجلسه وفيه جماعة من أصحابنا وهم يتذاكرون شيئاً من الروايات وما قاله الصادقون (عليهم السلام) حتى أقبل أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي ابن أخي أبي جعفر العمري (رضي الله عنه) فلما بصر به أبو جعفر (رضي الله عنه) قال للجماعة امسكوا (أي توقفوا عن محادثتكم) فإن هذا الجائي ليس من أصحابكم » .

وحكى أنه توكل لليزيدي بالبصرة فبقي في خدمته مدة طويلة وجمع مالاً

(١) زيق القميص بالكسر ما أحاط بالعنق.

عظيماً فسعى به إلى اليزيدي فقبض عليه وصادره وضربه على أم رأسه حتى نزل الماء في عينيه فمات أبو بكر ضريراً .

وقال أبو نصر هبة الله بن أحمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) : « أن أبا دلف محمد بن المظفر الكاتب كان في ابتداء أمره مخمّساً[1] مشهوراً بذلك لأنه كان تربية الكرخيين وتلميذهم وصنيعتهم وكان الكرخيون مخمسة لا يشك في ذلك أحد من الشيعة وقد كان أبو دلف يقول ذلك ويعترف به ويقول : نقلني سيدنا الصالح (قدس الله روحه ونوّر ضريحه) عن مذهب أبي جعفر الكرخي إلى المذهب الصحيح يعني أبا بكر البغدادي » .

وجنون أبي دلف وحكايات فساد مذهبه أكثر من أن تحصى فلا نطوّل بذكرها الكتاب ههنا انتهى ما ذكره الشيخ الطوسي .

ونقلناه كله مع طوله لأن ما ذكره من قصص المدعين للسفارة والوكالة والبابية الكاذبين على الله وعلى حججه (عليهم السلام) ، تتكرر بين فترة وأخرى في عصر الغيبة التامة الكبرى . وكما يقال التاريخ يعيد نفسه بل من تأمل بعبرة فيما مر من الوقائع التي ذكرها الشيخ يجد أن ما يحدث في زمننا هذا من ادعاء البابية هو بحذافيره مسلسل الوقائع السابقة من نسبة الأباطيل إلى الأئمة (عليهم السلام) ومن سرقة الأموال واتخاذ الضعفاء والجهلة أنصاراً والنساء مسرحاً للخرافات والخزعبلات ومن ينتسب إلى العلم واجهة للغواية و . . . و . . . و . . .

وكما قال شيخ الطائفة في زمانه أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري[2]

---

(١) أي الذين يقولون أن الخمسة سلمان وأبا ذر، والمقداد، وعمار، وعمرو بن أمية الضمري، هم الموكلون بمصالح العالم من قِبَل الربّ.

(٢) أحد مشائخ الشيخ المفيد.

« وكل هؤلاء المدعين إنما يكون كذبهم أولاً على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية (القائلين بالحلول أي الكفر والإلحاد) كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى .

الامر الثامن :

في ثواب الثبات والتمسك بالدين في الغيبة الكبرى وشدة المحنة .

روى الصدوق بسنده عن الجواد عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال : للقائم منّا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه إلا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة ثم قال (ع) إن القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه »[1] .

وروي عن الأصبغ بن نباته قال : ذكر عند أمير المؤمنين (ع) القائم (ع) فقال : « أما ليغيبن حتى يقول الجاهل : ما لله في آل محمد حاجة وفي حديث آخر « بعد غيبة وحيرة فلا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله عز وجل ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه »[2] .

وروي توقيعاً من صاحب الزمان (ع) : كان خرج إلى العمري (النائب الأول) وابنه (النائب الثاني في الغيبة الصغرى) رضي الله عنهما عن سعد بن عبد الله قال الشيخ أبو عبد الله جعفر (رضي الله عنه) : وجدته مثبتاً عنه رحمه الله : « وفّقكما الله لطاعته وثبّتكما على دينه وأسعدكما بمرضاته انتهى إلينا ما ذكرتما أن الميثمي أخبركما عن المختار ومناظراته من لقي واحتجاجه بأنه لا

(١) إكمال الدين (ص ٣٠٣).
(٢) نفس المصدر (ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

خلف غير جعفر بن علي[1] وتصديقه إياه وفهمت جميع ما كتبتما به مما قال أصحابكما عنه وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء ومن الضلالة بعد الهدى ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن فإنه عزّ وجلّ يقول : ﴿ **ألم أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُون** ﴾[2] » .

« كيف يتساقطون في الفتنة ، ويترددون في الحيرة ويأخذون يميناً وشمالاً فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهراً وإما مغموراً » .

« أولم يعلموا انتظام أئمّتهم بعد نبيهم (ص) واحد بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله عزّ وجلّ إلى الماضي - يعني الحسن بن علي (عليهما السلام) - فقام مقام آبائه (ع) يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم كانوا نوراً ساطعاً وشهاباً لامعاً وقمراً زاهراً ثم اختار عزّ وجلّ له ما عنده فمضى على منهاج آبائه (عليهم السلام) حذو النعل بالنعل على عهد عهده ووصية أوصى بها إلى وصي ستره الله عز وجلّ بأمره إلى غاية وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ وفينا موضعه ولنا فضله ولو قد أذن الله عزّ وجلّ فيما قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حلية وأبين دلالة وأوضح علامة ولأبان عن نفسه وقام بحجّته » .

ولكن أقدار الله عزّ وجلّ لا تغالب وإرادته لا ترد وتوفيقه لا يسبق فليدعوا عنهم اتّباع الهوى وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه ولا يبحثوا عما ستر عنهم فيأثموا ولا يكشفوا ستر الله عزّ وجلّ فيندموا وليعلموا أن الحق معنا وفينا لا يقول ذلك سوانا إلا كذاب مفتر ولا يدعيه غيرنا إلا ضال غوى فليقتصروا منّا

---

(١) أي لا خلف في الإمامة بعد العسكري غير جعفر الذي كان يدعي بالكذب.

(٢) سورة العنكبوت، الآية (١ و ٢).

على هـذه الجملة دون التفسير ويقنعـوا من ذلك بـالتعريض دون التصـريح إن شاء الله »[1] .

وروى بسنده عن أبي عبد الله (ع) قال : « من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم (ع) »[2] .

وروي عن عبد الحميد الواسطي أنه سئل الباقر (ع) قال : قلت : « فإن متّ قبل أن أدرك القائم ؟ قال : القائل منكم أن لو أدركت قائم آل محمد نصرته كان كالمقارع بين يديه بسيفه ، لا بل كالشهيد معه » .

وروي عن أبي الحسن عن آبـائـه (ع) أن رســول الله (ص) قـال : « أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عز وجلّ »[3] .

وروي عن الصادق (ع) « ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله عــزّ وجـلّ **﴿ وارتقبــوا إني معكم رقيب ﴾ ﴿ فــانتــظروا إني معكم من المنتظرين ﴾** فعليكم بالصبر فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس فقد كان الـذين من قبلكم أصبر منكم »

« المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله »[4] .

وروى بسنـده عن عمـار السـابـاطي قـال : قلت لأبي عبـد الله (ع) : « العبادة مع الإمام منكم المستتر في دولـة الباطـل أفضل أم العبـادة في ظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم ، فقال : يـا عمار الصـدقة والله في السـر أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك عبادتكم في السر في دولة الباطل أفضل

---

(١) إكمال الدين (ص ٥١٠).
(٢) إكمال الدين (ص ٦٤٤).
(٣) إكمال الدين (ص ٦٤٤).
(٤) إكمال الدين (ص ٦٤٥).

لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة ممن يعبـد الله عزّ وجـلّ في ظهور الحق مع الإمام الظاهر في دولة الحق وليس العبادة مع الخوف وفي دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن في دولة الحق .

« اعلموا أن من صلى منكم صلاة فريضة وحدانا مستتراً بها من عدوه في وقتها فأتمّها كتب الله عزّ وجلّ له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية ومن صلّى منكم صلاة نافلة في وقتها فأتمها كتب الله عز وجل له بهـا عشر صلوات نوافل ، ومن عمـل منكم حسنة كتب الله لـه بها عشـرين حسنة ويضـاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان الله عزّ وجلّ بالتقية على دينه وعلى إمامه وعلى نفسـه وأمسك من لسـانه أضعـافاً مضـاعفة كثيـرة إن الله عزّ وجـلّ كريم » .

قال : فقلت : « جعلت فداك قد رغبتني في العمل وحثثني عليه ولكن أحب أن أعلم كيف صرنا اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام منكم الظاهر في دولة الحق ونحن وهم على دين واحد وهو دين الله عزّ وجلّ ؟ » .

فقال : « إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزّ وجلّ وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل فقه وخير وإلى عبادة الله سـرّاً مع عـدوكم مع الإمـام المستتر مطيعون له صابرون معـه منتظرون لـدولة الحق خـائفون على إمـامكم وأنفسكم من الملوك تنـظرون إلى حق إمامكم وحقكم في أيـدي الـظلمـة قـد منعوكم ذلك واضطروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاشي مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوكم فبذلك ضاعف الله أعمالكم فهنيئاً لكم هنيئاً » .

قـال : فقلت له : « جعلت فـداك فما نتمنى إذاً أن نكـون من أصحاب الإمام القائم في ظهور الحق ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحق ؟ فقال سبحان الله ! أما تحبون أن يظهر الله عز وجل

الحق والعدل في البلاد ، ويحسن حال عامة العباد ويجمع الله الكلمة ويؤلف بين قلوب مختلفة ولا يعصى الله عز وجلّ في أرضه ويقام حدود الله في خلقه ويرد الله الحق إلى أهله فيظهروه حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق ، أما والله يا عمار لا يموت منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله عزّ وجلّ من كثير ممن شهد بدراً وأحداً فأبشروا »[1] .

وروي عن الصادق (ع) : « المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله (ص) يذب عنه هو (الإمام الثاني عشر) المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجور فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان »[2] .

وروى الكليني بسنده عن يمان التمار قال : كنّا عند أبي عبد الله (ع) جلوساً فقال لنا أن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد ـ ثم قال هكذا بيده[3] ـ « فأيكم يمسك شوك القتاد بيده » ، ثم أطرق ملياً ثم قال : « إن لصاحب هذا الأمر غيبة ، فليتق الله عبد وليمسك بدينه »[4] .

وروي عن الكاظم (ع) أنه قال : « إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلكم عنها أحد يا بني إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به ، إنما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه ، لو علم آبائكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لاتبعوه »[5] .

أقول : « المقصود من ذيل الرواية ليس التقليد للآباء والأجداد بل هو

---

(١) إكمال الدين (ص ٦٤٦).

(٢) إكمال الدين (ص ٦٤٧).

(٣) أي أشار بيده، والخارط من يضرب بيده على الغصن ثم يمدها إلى الأسفل ليسقط ورقه والقتاد شجر له شوك.

(٤) الكافي (ج ١، ص ٣٣٥).

(٥) الكافي (ج ١، ص ٣٣٦).

التنبيه إلى أن من الآباء والأجداد من كان همّه وسعيه في البحث عن الحق والدين الصحيح واختيار مثلهم لهذا الدين يكون مؤشراً لصحة هذا الدين وليس ذلك دعوة للتقليد كما قد يتوهم » .

وروي أنه سئل سائل الصادق (ع) قال : قلت : « إذا أصبحت وأمسيت لا أرى إماماً أئتم به ما أصنع ؟ قال : فأحب من كنت تحب ، وابغض من كنت تبغض حتى يظهره الله عزّ وجلّ »[1] .

وروى النعماني في كتاب الغيبة عن الصادق (ع) أنه قال : « أقرب ما يكون العباد من الله عزّ وجلّ وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجّة الله جلّ وعزّ ولم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجّة الله جلّ ذكره ولا ميثاقه فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءاً فإن أشد ما يكون غضب الله عزّ وجلّ على أعدائه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر لهم وقد علم الله أن أولياءه[2] لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس »[3] .

وروي عن أبي جعفر (الباقر) (ع) أنه قال : « لتمحصن يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين وإن صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينه ولا يعلم متى يخرج منها ، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ويمسي وقد خرج منها ويمسي على شريعة من أمرنا ، ويصبح وقد خرج منها » وروي عن الصادق (ع) أنه قال : « والله لتكسرن تكسّر الزجاج وإن الزجاج ليعاد فيعود كما كان والله لتكسرن تكسّر الفخّار ليتكسّر فلا يعود كما كان ووالله

---

(١) المصدر السابق (ص ٣٤٢).
(٢) أي الذين كتب لهم الايمان في قلوبهم وأخذ عليهم ميثاق الولاية للأئمة (ع) في غابر علم الله تعالى.
(٣) الغيبة للنعماني (ص ١٦٢).

لتغـربلنّ ووالله لتميـزن ووالله لتمحصن حتى لا يبقى منكم إلا الأقـل وصعـر كفه »[1] .

ثم قـال النعماني : « فتبينـوا يا معشـر الشيعة هـذه الأحـاديث المـرويـة عن أمير المؤمنين ومن بعده من الأئمة (عليهم السلام) واحـذروا ما حـذروكم وتأملوا ما جاء عنهم تأمـلاً شافيـاً ، وفكروا فيهـا فكراً تنعمـونه ، فلم يكن في التحذير شيء أبلغ من قولهم « إن الرجل يصبح على شريعة من أمـرنا ويمسي وقد خرج منها ويمسي على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها » أليس هذا دليلاً على الخروج من نظام الإمامة وترك ما كان يعتقد منها على غير طريق .

وفي قوله : « لتكسرن تكسّر الزجاج . . . الخ » فضرب ذلـك مثلاً لمن يكون على مذهب الإمامية فيعدل عنه إلى غيره بالفتنة التي تعرض له ثم تلحقه السعادة بنظرة من الله فتبين له ظلمة ما دخل فيه وصفاء ما خرج منه فيبادر قبل موته بالتوبة والرجـوع إلى الحق فيتوب الله عليـه ويعيده إلى حـاله في الهـدي كالزجاج الذي يعاد بعد تكسره فيعود كمـا كان ، ولمن يكـون على هذا الأمـر فيخرج عنه ويتم على الشقاء بأن يدركه الموت وهو على ما هو عليه غير تـائب منه ولا عائد إلى الحق فيكون مثله كمثل الفخار الذي يكسر فلا يعاد إلى حاله لأنه لا توبة له بعد الموت ولا في ساعته ، نسأل الله الثبات على ما منّ به علينا وأن يزيد في إحسانه فإنما نحن له ومنه » انتهى[2] .

وروي عن الكـاظم (ع) أنـه قـال : « مـا يكـون ذلـك (أي ظهـور الحجة (عج) حتى تميـزوا وتمحصوا وحتى لا يبقى منكم إلا الأقـل ثم صعر كفه » وعن الرضا (ع) : « والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا وتميزوا وحتى لا يبقى منكم إلا الأندر فالأندر » وفي رواية : « حتى يشقى من

---

(١) صعر كفّه : أي أمالها تهاوناً بالناس أي الذين جناح البعوضة أرجح من التزامهم بالدين.

(٢) المصدر السابق (ص ٢٠٧).

شقى ويسعد من سعد »[1] .

هذا والروايات في هذا المجال كثيرة جداً تطلب من مظانها .

الامر التاسع :

لعل قائل يقول : ما تفسير ما وقع من خروج كتاب ورد من الناحية المقدسة حرسها الله ورعاها على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) ؟ .

وما تفسير ما شاع نقله واستفاض من تشرف عدة من أساطين الفقهاء والعلماء بلقاءه عجّل الله تعالى فرجه الشريف حتى أن ثلة منهم نقل عنه (ع) بعض الأدعية المسطورة في كتب الشيعة ؟

وكيف يتفق مع ما تسالمت عليه الطائفة من انقطاع السفارة وأن « من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر » كما ورد في التوقيع الذي خرج على يد النائب الرابع .

فتفسير ذلك أنه التبس على القائل معنى السفارة والنيابة الخاصة والوكالة والبابية مع ما ذكره من الموارد ولنوضح الفرق بمثال موجود في يومنا هذا .

وهو الفرق بين سفير دولة ما وبين مواطن كأحد المواطنين لتلك الدولة قد أبلغ من قبلها بإيصال رسالة ما إلى جهة معينة ، فالسفير للدولة له منصب دائم من قبلها لإيصال والقيام بنيابة الدولة وتمثيلها بخلاف ذلك المواطن الذي اتفق أن أمر بإيصال رسالة ما فإنه لم ينصب لمقام معين ولم يجعل ممثلاً دائمياً .

ومن ثم نقول الفرق بين الباب والسفير وبين مثل المكاتبة التي تشرف بها المفيد رضوان الله تعالى عليه :

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٠٨).

هو أن السفير كالنواب الأربعة في الغيبة الصغرى هو الـذي ينصب بنحو دائم كحلقة وصل بين الشيعة والامام ويكون على إتصال دائم وهو بحيث يوصل من وإلى الحجة (ع) وهو يأتمر في كل صغيرة وكبيـرة من أعمالـه وإجراءاتـه وتنفيذه في المهام الدينية من قبل الحجة (ع) وتظهر على يديه دلائل وبراهين على النيـابة الخـاصة من قبـل الحجة (ع) مـع إظهار السفيـر سفارتـه لإجلاء الطائفة الامامية ، وأين هذا من مثل المكاتبة المذكورة ؟

وقد تقدم ذكر عدة ممن كانوا يكتبون الأسئلة ويبعثوا بها إلى الحجة (ع) عبر النواب في الغيبة الصغرى كأبي جعفر محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري المعروف بمكاتبته للحجة عبر النواب الأربعة ومع ذلك فلم يكن سفيراً ولا نائباً خاصاً ولا وكيلاً بالمباشرة ولا بالواسط بل كسائر الفقهاء .

وكذلك عدة كثيرة من الفقهاء كاتبوا في الغيبة الصغرى عبر النواب الأربعة أو كتب إليهم .

منهم محمد بن صالح[١] وإسحاق بن يعقـوب[٢] ومحمد بن الصـالح[٣] والحسن بن الفضـل اليمـاني[٤] وعلي بن محمـد الشمشـاطي[٥] وأبــو رجـاء المصـري[٦] ومحمد بن هـارون[٧] وأبو القـاسم ابن أبي جليس[٨] وهارون بن مـوسى بن الفرات ومحمـد بن محمد البصـري ومحمـد بن يـزداد ومحمـد بن

---

(١) إكمال الدين (ص ٤٨٣).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق (ص ٤٨٩).
(٤) المصدر السابق (ص ٤٩٠).
(٥) المصدر السابق (ص ٤٩١).
(٦) المصدر السابق (ص ٤٩١).
(٧) المصدر السابق (ص ٤٩٢).
(٨) المصدر السابق (ص ٤٩٣).

كشمرد[1] وعلي بن محمد بن إسحاق الأشعري وإبـراهيم بن محمد بن الفـرج وغيرهم كثير جداً ومع ذلك لم يكونوا وكلاء بالمباشرة ولا بالواسطة .

هذا مع أن الشيخ المفيد كتب إليه من الحجة (ع) لأنه أرسل كتاباً ثم أتـاه الجواب وكيف يتـوهم أن الشيخ المفيـد يدعي أنـه سفيراً مـع أنـه نفسـه رحمه الله ذكر في (الرسائـل الخمسة في الغيبـة)[2] انقطاع السفـارة والنواب بموت النائب الرابع في الغيبة الصغرى وذكر ذلك في كتاب الإرشاد في الفصل الذي عقده للإمام الثاني عشر (ع) وفي بقية كتبه ومع أن الشيخ المفيـد نفسه ذكر عن شيخه أبي القاسم جعفر بن محمـد بن قولـويه « أن عنـدنا أن كـل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس ضال مضل »[3] .

نعم الشيخ المفيد كبقية الفقهاء العدول النيابة العامة وهي المرجعية والتي يستقي الفقيـه علمه بـالأحكـام الشـرعيـة من الكتـاب والأخبـار المـأثـورة عن الرسول (ص) والأئمة (عليهم السلام) كما تقدم شرح ذلك في الأمر الثالث من هذا الفصل .

هـذا مع أنـه يصعب الجزم بصـدور هذا الكتـاب من الناحيـة المقدسـة وورده للشيخ المفيد وذلك لأن الشيخ الطبرسي (رحمه الله) تفرد بذكر ذلـك في كتابه (الاحتجاج) ولم يذكر طريقه وسنده إلى الشيخ المفيد .

أما تفرده فـلأن الشيخ الـطوسي وهو تلميـذ الشيخ المفيـد ومن خواصـه المقربين إليه لم يذكر ذلك في كتابه الرجال والفهرست عند ترجمة شيخه المفيد مع أنه أثنى عليـه بأبلغ الثنـاء والمدح ولـو كان مثـل هذا الكتـاب من الناحيـة المقدسة لناسب ذكره في الترجمة لأنه أبلغ شيء في التعريف بمكانه شيخه ،

---

(١) المصدر السابق (ص ٤٩٤).

(٢) وقد تقدم نقل كلامه.

(٣) راجع كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، تلميذ الشيخ المفيد (ص ٢٥٥).

كما لم يذكر الشيخ الطوسي هذه الواقعة في بقية كتبه .

وكذلك الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن علي النجاشي تلميذ الشيخ المفيد لم يذكر ذلك في ترجمة شيخه في رجاله مع أن أطري عليه بأحسن الثناء .

وكذلك لم يعثر في كتب السيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي على ذكر لهذه الواقعة مع أن السيد يأتى بشيء من الاطراء والمدح وستاذه الشيخ المفيد عند تصادف ذكر شيخه في كتبه .

وكذلك لم يذكر ذلك ابن إدريس الحلي في سرائره في المستطرفات في ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف المفيد حيث أتى بترجمة للمفيد في البدء فيها من المدح والثناء الجميل .

وكذلك لم يذكر ذلك العلامة الحلي في كتاب الرجال عند ترجمة الشيخ المفيد مع أنه أطرى عليه بالمدح الجزيل ، مع أن العلامة الحلي (قده) من أعلام الطائفة في القرن السابع فهو متأخر عن الشيخ الطبرسي الذي هو من أعلام القرن السادس .

وكذلك لم يذكر ذلك تقي الدين بن داود الحلي في كتاب الرجال المعاصر للعلامة الحلي . وكذلك لم يذكر ذلك الشيخ أبو الفتح الكراجكي تلميذ المفيد مع أنه كرر ذكره في كتابه كنز الفوائد .

نعم ذكر ابن شهرآشوب السروي رحمه الله في معالم العلماء « ولقبه بالشيخ المفيد صاحب الزمان (صلوات الله عليه) ، وقد ذكرت سبب ذلك في مناقب آل أبي طالب » ولكن لم يعثر على ذلك في كتابه المناقب وقد ذكر المصحح الذي أشرف على طبع كتاب المناقب[1] « وليعلم أن الموجود من

(١) المناقب (ج ٤، ص ٤٤٦)، وإلى ذلك أشار الميرزا النوري (قده) في خاتمة المستدرك في ترجمة المفيد (رض).

المناقب في أحوال الأئمة (عليهم السلام) إلى العسكري ولم نعثر على أحوال الحجة (ع) منه ولا نقله من تقدمنا من سدنة الأخبار كالمجلسي (قده) والشيخ الحر وأمثالهما وربما يتوهم أنه لم يوفق لذكر أحواله (ع) إلا أنه قال في معالم العلماء في ترجمة المفيد (قده) : « أنه لقبه بالشيخ والظاهر أنه كتبه في جملة أحواله (ع) في هذا الباب سقط من هذا الكتاب » .

وعلى أية حال فابن شهرآشوب تلميذ الشيخ الطبرسي كما ذكر هو ذلك[1] فالمظنون قوياً أنه نقله عن الطبرسي (رحمه الله) ، وكذلك ما يحكى عن رسالة نهج العلوم ليحيى بن بطريق الحلي صاحب كتاب (العمدة في عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار) المتوفى سنة ستمائة هجرية أنه ذكر التوقيعات المذكورة إلى الشيخ المفيد (قده) ، فالمظنون قوياً أنه نقله عن ابن شهر آشوب لأنه الراوي عنه[2] أو نقله عن الشيخ الطبرسي (قده) .

هذا مع أن ابن إدريس ذكر في كتاب السرائر في ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف الشيخ المفيد أن الذي سماه بهذا اللقب علي بن عيسى الرماني عندما أفحمه المفيد وكان في بداية نشوه العلمي لا أن هذا اللقب اشتهر به في آخر عمره كما هو مقتضى تاريخ التوقيع إلا أن يريد ابن شهر آشوب جرى هذا اللقب على لسانه الشريف (ع) وما في ذلك من المدح للمفيد (رضوان الله تعالى عليه) .

وأما عدم ذكر الطريق فلان الشيخ الطبرسي لا يروي مباشرة عن المفيد بل لا بد من الواسطة ولم تذكر في كلامه (رفع الله مقامه) .

وهو وإن ذكر في أول كتاب الاحتجاج حيث يقول : « ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الاجماع عليه أو موافقته لما دلت العقول إليه

---

(١) معالم العلماء (ص ٢٥).

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ج ١٥، ص ٣٣٤).

أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤلف » .

لكن شيء من الأقسام الثلاثة غير متحقق لدينا .

أما الإجماع والاتفاق فقد عرفت خلو كتب التراجم والرجال المصنفة ممن هو أقرب زمناً من الشيخ الطبرسي من ذلك ومن ذلك لا يتحقق لدينا وجود الشهرة أيضاً في تلك الأعصار[١] .

وأما الموافقة للدليل العقلي فلا دليل عقلي في البين على وقوع ذلك .

نعم الشيخ الطبرسي لا محالة قد تحقق لديه أحدها ولكن لم يتحقق لدينا كما عرفت وهنا إشكال آخر ذكره السيد المحقق الخوئي (دام بقاه) في المعجم[٢] بقوله « هب أن الشيخ المفيد جزم بقرائن أن التوقيع صدر من الناحية المقدسة ولكن كيف يمكننا الجزم بصدوره من تلك الناحية » .

ووجه هذا الإشكال أن المفيد (قده) ليس سفيراً خاصاً وباباً للحجة (ع) كي يجزم بما قد جزم به المفيد أنه من الناحية إذ قد لا يحصل الجزم من تلك القرائن فيما لو علمنا بها .

وهذا بخلاف الحال في السفير والباب الخاص بالحجة (ع) فإنه مقتضى سفارته حجية قوله فيما يؤديه عن الحجة من دون احتمال الخطأ والغفلة كما ورد في قول الإمام العسكري (ع) عند تنصيصه على نيابة العمري وابنه « العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك عني فعنى يؤديان وما قالا لك فعني يقولان » « فاقبلوا من عثمان (النائب الأول العمري) ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه »[٣] .

---

(١) نعم حكى صاحب لؤلؤة البحرين (قده) (ص ٣٦٧)، عن ابن بطريق الحلي (قده) في رسالة نهج العلوم أن التواقيع ترويها كافة الشيعة وتتلقاها بالقبول فلاحظ.

(٢) (ج ١٧، ص ٢٠٩).

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي (ص ٢١٦).

ومن ذلك كله يظهر لك تفسير تشرف عدة من أكابر العلماء والفقهاء والأتقياء بلقاء الحجة (عج) وسعادتهم بجمال محضره الشريف ، فإن ذلك ليس يعني سفارتهم وبابيتهم وأنهم منصوبين لذلك .

بل إن ذلك نتيجة الطهارة من الذنوب ومن النزعات الشيطانية والحيوانية إذ قد ورد في بعض الروايات[1] أن الحاجب بيننا وبين نور مطلعه الباهر عليه أفضل صلوات الملك القادر هي ذنوبنا وسيئات أعمالنا ، وقد ذكر الصدوق في إكمال الدين عدة كثيرة ممن تشرف بلقاءه (ع) في الغيبة الصغرى فترة النواب الأربعة ولم تكن تلك العدة التي تشرفت بلقاءه (ع) سفراء ونواب .

وأما توافق ذلك مع ما خرج من التوقيع على يد علي بن محمد السمري النائب الرابع والأخير « من ادعى المشاهدة قبل خرُوج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر » .

فلأن معني التوقيع المبارك كما هو الراجح لدى العلماء هو ادعاء النيابة الخاصة والسفارة بقرينة أن التوقيع صدر قرب وفاة السمري حيث أن في أوله تعزية الإمام (ع) المؤمنين بموت السمري ما بينه وبين ستة أيام ثم أمره (ع) السمري بعدم الوصاية إلى أحد يقوم مقامه بعد وفاته إذ قد وقعت الغيبة التامة وأنه لا ظهور حتى يأذن الله تعالى ذكره وهذه كلها قرائن أن سياق الكلام دال على تكذيب ادعاء النيابة والسفارة بعد السمري رضوان الله تعالى عليه .

ونص التوقيع كما ذكره الشيخ في الغيبة[2] قال : « وأخبرنا جماعة (وهم مشايخه) عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الصدوق) قال : حدثني أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب (الذي ترحّم عليه الصدوق

---

(١) مثل الرواية التي أخرجها الطبري في (دلائل الامامة) من مشاهدة ابن مهزيار له (ع) (ص ٢٩٧) عند قوله (ع): «فما الذي أبطأ بك علينا ؟».

(٢) (ص ٢٤٢).

في إكمال الدين) قال : كنت بمدينة السلام في السنة التي توفى فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري (قده) فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم : يا علي بن محمد السمري عظّم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله ـ تعالى ذكره ـ وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة إلا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

وقد أنبأ (ع) شيعته بمجيىء المدعين الكذابين المفترين وقد حصل مجيئهم كرات ومرات ولا زال في يومنا هذا ، وهذا الإنباء بالمستقبل من معجزاته (ع) . وواضح أن من يدعي المشاهدة للحجة (ع) ليس غرضه إلا إظهار نفسه كوسيط وسفير للحجة (ع) وهذه قرينة أخرى على أن المعنى المراد في التوقيع المبارك هو ادعاء النيابة والسفارة .

الامر العاشر :

ولعل سؤالاً يطرح وهو : أليس الإبدال والأوتاد على درجة من القرب إلى الناحية المقدسة ، ولعل المقدمين منهم على اتصال فكيف يلتئم ذلك مع انقطاع النيابة الخاصة ؟

فالجواب يتضح من خلال استعراض ما ورد من الروايات في ذلك :

(منها) : ما رواه الصدوق (قده) بإسناده عن أبي سعيد الخدري في وصية النبي (ص) لعلي (ع) قال : « يا علي عليك بالجماع ليلة الاثنين فإنه إن قضى بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسّم الله عزّ وجلّ وإن جامعت أهلك . . . » .

(إلى أن قال) (ص) : « وإن جامعتها في لية الجمعة بعد العشاء

الآخرة فإنه يرحى أن يكون الولد من الابدال إن شاء الله »[1] وقد رواه الطبرسي في مكارم الأخلاق[2] .

(منها) ما رواه الطبرسي (قده) عن الخالد بن الهيثم الفارسي قال : قلت لأبي الحسن الرضا (ع) : « إن الناس يزعمون أن في الأرض أبدالاً ، فمن هؤلاء الابدال ؟ قال : صدقوا ، الابدال هم الأوصياء جعلهم الله عز وجلّ في الأرض بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم محمد (ع) »[3] .

وقال المجلسي (قده) في بياني هذا الحديث : ظاهر الدعاء المروي من أم داود عن الصادق (ع) في النصف من رجب :

قل : « اللهم صلّ على محمد وآل محمد وارحم محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صلّيت ورحمت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم صلِّ علي الأوصياء والسعداء والشهداء وأئمة الهدى اللهم صلِّ على الأبدال والأوتاد والسياح والعباد المخلصين والزهاد وأهل الجد والاجتهاد » إلى آخر الدعاء يدل على مغايرة الابدال للأئمة (عليهم السلام) لكن ليس بصريح فيها فيمكن حمله على التأكيد ويحتمل أن يكون المراد به في الدعاء خواص أصحاب الأئمة (عليهم السلام) والظاهر من الخبر نفي ما تفتريه الصوفية من العامة كما لا يخفى على المتتبع العارف بمقاصدهم (عليهم السلام) .

(ومنها) : ما رواه الكليني عن الباقر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « إني وإثني عشر[4] من ولدي وأنت يا علي زر الأرض

---

(١) الوسائل (ج ١٤، ب ١٥١) من أبواب مقدمات النكاح.
(٢) (ص ٢١١).
(٣) الإحتجاج (ج ٢، ص ٢٣١).
(٤) وفي الغيبة للطوسي (ص ٩٢): «أني وأحد عشر من ولدي» ويمكن توجيه نسخة الكافي

يعني أوتـادها وجبـالها ، بنـا أوتـد الله الأرض أن تسيـخ بـأهلهـا ، فـإذا ذهب الاثنـا عشر من ولـدي ساخت الأرض بـأهلها ولم ينـظروا »[1] . وهذه الـرواية مطابقة في المضمون للرواية السابقة ولكن هذا المضمون لا يعارض ما دل على أن الأوتاد والابدال هم غير الأئمة (عليهم السلام) وذلك لإمكان عموم معناهما غاية الأمر أنه تشكيكي (متفاوت الافراد) ذو درجات الأعلى والأشرف من أفراده هم الأئمة (عليهم السلام) ولهم آثار تخصهم بخلاف بقية أفراد ومصاديق ذلك المعنى العام فإن لهم آثار أقل شأناً .

وحكى الشيخ القمي في كتابه (سفينة البحار) في « عنوان قطب » .

« ثم اعلم أنه قال الكفعمي في حاشية مصباحه قيـل أن الأرض لا تخلو من القطب وأربعة أوتـاد وأربعين بدلاً وسبعين نجيبـاً وثلاثمـائة وستين صـالحاً فالقطب هو المهدي (صلوات الله عليه) ولا تكون الأوتـاد أقل من أربعـة لأن الدنيا كالخيمة والمهدي (ع) كالعمود وتلك الأربعة أطناب وقد تكـون الأوتاد أكثر من أربعة والأبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائة وستين والظاهر أن الخضر والياس (عليهما السلام) من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب .

« وأما صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفة عين ولا يجمعـون من الـدنيا إلا البـلاغ ولا تصدر منهم هفـوات البشر ولا يشتـرط فيهم العصمـة وشرط ذلك في القطب . وأما الأبدال فدون هؤلاء في المرتبة وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعمدون ذنباً » .

« وأما النجباء فهم دون الأبدال » .

أي فاطمة (ع) وأحد عشر من ولدها أو يكون عطف وأنت من عطف الخاص على العام حيث أنه (ع) ربيب رسول الله (ص) .

(١) الكافي (ج ١، ص ٥٣٤).

« وأما الصالحون فهم المتقون الموصوفون بالعدالة وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاستغفار والندم » ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ .

« ثم ذكر أنه إذا نقص واحد من أحد المراتب المذكورة وضع بدله من المرتبة الأدنى وإذا نقص من الصالحين وضع بدله من سائر الناس والله العالم »[1] .

وحكى في عنوان الياس « روى الثعلبي عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشي بالأردن عند نصف النهار فرأى الياس النبي فسأله كم من الأنبياء أحياء اليوم قال أربعة اثنان في الأرض واثنان في السماء ففي السماء عيسى وإدريس وفي الأرض الياس والخضر قلت : كم الابدال قال : ستون رجلاً خمسون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطىء الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلاد كلما ذهب الله تعالى بواحد منهم جاء سبحانه بآخر بهم يدفع الله عن الناس وبهم يمطرون . (ومنها) : ما في نهج البلاغة[2] من خطبة له (ع) في صفات المتقين « عباد الله أن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن . . . » إلى أن قال (ع) : « قد أخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه ، وأوتاد أرضه » .

وقال الشارح البحراني في ذيله :

« كونه من أوتاد أرضه استعار له لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما سبباً لحفظ ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الأرض واستقامة أمور هذا العالم » .

---

(١) وقد ذكر السيد حيدر الأملي في المقدمات من كتاب نص النصوص (ص ١٥٥) في التمهيد الثالث بحث الأقطاب والأوتاد والأبدال عند العرفاء والصوفية.

(٢) الخطبة (٨٧).

« ويشهد هذا المدلول لهذه الرواية لعموم المعنى الذي ذكرناه سابقاً وأنه تشكيكي ذو درجات وأيضاً يفسر مقام الابدال بأنه لهم نتيجة التقوى آثاراً تكوينية مختلفة لا أن غير الأئمة من الأبدال له منصب شرعي وديني خاص ومعين » .

ويؤيد ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك** ﴾[1] ما ورد في ذيله عن الباقر والصادق (عليهما السلام) قالا : « يحفظ الأطفال بصلاح آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح أبويهما » .

وفي رواية أخرى : « أن الله يحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة وأن الغلامين كان بينهما وبين أبيهما سبعمائة سنة » .

وفي رواية ثالثة : « أن الله ليفلح بفلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه في دويريه ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله » ثم ذكر الغلامين فقال (ع) : « وكان أبوهما صالحاً » ألم تر أن الله شكر صلاح أبويهما لهما .

وفي رواية رابعة أن النبي (ص) قال : « إن الله ليخلف العبد الصالح من بعد موته في أهله وماله وإن كان أهله أهل سوء » ثم قرأ الآية[2] .

ومن هذا القبيل ما روي عن الباقر (ع) عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قال : ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة (رحمة الله عليهم) وكان علي (ع) يقول : « وأنا إمامهم وهم الذين

---

(١) سورة الكهف الآية (٨٢) .

(٢) تفسير العياشي (ج ٢ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٩) .

صلوا على فاطمة (ع)[1] أي ببركتهم ويمنهم .

وفي رواية أخرى « قال (ع) : هؤلاء (المقداد وأبو ذر وسلمان) هم الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاؤوا بأمير المؤمنين (ع) مكرهاً فبايع »[2] .

وبهذا التفسير وردت روايات (منها) : ما رواه المجلسي (قده) عن مصباح الشريعة أنه قال الصادق (ع) : « التقوى على ثلاثة أوجه : تقوى بالله في الله وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص » .

« وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلاً عن حرام وهو تقوى الخاص » .

« وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام » .

« ومثل التقوى كماء يجري في نهر ومثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون وجنس وكل شجرة منهما يستمص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته ثم منافع الخلق من ذلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها قال الله تعالى : **﴿ صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾** الآية » .

« فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار ومثل طبايع الأشجار والثمار في لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان فمن كان أعلى درجة في الإيمان وأصفى جوهراً بالروح كان أتقى ومن كان أتقى كانت عبادته أخلص وأطهر ومن كان كذلك كان من الله أقرب » .

« وكل عبادة غير مؤسسة على التقوى فهو هباء منثور قال الله عزّ وجلّ

---

(١) رجال الكشي (ح ١٣).
(٢) رجال الكشي (ح ١٢).

﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم** ﴾ الآية وتفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً عما به بأس وهو في الحقيقة طاعة وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود »[1] .

وروى الشيخ الحراني في (تحف العقول) : « أنه دخل على الصادق (ع) رجل فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من محبيكم ومواليكم فقال له جعفر : لا يحب الله عبداً حتى يتولاه ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة . ثم قال له : من أي محبينا أنت ؟ فسكت الرجل ؟ » .

فقال له سدير : « وكم محبوكم يا ابن رسول الله ؟ » فقال : « على ثلاث طبقات : طبقة أحبونا في العلانية ولم يحبونا في السر وطبقة يحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية » .

« وطبقة يحبونا في السر والعلانية هم النمط الأعلى شربوا من العذاب الفرات وعلموا تأويل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب فهم النمط الأعلى الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وفتنوا فمن بين مجروح ومذبوح متفرقين في كل بلاد قاصية بهم يشفى الله السقيم ويغني العديم وبهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون وهم الأقلون عدداً الأعظمون عند قدراً وخطراً » الحديث .

وروى الكليني عن الباقر (ع) قال : « إن الله تعالى ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء » وقال : « لا يصيب قرية عذاب وفيها سبعة مؤمنين »[2] .

---

(١) البحار (ج ٧٠، ص ٢٩٥).
(٢) الكافي (ج ٢، ص ٢٤٧).

وروى الشيخ المجلسي في (البحار) عن كتاب زيد الزراد قال : « قلت لأبي عبد الله (ع) نخشى أن لا نكون مؤمنين » قال : ولم ذاك ؟ قلت : « وذلك أنّا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده آثر من درهمه وديناره ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاة أمير المؤمنين (ع) » .

قال : « كلا إنكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونوا مؤمنين كاملين ولو لم يكن في الأرض مؤمنون كاملون إذاً لرفعنا الله إليه وأنكرتم الأرض وأنكرتم السماء[1] ، بل والذي نفسي بيده أن في الأرض في أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضة » .

ثم ذكر (ع) أوصافهم بنحو ما ذكر أمير المؤمنين (ع) أوصاف المتقين في خطبة لهمام ثم قال (ع) : « واشوقاه إلى مجالستهم ومحادثتهم يا كرباه لفقدهم ويا كشف كرباه لمجالستهم اطلبوهم فإن وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتم وفزتم بهم في الدنيا والآخرة هم أعز في الناس من الكبريت الأحمر حليتهم طول السكوت وكتمان السر والصلوة والزكاة والحج والصوم والمواساة للاخوان في حال اليسر والعسر الخ » الحديث[2] .

ومن ذلك يظهر بوضوح أن الأبدال والأوتاد هم الذين على درجة من الإيمان وببركتهم ويمنهم ، ينشر الله تعالى أنواع الخير على أهل الأرض وهم أحب المؤمنين لدى المعصومين (عليهم السلام) وأرفعهم منزلة عندهم وكرامة ، ولكن أين ذلك من جعل المنصب والنيابة الخاصة والوساطة بين الامام المعصوم وبين سائر الناس .

---

(١) أي لأنكرتم حالهما وأنكر الشيء يقال عندما لا يراه على حاله السابق وهو كناية عن «لساخت الأرض والسماء».

(٢) البحار (ج ٦٧، ص ٣٥١).

نعم هم قدوة وأمثال حية للمؤمن الكامل والمتقي الكريم على الله تعالى ورسوله والأوصياء صلوات الله عليهم .

وكم فرق بين الاهتداء بهم في طاعاتهم وورعهم وتقـواهم وبين الائتمار والانتهاء لأقوالهم والسماع لأخبارهم عن المعصوم .

وهذا المقام للإبدال والأوتاد مفتوح بابه لمن أراد بأن يجاهد نفسه وهواه فقد روى الكليني عن الباقر (ع) أنه قال : أن أصحاب محمد (ص) قالوا : « يا رسول الله نخاف النفافاق » . قال : فقال : « ولم تخافون ذلك ؟ » قالوا : « إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الـدنيا وزهـدنا كـأنا نعـاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فإذا خـرجنا من عنـدك ودخلنا هـذه البيوت وشممنـا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كـأنّـا لم نكن على شيء ؟ أفتخـاف علينـا أن يكـون ذلـك نفـاقـاً ؟ » فقـال لهم رسول الله (ص) : « كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصـافحتكم الملائكـة ومشيتم على الماء » الحديث[1] .

وهـذا بخلاف مقـام النيـابـة والسفـارة فـإنـه بـاختيـار وإرادة من الإمـام المعصوم (ع) .

ويجدر التنبيه مـع ذلك إلى مـا قالـه الصادق (ع) : « إلى أن الابـدال والكاملين هم أعز من الكبريت الأحمر أي أنهم في منتهى الندرة و القلة فكيف يعثـر عليهم مع إخفـاءهم لحالهم لكيـلا يذهب خلوص نيـاتهم ولئـلا يحصـل لأنفسهم الاغترار وغير ذلك من مفاسد الاشتهار » .

وهذا من الشواهد على اختلاف مقامهم لمقام النيابة والسفارة .

الفصل الثالث

(في الفرق التي انحرفت عن الطائفة الامامية وكيفية انحرافها)

وهي كثيرة حتى قيل أن الشيخ الجليل سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي ذكر في كتابه (المقالات والفرق) ما يقرب من مائة وأربع عشرة[١] فرقة وبدعة .

وسر ذلك هو ما قاله أمير المؤمنين (ع) عندما خطب الناس فقال : « أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ، يتولى فيها رجال رجالاً فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجي ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى »[٢] .

وعن الصادق (ع) أنه قال : قال رسول الله (ص) : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »[٣] .

---

(١) انظر مقدمة الكتاب المزبور، ص (د).
(٢) الكافي (ج ١ ، ص ٥٤).
(٣) المصدر السابق (ج ١ ، ص ٥٧).

ومن هـذه الفرق « هم الـذين غلوا في أمير المؤمنين (ع) » وزعمـوا أنه ربهم فأمر (ع) بقتلهم .

وقد رواه الكشي في كتاب الرجل في ترجمة (محمد بن أبي زينب) [1] بإسناده عن عبد الله بن شريك عن أبيه قال : « بيّنا علي (ع) عند امرأة من عنزة وهي أم عمرو إذ أتاه قنبر » فقال : « إن عشرة نفر بالباب يزعمون أنك ربهم » ، قال : « أدخلهم ؟ » قال : « فدخلوا عليه » ، فقال : « ما تقولون ؟ » فقـالوا : « إنك ربنا وأنت الذي خلقتنا وأنت الذي ترزقنا » .

فقال لهم : « ويلكم لا تفعلوا إنما أنا مخلوق مثلكم » ، فأبوا أن يقلعوا ، فقال لهم : « ويلكم ربي وربكم الله ويلكم إنما أنا مخلوق مثلكم » ، فأبوا أن يقلعوا فقال لهم : « ويلكم ربي وربكم الله توبوا وارجعوا » .

فقالوا : « لا نرجع عن مقالتنا أنت ربنا ترزقنا وأنت خلقتنا » ، فقال : « يا قنبر آتني بالفعلة » فخرج قنبر فأتاه بعشر رجال مـع الزبـل والمرور فـأمرهم أن يحفروا لهم في الأرض فلما حفروا خدأ أمرنا بالحطب والنـار فطرح فيـه حتى صار ناراً تتوقد ، قال لهم : « ويلكم توبوا وارجعوا »! فأبوا وقالوا : « لا نرجع فقذف علي (ع) بعضهم ثم قذف بقيتهم في النار ثم قال لي (ع) : « إني إذا بصرت شيئاً منكراً ، أوقدت ناري ودعوت قنبراً » .

وقـد قال أميـر المؤمنين (ع) : « هلك فيّ رجـلان محب غـال ومبغض قال »[2] .

ومنها (الخطابية) أصحاب أبي الخـطاب محمد بن أبي زينب الأسـدي

---

(١) الروايات التي نقلها في هذه الفرق جلها ذكرها الكشي في تلك الترجمة.

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم (١١٧).

الأخدع[1] الزراد البزازيكني تارة أبا الخطاب وأخرى أبا الظبيات[2] وأبا إسماعيل لعنه الله وكانوا قد أظهروا الاباحات وتحليل المحرمات وآل أمرهم إلى الدعوة إلى نبوّة أبي طالب ، وكانوا يدعون الناس إلى أمرهم سراً فبلغ خبرهم عيسى بن موسى وكان عاملاً للمنصور العباسي على الكوفة فبعث إليهم رجلاً من أصحابه في خيل ورجالة »

« فكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجارة والسكاكين كانت مع بعضهم وجعلوا القصب مكان الرماح وقد كان أبو الخطاب قال لهم : « قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسائر السلاح ورماحهم وسيوفهم لا يضركم ولا يعمل فيكم ولا يحتك في أبدانكم فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً صاحوا إليه يا سيدنا ما ترى ما يحل بنا من هؤلاء القوم ؟ ولا ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر وقد يكسر كله ؟ وقد عمل فينا وقتل من ترى منّا » .

فقال لهم : « يا قوم إن كان بدّاً لله فيكم فما ذنبي ، يا قوم قد بليتم وامتحنتم وأذن في قتلكم وشهادتكم فقاتلوا على دينكم وأحسابكم ثم إنهم قتلوا وقتل هو وصلب » فقال بعض أصحابه : « أن أبا الخطاب لم يقتل ولا أسر ولا قتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشبه عليهم وأنه قد صير بعد حدث هذا الأمر من الملائكة »[3] . وزعموا أنه لا بد من رسولين في كل عصر ولا تخلو الأرض منهما : واحد ناطق وآخر صامت فكان محمد (ص) ناطقاً وعلي صامتاً وتأولوا في ذلك قول الله : ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا** ﴾ تترى ثم ارتفعوا عن هذه المقالة إلى أن قال بعضهم : « هما آلهة ، وتشاهدا بالزور » .

---

(١) وقيل الأجدع بالجيم.
(٢) وقيل أبا الظبيان بالنون.
(٣) المقالات والفرق (ص ٨١).

ثم انهم افترقوا لما بلغهم أن جعفر بن محمد (الصادق) (ع) لعنهم ولعن أبا الخطاب وبرىء منه ومنهم فصاروا أربع فرق وكان أبو الخطاب يدّعي أن جعفر بن محمد (ع) قد جعله قيمه ووصيّه من بعده وأنه علّمه اسم الله الأعظم .

ثم ترقى إلى أن ادّعى النبوة ثم ادّعى الرسالة ثم ادّعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم وذلك بعد دعواه أنه جعفر بن محمد وأنه يتصور في أي صورة شاء .

وذكر بعض الخطابية أن رجلاً سأل جعفر بن محمد عن مسألة وهو بالمدينة فأجابه فيها ثم انصرف إلى الكوفة فسأل أبا الخطاب عنها فقال له : « أولم تسألني عن هذه المسألة بالمدينة فأجبتك فيها ؟ » .

ومنها (الحارثية) : أصحاب عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقاً من أهل المدائن فأبرز لأصحاب عبد الله بن معاوية ـ الذي قتله أبو مسلم والذي هو صاحب إحدى الفرق الكيسانية وقد مال إليه شذاذ صنوف الشيعة ـ فأدخلهم في الغلو والقول بالتناسخ والأظلة والدور وأسند ذلك إلى (جابر بن عبد الله الأنصاري) ثم إلى (جابر بن يزيد الجعفي) فخدعهم بذلك حتى ردّهم عن جميع الفرائض والشرائع والسنن وادعى أن هذا مذهب جابر بن عبد الله وجابر بن يزيد (رحمهما الله) فإنهما قد كانا من ذلك بريئين »[1] .

ومنهم ومن الكيسانية والعباسية والخر مدينية كان بدء الغلو في القول حتى قالوا أن الأئمة آلهة وأنهم أنبياء وأنهم رسل وأنهم ملائكة وهم الذين تكلموا بالأظلة وفي التناسخ في الأرواح .

وهم أهل القول بالدور في هذا الدار وأبطال القيامة والبعث والحساب

---

(١) الفرق للنوبختي (ص ٣٤).

وزعموا أن لا دار إلا الدنيا وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره (وهو معنى الدور) إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشراً .

« وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها والأبدان هي الجنات وهي النار وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الأنسية المنعمة في حياتهم ومعذبون في الأجسام الروية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيّات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن إلى بدن معذبون فيها هكذا أبد الأبد فهي جنتهم ونارهم ، لا قيامة ولا بعث ، ولا جنة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم فإنما تسقط الأبدان وتخرب إذ هي مساكنهم فتتلاشى الأبدان وهذا معنى الرجعة عندهم »[1] .

ومنها (المنصورية) : « أصحاب أبي منصور العجلي الذي لعنه الإمام الصادق (ع) ثلاثاً ، وهو الذي ادعى أن الله عز وجل عرج به إليه فأدناه منه وكلّمه ومسح يده على رأسه وقال له بالسرياني أي بني وذكر أنه نبي ورسول وأن الله اتخذه خليلاً » .

« وكان منصور من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشأه بالبادية وكان أمّيّاً لا يقرأ فادّعى بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (ع) أنه فوّض إليه أمره وجعله وصيّه من بعده ثم ترقّى به الأمر » إلى أن قال : « كان علي بن أبي طالب (ع) نبيّاً ورسولاً وكذا الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وأنا نبي ورسول والنبوة في ستة من ولدي يكونون بعدي أنبياء آخرهم القائم » .

وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول : « من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي » ، وزعم أن جبرئيل (ع)

---

(١) الفرق للنوبختي (ص ٣٦).

يأتيه بالوحي من عند الله عزّ وجلّ وأن الله بعث محمداً بالتنزيل وبعثه هو (يعني نفسه) بالتأويل .

« فطلبه خالد بن عبد الله القسري فأعياه ثم ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبي منصور وقد تنبأ وادّعى مرتبة أبيه وجبيت إليه الأموال وتابعه على مذهبه ورأيه بشر كثير وقالوا بنبوته فبعث به للمهدي العباسي فقتله في خلافته وصلبه بعد أن أقر بذلك وأخذ منه مالاً عظيماً وطلب أصحابه طلب شديداً وظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم »[١] .

ومنهم (أصحاب السري) قالوا : أنه رسول مثل أبي الخطاب أرسله جعفر . وقال : أنه قوي أمين وهو موسى القوي الأمين وفيه تلك الروح وجعفر هو الإسلام والإسلام هو السلام وهو الله عز وجل ونحن بنوا الإسلام كما قالت اليهود : ﴿ **ونحن أبناء الله وأحباءه** ﴾[٢] .

ومنها (البيانية) أصحاب بيان بن سمعان النهدي الذي كان يبيع التبن بالكوفة ، ثم ادّعى أن محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (ع) أوصى أليه فأخذه خالد بن عبد الله القسري فقتله وصلبه مدة ثم أحرقه وأخذ معه خمسة عشر رجلاً من أصحابه فشدهم في أطنان القصب وصب عليهم النفط في مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل فخرج يشتد ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم فكر راجعاً فألقى نفسه في النار فاحترق معهم وكان (بيان) يقول هو وأصحابه أن الله تبارك وتعالى يقول يشبه الإنسان وهو يفنى ويهلك جميع جوارحه إلا وجهه وتأولوا في ذلك قوله الله : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ .

---

(١) المصدر السابق (ص ٣٨).
(٢) المصدر السابق (ص ٤٣).

وزعمت البيانية أن الوصية لعبد الله بن محمد بن الحنفيـة بعد غيبـة أبيه وأنها وصية استخلاف على الخلق كما استخلف رسـول الله على المدينـة علياً وغيره عند خروجه منهـا في غزواتـه لا استخلاف بعـد الموت وأنـه حجة على الخلق وعلى الناس تقديمه وطاعته .

وزعموا أن أبا هاشم (عبد الله بن محمد) لما قال : أنا الوصي على بني هاشم وسائر الناس ، طاعتي فرض واجب أردنا قتله فلما رأى إنكارنا مـا ادعاه وإنكار الناس ذلك دعا ربه أن يعطيه آية . وقال : اللهم إن كنت صادقـاً فلتقع الزهرة في كفي فسقطت في كفه ولقد نظرناها أنها في حقة توقد وإن مكانها من السماء فارغ ما فيه كوكب ولا دونه وذكرت هذه الفرقة أن أبا شجاع الحارثي قال له حين دخل عليه الجوسق[1] وفيه خطاطيف كثيرة وخفافيش : « إن كنت صادقاً فاتِ بآية إجعل الخفـافيش كاسيـاً بايضـاً والخطاف أصـرط ولوداً » فـدعا ربّـه فجعلهما كذلك .

وإنه لم يزل من ذلك الخفاش والخـطاطيف بقية إلى أن خـرج السودان قالوا : « فاستغرب أبو شجاع ضحكاً تعجباً وسروراً فضحك لضحكه أبو هاشم ثم بصق في وجهه فملأ وجهه دراً منظوماً » قالوا : « وشكا إليه الخلوف وضعف الباه فتفل في لهاته ففاح منه كلطيمة العطار ونفـخ في أحليله فكان يجـامع في الليل مائة امرأة »[2] . وقالوا : « أن أبا هاشم عبد الله بن محمد نبي بياناً عن الله عـزّ وجلّ فبيـان نبي وتأولـوا في ذلك قـول الله عز وجـل : ﴿ **هذا بيـان للناس وهـدى** ﴾ وادّعى (بيـان) بعـد وفـاة أبي هـاشم النبـوة وكتب إلى أبي جعفـر محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (ع) يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوّته ويقول له : « أسلم تسلم وترتق في سلم وتنج وتغنم فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة

(١) الجوسق القصر أو الحصن.

(٢) المقالات والفرق (ص ٣٣، ٣٤) وأيضاً كتاب الفرق للنوبختي.

والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر فأمر أبو جعفر (الباقر) (ع) رسول بيان فأكل قرطاسه الذي جاء به وقتل (بيان) على ذلك وصلب »[1] .

ومنها (أصحاب حمزة بن عمارة الزبيدي البربري) الذي كان في بدأ أمره من الكيسانية (أي الذين قالوا بإمامة محمد بن الحنفية) ففارقهم وكان من أهل المدينة وادعى أنه نبي وأن محمد بن الحنفية هو الله وأن حمزة هو الإمام والنبي وأنه ينزل عليه سبع أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها فتبعه على ذلك أناس من أهل المدينة وأهل الكوفة ولعنه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (ع) وبرىء منه وكذّبه وبرأت منه الشيعة وتبعه على رأيه رجلان من نهد من أهل الكوفة يقال لأحدهما (صائد) والآخر بيان بن سمعان (الذي تقدم ذكره) . وكان حمزة بن عمارة نكح ابنته وأحلّ جميع المحارم وقال : « من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه فأصحاب أبي (ابن) كرب وأصحاب حمزة وأصحاب صايد وبيان ينتظرون رجوعهم ورجوع الماضين من أسلافهم ويزعمون أن محمد بن الحنفية يظهر نفسه بعد الاستتار عن خلقه فينزل إلى الدنيا ويكون فيها بين المؤمنين فهذا معنى الآخرة عندهم »[2] .

ومنها (المغيرية) : أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي مولى بجيلة الذي خرج بظاهر الكوفة في إمارة خالد بن عبد الله القسري فظفر به وأحرقه وأحرق أصحابه سنة ١١٩ هـ وكان يكذب على الإمام أبي جعفر الباقر (ع) وقد لعنه الإمام الصادق (ع) ـ وهم من الفرق التي انشعبت من الزيدية ـ وقالوا بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن وتولوه وأثبتوا إمامته ، فلما قتل صاروا لا إمام لهم

---

(١) فرق الشيعة (ص ٣٤).
(٢) المقالات والفرق (ص ٣٢ و ٣٤) أيضاً وكتاب الفرق للنوبختي.

ولا وصيّ ولا يثبتون لأحد إمامة بعده وكان المغيرة قال بهذا القول لما توفى الإمام الباقر (ع) وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعة أصحاب الإمام الصادق (ع) ورفضوه فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذي سمّاهم بهذا الإسم ونصب بعض أصحاب المغيرة المغيرة إماماً ثم تراقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم أنه رسول وأن جبرئيل يأتيه بالوحي من عند الله وكان يدّعي أنه يحيي الموتى وقال بالتناسخ »[1] .

ومنها (أصحاب بزيع بن موسى الحائك) : الذي لعنه الإمام الصادق (ع) قالوا : « أن بزيعاً رسول مثل أبي الخطاب أرسله جعفر بن محمد وشهد بزيع لأبي الخطاب بالرسالة وبرىء أبو الخطاب وأصحابه من بزيع »[2] .

ومنها (البشيرية) : أصحاب محمد بن بشير مولى بن أسد من أهل الكوفة وهم فرقة انشقت من الواقفة ـ وهي التي وقفت على الإمام الكاظم (ع) بعد وفاته وقالت أنه لم يمت وأنه المهدي الموعود وأنه قد غاب ـ وقالوا : « أن موسى بن جعفر (ع) لم يمت ولم يحبس وأنه حي غائب وأنه القائم المهدي وأنه في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصيّاً وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته وفوّض إليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الإمام بعده » .

« وأن محمد بن بشير لما توفي أوصى إلى ابنه (سميع بن محمد بن بشير) فهو الإمام ومن أوصي إليه (سميع) فهو الإمام المفترض الطاعة على الأمة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به إلى الله عز وجلّ فالفرض عليهم أداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم » .

---

(١) الفرق للنوبختي (ص ٥٩ و ٦٢).
(٢) المصدر السابق (ص ٤٣).

« وكفروا القائلين بإمامة الإمام الرضا (ع) واستحلوا دماءهم وأموالهم » .

« وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان واعتلوا في ذلك بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً وقالوا بالتناسخ** ﴾[1] وكان محمد بن بشير صاحب شعبذة ومخاريق معروفاً بذلك وكان سبب قتله أنه يستعمل الشعبذة والمخاريق للدلالة على أنه نبي وكان يقول في موسى بالربوبية » .

« وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً كأنه صورة أبي الحسن الكاظم (ع) في ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتى صارت شبيهاً بصورة إنسان وكان يطويها فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها » .

« وكان يقول لأصحابه أن أبا الحسن (ع) عندي فإن أحببتم أن تروه وتعلموا أني نبي فهلموا أعرضه عليكم فكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه . فيقول لهم : هل ترون في البيت مقيماً أو ترون فيه غيري وغيركم ؟ فيقولون : لا وليس في البيت أحد ، فيقول : أخرجوا فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر ويسبل بينه وبينهم » .

« ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينه وبينهم فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبي الحسن لا ينكرون منه شيئاً ويقف هو منه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذ أنه يكلمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره » .

« ثم يغمزهم أن يتنحّوا فيتنحون ويسب الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئاً » .

« وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها فهلكوا بها ، فكانت هذه حاله مدة حتى رفع خبره إلى بعض الخلفاء العباسيين أنه

---

(١) الفرق للنوبختي (ص ٨٣).

زنديق فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال : يا أمير المؤمنين استبقني فأنى أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها فأطلقه . فكان أول ما اتخذ له الدوالي فإنه عمد إلى الدوالي فسواها وعلقها وجعل الزيبق بين تلك الألواح فكانت تعمل من غير احتياج إلى إنسان وتصب الماء في البستان ثم بعد مدة تعطلت الدوالي فاستراب أمره وظهر عليه التعطيل والاباحات ، وقد كان الصادق والكاظم (عليهما السلام) يدعوان الله عليه ويسئلانه أن يذيقه حر الحديد فأذاقه الله حر الحديد بعد أن عذب أنواع العذاب »[١] .

ومنها (أصحاب معمر بن خيثم) : الذي لعنه الامام الصادق (ع) - قالوا أن جعفر بن محمد هو الله عز وجل - وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً - وإنما هو نور يدخل في أبدان الأوصياء فيحل فيها فكان ذلك النور في جعفر ثم خرج منه فدخل في (أبي الخطاب) فصار (جعفر) من الملائكة ثم خرج من (أبي الخطاب) فدخل في (معمر) وصار أبو الخطاب من الملائكة .

فمعمر هو الله عز وجل فخرج (بان اللبان) يدعو إلى معمر وقال أنه الله عز وجل وصلى له وصام وأحلّ الشهوات كلها ما حل منها وما حرّم وليس عنده شيء محرم وقال : « لم يخلق الله هذا إلا لخلقه فكيف يكون مُحرّماً وأحلّ الزّنا والسرقة وشرب الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح الأمهات والبنات والأخوات ونكاح الرجال ووضع عن أصحابه غسل الجنابة » ، وقال : « كيف أغتسل من نطفة خلقت منها » .

وزعم أن كل شيء أحلّه الله في القرآن وحرّمه فإنما هو أسماء الرجال[٢] .

---

(١) الكشي في ترجمة محمد بن بشير.
(٢) الفرق للنوبختي (ص ٤٤).

وروى الكشي في رجاله بإسناده عن الصادق (ع) قال عندما سئل عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفّاك أثيم** ﴾ ، قال : « هم سبعة : المغيرة بن سعيد وبيان ، وصائد النهدي ، والحارث الشامي ، وعبد الله بن الحارث ، وحمزة بن عمارة البربري ، وأبو الخطاب »[1] .

وروي عن عنبسة بن مصعب قال : قال لي الصادق (ع) : « أي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟ قال : سمعته يقول : إنك وضعت يدك على صدرك وقلت له عه ولا تنس ! وأنك قلت له : هو عيبة (مخزن) علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا . قال : لا والله ما مسّ شيء من جسدي جسده إلا يده » ، وأما قوله : « إني قلت له هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط » .

وروي عن علي بن عقبة عن أبيه قال : « دخلت على أبي عبد الله (ع) قال : فسلمت وجلست . فقال لي : كان في مجلسك هذا أبو الخطاب ومعه سبعون رجلاً كلهم إليه ينالهم منهم شيء رحمتهم فقلت لهم : ألا أخبركم بفضائل المسلم فلا أحسب أصغرهم إلا قال : بلى جعلت فداك . قلت : من فضائل المسلم أن يقال : فلان قارىء لكتاب الله عزّ وجلّ ، وفلان ذو حظ من ورع وفلان يجتهد في عبادته لربه فهذه فضائل المسلم ، ما لكم وللرياسات ؟ إنما المسلمون رأس واحد ، إياكم والرجال فإن الرجال للرجال مهلكة » .

فإني سمعت أبي يقول : « أن شيطاناً يقال له المذهب يأتي في كل صورة إلا أنه لا يأتي في صورة نبي ولا وصي نبي ولا أحسبه إلا وقد تراءى لصاحبكم

---

(١) الروايات التي نذكرها تباعاً عن رجال الكشي في ترجمة محمد بن أبي زينب.

فاحذروه فبلغني أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنه لا يهلك على الله إلا هالك » .

وروى عن عبد الله بن بكير الرجاني قال : « ذكرت أبا الخطاب ومقتله عند أبي عبد الله (ع) قال : « فرققت عند ذلك فبكيت ، فقال : أتأسى عليهم ؟ فقلت : لا وقد سمعتك تذكر أن علياً (ع) قتل أصحاب النهر فأصبح أصحاب علي (ع) يبكون عليهم فقال علي (ع) لهم : أتأسون عليهم ؟ قالوا : لا إلا أنا ذكرنا الإلفة التي كنّا عليها والبلية التي أوقعتهم فلذلك رققنا عليهم ، قال : لا بأس » .

وروي عن الكاظم (ع) أنه قال : « أن أبا الخطاب أفسد أهل الكوفة فصاروا لا يصلّون المغرب حتى يغيب الشفق ولم يكن ذلك إنما ذاك للمسافر وصاحب العلة » .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : « أما أبو الخطاب فكذب علي وقال إني أمرته أن لا يصلي هو وأصحابه المغرب حتى يروا كوكب كذا يقال له : القنداني والله إن ذلك الكوكب ما أعرفه »[1] .

وروي عن المفضل قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : « اتق السفلة واحذر السفلة فإني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منّي » .

وروى عيسى عنه (ع) : « إياك ومخالطة السفلة فإن السفلة لا تؤل إلى خير » . وروى عمران بن علي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : « لعن الله أبا الخطاب ، ولعن من قتل معه ولعن من بقي منهم ، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم » .

وروي عن الكاظم (ع) أنه قال عندما سئل عن أبي الخطاب : « إن الله

---

(١) خصوص هذه الرواية ذكرها الكشي في ترجمة المغيرة بن سعيد.

خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلا مؤمنين واستودع قوماً أيماناً فإن شاء أتمه لهم وإن شاء سلبهم إياه ، وإن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان : فلما كذب على أبي سلبه الله الايمان » .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال للمفضل بن مزيد عندما ذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة قال له : « يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤاثروهم » .

وقال عند ذكرة الغلاة[1] : « أن فيهم من يكذب حتى أن الشيطان ليحتاج إلى كذبه » .

وقال للغالية : « توبوا إلى الله فإنكم فسّاق كفّار مشركون » .

وعن أبي بصير قال : قال لي الصادق (ع) : « يا أبا محمد (كنية أبي بصير) إبرأ ممن يزعم أنا أرباب . قلت : برىء الله منه ، قال : ابرء ممن يزعم أنّا أنبياء ، قلت : برىء الله منه » .

وقال (ع) : « إن ممن ينتحل هذا الأمر لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس الذين أشركوا » والمعنى أن بعض من يدعي التشيع لهو شر من أولئك وذلك بسبب الانحراف والضلال الذي يبتدعه من تلقاء نفسه ، ويقال انتحل الشيء وتنحله ادعاه لنفسه وهو لغيره . ويقال : فلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه .

وروي عن عنبسة قال : قال أبو عبد الله الصادق (ع) : « لقد أمسينا وما

---

(١) غلا في الأمر غلوا جاوز حده قال تعالى : **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾** ومنه غلاء الأسعار. والغلاة فرق كثيرة تذهب غالباً إلى وصف الأئمة (ع) بصفات الألوهية والعياذ بالله وقد شدّد الأئمة على شيعتهم التبرى من الغلاة وتكفيرهم والبعد عنهم.

أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودّتنا » .

وروى الكشي أيضاً عن المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : « لو قام قائمنا بدأ بكذابي الشيعة فقتلهم » .

وقال الكاظم (ع) : قال أبو عبد الله الصادق (ع) : ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع » .

وروي عن الصادق (ع) قال : « جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال : السلام عليك يا ربي ! فقال : ما لك لعنك الله ، ربي وربك الله ، أما والله لكنت ما علمت لجباناً في الحرب لئيماً في السلم » .

وروي عن مصادف قال : « لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة (أي الخطابية والغلاة) : دخلت على أبي عبد الله (ع) فأخبرته بذلك : فخر ساجداً وألزق جؤجؤه (الصدر أو مجتمع رؤوس عظام الصدر) بالأرض ، وبكى ، وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول : بل عبداً لله قن داخر مراراً كثيرة ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخباري إياه ، فقلت : جعلت فداك وما عليك أنت من ذا (أي ما يقوله الغلاة) ؟ فقال : يا مصادف إن عيسى (ع) لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقّاً على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره ، ولو سكت عما قال في أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري » .

ولذا قال (ع) عندما ذكر أبا الخطاب : « اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوّفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي اللهم أذقه حرّ الحديد » .

وقال (ع) : « تراءى والله إبليس لأبي الخطاب على سور المدينة أو المسجد فكأني أنظر إليه وهو يقول له ايهاً تظفر الآن ايهاً تظفر الآن »[1] .

---

(١) قيل: «والظاهر أن إبليس قال له ذلك عندما أتى العسكر لقتله أي لا تتكلم بكلمة توبة» أو لعل ذلك في أوائل ضلاله فوعده بالظفر والرئاسة كي يدفعه في غيّه بسرعة.

وروي عن حفص بن عمرو النخعي قال : « كنت جالساً عند أبي عبد الله (ع) فقال له رجل : « جعلت فداك إن أبا منصور حدثني أنه رفع إلى ربه وتمسح على رأسه وقال له بالفارسية : « يا پسر » (يا بني) . فقال له أبو عبد الله الصادق (ع) : حدثني أبي عن جدي أن رسول الله (ص) قال : أن إبليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض واتخذ زبانية كعدد الملائكة فإذا دعا رجلاً فأجابه ووطيء عقبه وتخطت إليه الأقدام (كناية عن الرئاسة للرجال) ، تراءى له إبليس ورفع إليه وأن أبا منصور كان رسول إبليس لعن الله أبا منصور ولعن الله أبا منصور ثلاثاً » .

وروي عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : « أن بناناً والسري وبزيعاً (لعنهم الله) تراءى لهم الشيطان في أحسن ما يكون صورة آدمي من قرنه إلى سرته . قال : فقلت : إن بناناً يتأوّل هذه الآية ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ ، إن الذي في الأرض غير إله السماء وإله السماء غير إله الأرض ، وأن إله السماء أعظم من إله الأرض وأن أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظّمونه . فقال : والله ما هو إلا الله ما هو إلا الله وحده لا شريك له إله من في السموات وإله من في ا الأرضين » .

قال : [هو الأمام فقال أبو عبد الله (ع) : لا والله لا يأويني سقف بيت أبداً هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيء قط أن عزيراً جال في صدره ما قالت فيه اليهود فمحى الله اسمه من النبوة والله لو أن عيسى أقر بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة والله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتني الأرض وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على شيء ضر ولا نفع][1] كذب بنان عليه لعنة الله ، لقد صغّر

---

(١) إدراج ما بين القوسين هنا وإن كان من رواية أخرى ولكنها تضمنت نفس السؤال عن ذلك حيث قالت به الخطابية منهم جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب فقال (ع) لا والله لا يأويني . . .

الله جل وعزّ وصغّر عظمته .

وروى الكشي عن ابن سنان قال : قال أبو عبد الله (ع) : « إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس » .

كان رسول الله (ص) أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه .

وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله (ص) وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفتري عليه من الكذب عبد الله بن سبأ (لعنه الله) .

وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) قد ابتلى بالمختار . ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي وبنان فقال : « كانا يكذبان على علي بن الحسين (ع) » ، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسري وأبا الخطاب ومعمراً وبشراً الأشعري وحمزة الزبيدي وصائد النهدي فقال : « لعنهم الله إنّا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد » .

وعن زرارة عن الباقر (ع) قال : سمعته يقول : « لعن الله بنان البيان وأن بناناً (لعنه الله) كان يكذب على أبي أشهد أن أبي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً » .

وعن الصادق (ع) قال : « لعن الله المغيرة بن سعيد أنه كان يكذب على أبي فأذاقه الله حر الحديد ، لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا » .

وعن أبي يحيى الواسطي قال : قال أبي الحسن الرضا (ع) : « كان بنان يكذب على علي بن الحسين (ع) فأذاقه الله حر الحديد وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحديد ، وكان محمد بن بشير

يكذب على أبي الحسن موسى (ع) فأذاقه الله حر الحديد ، وكان أبو الخطاب يكذّب على أبي عبد الله (ع) فأذاقه الله حر الحديد والذي يكذب على محمد بن فرات » .

وقال أبو يحيى : « وكان محمد بن فرات من الكتاب (أي الذين يعملون في ديوان العباسيين) فقتله إبراهيم بن شكله » .

وروي عن ابن أبي يعفور قال : « دخلت على أبي عبد الله (ع) فقال : ما فعل بزيع ؟ فقلت له : قتل . فقال : الحمد لله أما أنه ليس لهؤلاء المغيرية شيء خيراً من القتل لأنهم لا يتوبون أبداً » .

وعن سدير الصيرفي قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : « أن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم** ﴾ ، قال : يا سدير سمعي وبصري وشعري ولحمي ودمي من هؤلاء براء برء الله منهم ورسوله ما هؤلاء على ديني ودين آبائي والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلا وهو عليهم ساخط . قال : قلت : فما أنتم جعلت فداك ؟ » .

قال : « خزان علم الله وتراجمة وحي الله ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا ، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض » .

وعن المفضل بن عمر قال : « سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : « إياك والسفلة إنما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه » .

وعن ابن المغيرة قال : « كنت عند أبي الحسن الكاظم (ع) أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن فقال يحيى : جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب ؟ فقال سبحان الله سبحان الله ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت

في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت ، قال ثم قال : لا والله ما هي إلا وراثة عن رسول الله (ص) .

وعن الصادق (ع) سئل عن الناسخ ؟ قال : « فمن نسخ الأول » أقول : شرح الحديث المحقق الفيلسوف الميرداماد (قدس الله روحه) قال :

« قوله (ع) فمن نسخ الأول أشار إلى برهان إبطال التناسخ على القوانين الحكمية والأصول البرهانية تقريره : أن القول بالتناسخ إنما يستتب لو قيل بأزلية النفس المدبرة للأجساد المختلفة المتعاقب على التناقل والتناسخ وبلا تناهي تلك الأجساد المتناسخة بالعدد في جهة الأزل ، كما هو المشهور من مذهب الذاهبين إليه » .

« والبراهين الناهضة على استحالة اللانهاية العددية بالفعل مع تحقق الترتب والاجتماع في الوجود (أي البراهين القائمة على إبطال التسلسل وامتداد الأشياء المعدودة التي بيّنها رابطة العلية والمعلولية) قائمة هناك بالقسط (أي قائمة بعينها) بحسب متن الواقع المعبر عنه بوعاء الزمان ، أعني الدهر وإن لم يتصحح إلا الحصول التعاقبي بحسب ظرف السيلان والتدريج والفوت واللحوق أعني الزمان » .

فإذن لا محيص لسلسلة الأجساد المترتبة من مبدء متعين هو الجسد الأول في جهة الأزل يستحق باستعداده المزاجي أن يتعلق به نفس مجردة تعلق التدبير والتصرف فيكون ذلك مناط حدوث فيضانها عن جود المفيض الفياض الحق جلّ سلطانه وإذا انكشف ذلك فقد انصرح أن كل جسد هيولاني بخصوصية مزاجه الجسماني واستحقاقه الاستعدادي يكون مستحقاً لجوهر مجرد بخصوصه يدبره ويتعلق به ويتصرف فيه ويتسلطن عليه فليتثبت » .

« أقول حاصل كلامه أن بعد قيام الأدلة البرهانية على إبطال امتداد الأمور المتسلسلة التي بينها علية وسببية ومعلولية ومسببية فلا محالة هناك بداية وجسد

أول كانت له قابلية وخصوصية يتأهل بها لإفاضة الروح والنفس وخلقها متعلقة به من الله جلّ وعلا ، وإذا كان هذا حال الجسد الأول فهذه القابلية هي بعينها موجودة في الأجساد كلها فتكون كل منها متأهلة لافاضة وخلق نفس بعدد تلك الأجساد » .

وبذلك[1] تبطل نظرية التناسخ القائلة بأن أرواح الأموات تحل في الأجساد الحية الموجودة من الأطفال أو الكبار أو الحيوانات على تفاصيل كثيرة للقائلين بهذه النظرية الباطلة فقوله (ع) نقض لتلك النظرية وبرهان أيضاً على إبطالها » .

وعن الصادق (ع) أنه قيل له : « روي عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجال ؟ » فقال : « ما كان الله عز وجل ليخاطب خلقه بما لا يعلمون » والمعنى أن رواية ذلك عن الأئمة (عليهم السلام) إنما هي من وضع الكذابين عليهم .

ومن الغلات في وقت أبي محمد العسكري (ع) علي بن مسعود حسكة الحوار وتلميذه القاسم بن يقطين الشعراني القميان وقد روى الكشي عن

---

(١) أقول يمكن تقرير معنى الحديث بنحو لا تتأتى شبهة التناسخ أيضاً في المعاد الجسماني بالجسم العنصري ، إذ لو كان الاستعداد والقابلية موجبة لاستحقاق نفس جديدة فكيف الحال في المعاد، والتقرير بنحو يدفع تلك الشبهة أيضاً هو أن الباري تعالى لما كان ذا قدرة غير محدودة وهي متعلقة بما هو ممكن إذ المحال باطل الذات ولا شيء ووقوع الشيء دليل إمكانه كما في الجسد الأول إذ الجسد الأول لا يمكن للخصم فرض التناسخ فيه فحينئذ الباري تعالى أيضاً قادر على خلق نفوس جديدة لبقية الأجساد هذا في الدار الأولى كما أنه قادر على إعادة تلك النفوس لأجسادها الأولى في الدار الآخرة هذا ويمكن تتميم التقرير الأول بنحو يدفع تلك الشبهة بأن كل استعداد يستحق نفساً خاصة به وعند الإعادة لذلك البدن يحصل مسانخ الاستعداد السابق المستحق لعين تلك النفس.

سهل بن زياد الآدمي ، قال : كتب بعض أصحابنا إلى أبي العسكري (ع) :

« جعلت فداك يا سيدي أن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك وأنك أنت الأول القديم ، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة » .

قال : فكتب (ع) : « كذب ابن حسكة (عليه لعنة الله) وبحسبك أني لا أعرفه في موالي ماله (لعنه الله) ، فوالله ما بعث محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية ، وما دعي محمد (ص) إلا إلى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً ، إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبنا ، ما لنا على الله من حجة بل الحجة لله عزّ وجل علينا وعلى جميع خلقه أبرء إلى الله ممن يقول ذلك وانتفى إلى الله من هذا القول ، فاهجروهم (لعنهم الله) والجؤوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر »[1] .

ومن هذا القبيل الفهري والحسن بن محمد بن بابا[2] وفارس بن حاتم القزويني وقد لعنهما الهادي (ع) » .

فروى الكشي عن سعد بن عبد الله قال : « حدثني العبيدي (محمد بن عيسى) قال : كتب إلي العسكري ابتداءاً منه : أبرء إلى الله من القهري

(١) رجال الكشي في ترجمة ابن حسكة، ووجه هدر دم أصحاب ابن حسكة ارتدادهم عن الإسلام كما لا يخفى.

(٢) وهذا كان من تلامذة ابن حسكة كما في رجالالكشي.

والحسن بن محمد بن بابا القمي فأبرء منهما فإني محذرك وجميع موالي وأني ألعنهما (عليهما لعنة الله) ، مستأكلين يأكلان بنا الناس ، فتّانين مؤذيين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً . يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله ، سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة » .

وروي عن محمد بن عيسى قال : « قرأنا في كتاب الدهقان وخط الرجل في (القزويني) وكان كتب إليه الدهقان يخبره باضطراب الناس في هذا الأمر وأن المواديين قد أمسكوا عن بعض ما كانوا فيه لهذه العلة من الاختلاف فكتب (ع) : كذّبوه وهتّكوه أبعده الله وأخزاه فهو كاذب في جميع ما يدعي ويصف ، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر كفى الله مؤنته ومؤنة من كان مثله » .

وروي عن أبي محمد الرازي أنه ورد منه (ع) كتاب فيه : « وأن تجتنبوا القزويني أن تدخلوه في شيء من أموركم فإنه قد بلغني ما يموه به عند الناس فلا تلتفتوا إليه إنشاء الله » .

ومن هذا القبيل أبو السمهري وابن أبي الزرقاء فقد روى الكشي عن إسحاق الانباري قال : قال لي أبو جعفر الثاني (ع) : « ما فعل أبو السمهري (لعنه الله) يكذب علينا ، ويزعم أنه وابن أبي الزرقاء دعاة إلينا ، أشهدكم إني أتبرء إلى الله عز وجل منهما إنهما فتّانان ملعونان » الحديث .

وأما المغيرة بن سعيد العجلي الذي كان يكذب على الباقر (ع) وقد تقدم شطر من حاله فقد روى الكشي في ترجمته عن الصادق (ع) أنه قال يوماً لأصحابه لعن الله المغيرة ابن سعيد ولعن يهودية كان يختلف إليها (أي يتردد بالمجيء والذهاب إليها) يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق » .

« إن المغيرة كذّب على أبي (ع) فسلبه الله الإيمان وأن قوماً كذبوا علي ما لهم أذاقهم الله حر الحديد فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على ضر ولا نفع ، وإن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وأنا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون » .

« ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (ص) في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (صلوات الله عليهم) وهاأناذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله ، أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً ، يأمنون وأفزع وينامون على فراشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبراري أبرأ إلى الله مما قال في الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب (لعنه الله) » .

« والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً ، أستعدي الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم . أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله (ص) وما معي براءة من الله ، وإن أطعته رحمني وإن عصيته عذّبني عذاباً شديداً أو أشد عذابه » .

وروي عن سليمان الكناني قال : قال لي أبو جعفر (ع) : « هل تدري ما مثل المغيرة ؟ قال : قلت : لا . قال : مثله مثل بلعم . قلت : ومن بلعم ؟ قال : الذي قال الله عزّ وجلّ ﴿ **الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين** ﴾ » .

وروى الكشي عن محمد بن قولويه القمي (الشيخ الجليل ووالد أستاذ المفيد) قال : حدثني سعد بن عبد الله (أحد أعلام وشيوخ الطائفة مرّ ذكره) قال : حدثني محمد بن عيسى (العبيدي اليقطيني الثقة الجليل) عن يونس (بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا وثقاته) قال : « سمعت رجلاً من

الطيارة (الغلاة) يحدث أبا الحسن الرضا (ع) عن يونس بن ظبيان أنه قال : كنت في بعض الليالي وأنا في الطواف فإذا نداء من فوق رأسي : ﴿ **يـا يونس إني أنـا الله لا إله إلا أنـا فاعبـدني وأقم الصلاة لـذكري** ﴾ فـرفعت رأسي فإذا ج (كناية عن جبرئيل (ع)) ».

فغضب أبو الحسن الرضا (ع) غضباً لم يملك نفسه ثم قال للرجل : « أخرج عني لعنك الله ولعن من حدّثك ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة يتبعها ألف لعنة ، كل لعنة منها تبلغك قعر جهنم ، أشهد ما ناداه إلا شيطان أما أن يونس مع أبي الخطاب في أشد العذاب مقرونان ، وأصحابهما إلى ذلك الشيطان مع فرعون وآل فرعون في أشد العذاب ، سمعت ذلك من أبي (ع) » .

قال يونس (بن عبد الرحمن) : « فقام الرجل من عنده فما بلغ الباب إلا عشر خطاً حتى صرح مغشياً عليه وقد قاء رجيعه وحمل ميتاً . فقال أبو الحسن (ع) : أتاه ملك بيده عمود فضرب على هامته ضربة قلب فيها مثانته حتى قاء رجيعه وعجل الله بروحه إلى الهاوية وألحقه بصاحبه الذي حدثه بيونس بن ظبيان ورأى الشيطان الذي كان يترائى له » .

وفي ختام هذا الفصل نذكر ما رواه الكليني في باب البدع والمقاييس[1] بإسناده عن الصادق (ع) أنه قال : « إن من أبغض الخلق إلى الله عزّ وجل لرجلين :

« رجل وكّله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ، ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته حمّال خطايا غيره رهن بخطيئه » .

---

(١) الكافي (ج ١، ص ٥٤).

« ورجل قمش جهلاً في جهال الناس ، عان بأغباش الفتنة قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل » .

« جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره وإن خالف قاضياً سبقه ، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له : لا يعلم » .

ثم جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم ، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لأملىء باصدار ما عليه ورد ولا هو أهل لما منه فرط من ادعادئه علم الحق » .

ولنعم ما قال بعض الأجلة « أن تلك الفرق كانت تتراوح بين شكوك وأوهام عرت بعض البسطاء وانقرضت بموتهم ومطامع وشهوات صبّت إليها آحاد استهوتهم النهمة والشرة لاختلاس مال أو حيازة جاه وهؤلاء بين من ثوّب إلى الحق بعد الحصول على غايته أو يأسه منها أو توقفه للتوبة ، ومن قطع معرته حمامه » .

« وأناس ديف اليهم السم في العسل من قبل السياسات الوقتية روماً لتشتيت كلمة الإمامية ومحق روعتهم فاستخفهم الجهل بالغايات مع ما جبل به الإنسان من حب الفخفخة فقاموا بدعايات باطلة واستحوذوا على نفوس خائرة

القوى لكن سرعان ما قلب عليهم الدهر ظهـر المجن لما تمكنت السـاسة من الحصـول على ضالتهم المنشـودة ولم يبق لهم في القوم فـأخذوا وقتلوا تقتيـلاً وكانت هناك مجزرة بدعهم وأهوائهم » .

« إلى غير هذه من غايات وأغراض وقتية أسفت بالنفوس الضئيلة إلى هوّة المذلة واللعنة ولم يعد في الأكثر أن يكون المعتنقون لها أفراداً من ساقه الناس أو عشرات الذنابي أو لمة ممن لم يقم المجتمع الديني والبشري له وزنـاً وعم الجميع أن طوتهم مع عيثهم الأيام وطحنهم بكلكله الجديدان فعـادوا كحديث أمس الدابر » .

الفصل الرابع

في تاريخ البابية في ايران

فقد ادعى السيد علي محمد بن السيد رضا الشيرازي المتولد سنة ١٢٣٥ هـ ق ، في مدينة شيراز البابية والوساطة بين الإمام الحجة الغائب (ع) والناس ، ثم ترفع وادعى أنه المهدي المنتظر ثم ادعى النبوة ثم الألوهية . وهي سنّة من تقدمه في دعوى البابية حيث ترفّع بهم الأمر إلى الألوهية .

وكان قد توفي عنه والده وهو في السنة الأولى من عمره فاهتم به خاله الذي كان يدير تجارة متوسطة الحال وأرسله إلى المكتب ـ وهو الموضع الذي يتعلم فيه القراءة والكتابة في تلك السنين وهو بمثابة المدرسة في اليوم الحاضر ـ وكان الذي يشرف عليه الشيخ عابد وكان من الجماعة الشيخية التي تهتم بكثرة بالعلوم الغريبة[1] والرياضات النفسية المتنوعة ومسائل علم العرفان ، ولم يكن الباب الشيرازي يميل إلى التعلم ولكن تحت وطأة خاله وأصل الحضور لدى ذلك الشيخ » .

---

(١) من قبيل علم الحروف والعزائم والتسخير للأرواح والجن .

« وبعد عدة سنين اصطحبه خاله إلى مدينة بوشهر وأوكل إليه بعض الأعمال التجارية » .

« وكان مع ذلك يزاول الرياضات النفسية الشاقة حيث كان يصعد يومياً إلى سطح المنزل الذي قطنه في بوشهر المعروفة بشدة الحرارة في الصيف ـ لكونها من المناطق الحارة وقد تصل درجة حرارتها إلى ما يقرب من خمسين درجة فوق الصفر في شهر تموز ـ عدة ساعات من الظهيرة يزاول الصلاة والأذكار »[1] بل قيل : « كان ذلك طوال النهار واقفاً مكشوف الرأس » .

« وقد سبب ذلك إلى نوع من الاختلال وفقد التوازن العصبي لديه مما حدا بخاله إلى التفكير بجد في معالجة هذه الحالة فلاح له إرسال ابن أخته في سفر إلى العراق لعل تغير الهواء يورثه سلامة المزاج وبإصرار شديد استجاب الباب الشيرازي لذلك وسافر إلى كربلاء وهناك حضر بتداوم درس السيد كاظم الرشتي الذي كان زعيم جماعة الشيخية حينذاك » .

« ولم يقطع الباب رياضاته الشاقة مدة إقامته هناك ويحكي الميرزا التنكابني في كتاب القصص[2] أنه كان يحلق لحيته آنذاك وربما نتفها بالمقراض (الملقط) » .

ومكث على ذلك ما يقرب من أربع سنين ثم رجع إلى شيراز وكان يعتقد أن أستاذه باب الله المقدم كما يعبر بذلك الباب في كتبه » .

« وما أن توفي أستاذه أخذ تلاميذه في البحث عن من يقوم مقامه ومن يكون الركن الرابع وهذا العنوان يعني لديهم الأصل الرابع في أصول الدين التي جعلوا أولها التوحيد وثانيها النبوة وثالثها الامامة ورابعها النائب الخاص الذي يجب توليه والتبرىء من أعدائه ، وكان التنافس يدور بين عدة منهم مثل ميرزا

---

(١) وكان يكثر من كتابة الأدعية والمناجات ونحوها.

(٢) (ص ٥٦).

حسن جـوهـر وميـرزا محيط كـرمـاني وحـاج محمـد كـريم دخـان ومـلا محمد مامقاني » .

« ولكن السيد الباب أخذ في التطلع إلى ذلك المقام وبدء في دعوة تلاميذ أستاذه إلى نفسه وسارع إلى الإعلان بأنه باب الحجة الغائب . وعلى أثر ذلك نشب بينه وبين تلك العدة المذكورة سابقاً صراع احتد شيئاً فشيئاً ، وحـاولت تلك العدة ابتداءاً أن تثني الباب عن ادعائه ولكنه قابلهم بل حاول أن يجذبهم إلى بابيته إلى أن آل الأمر إلى تبريهم منه » .

« وواصل الباب الشيرازي في دعوة البسطاء والسذّج من الناس إلى بابيته وكان يظهر إليهم جانباً كبيراً من الزهد والتقشف والرياضات النفسية مما يجذب قلوب الكثير من تلك النماذج نحـوه . وكان إذا اطمئن بـانجذاب شخص إليـه يقول له : « فادخلوا البيوت من أبوابها » وغالباً ما يقرء الحديث المشهور : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ويكني بذلك مع إضافة شيء من التلويح إلى أن لكل شيء باب وواسطة وأنه هو الواسطة الكبرى وهو الباب .

كما وبدء في تفسير سورة يوسف بمنهج تـأويلي من الخيالات والأوهـام المركبة اصطلح عليها بالتأويل الباطن للسورة والتي لا تنضبط مع أي ميزان من قواعد اللغة العربية أو القواعد العقلية المنطقية ولا تتفق بوجه مع مسلمات الدين الحنيف .

ثم إنه نجح في اكتسـاب ثمانيـة عشرة من تـلامذة استـاذه وجعلهم دعاة ومبلغين لبابيته وكانت منهم امرأة تدعى زرين تاج وسموها (قرة العين) وكان لها النصيب الأوفر في نشر البابية في إيران بسبب جمالها وبيانهـا الرائق وإنشـادها للشعر المطرب وبتوسطها انتخجت الفرقة البابية في إيران إباحة المحرمات من الزنا والخمر والربا .

ثم إنه ترفع في ادعائه من الباب إلى أنه المهدي الموعود وأخذ صحابـه

في نشر ذلك وحبك مسرحية الظهور وعلاماته .

فبدأوا بإشاعة أن الباب الشيرازي قد سافر إلى مكة وأنـه من هناك يعلن عن ظهوره وسافر أحدهم إلى خراسان وهو ملابشرويه الذي كان أحد الدهاة في هـذه الـفـرقـة[1] ومن ورائـه الـسكـرتـيـر في الـسفـارة الـروسـيـة في طهران (كينيازدالكوركي)[2] الذي تـظاهر بـالإسلام وتـزوّج من امرأة مسلمـة ولبس زي رجـال الدين والـذي كان يتـابع بـدقة حـالات الميـرزا على محمـد الشيرازي (الباب) ويخطط لبرامجه حيث كانت الدولة الـروسية تتـطلع آنذاك إلى حدوث الفتن والضوضاء في إيران كي ما يسهل عليها احتلال المناطق التي هي مطمع لها إذ لم تتوفق في أخذ كل تلك المنـاطق من خلال الحـرب التي خاضتها مع الدولة القاجارية في إيران حين ذاك ، ولذا كانت السفارة الـروسية وبعض السفارات الأجنبية الأخرى كالسفارة البريطانية في تمام الأشواط مساندة لتلك الفرقة البابية ومحامية عن زعمائها الذي توالوا زعامة البابية كما سيأتي ذكر ذلك .

وسبب سفر ملابشرويه إلى خراسان هو تطبيق أحد علامات الظهور وهي خروج الخراساني ويكون (بشرويه) حينئذ هو الخراساني .

وكـان بدء دعـوتهم في مدينـة شيراز ثم إلى أصفهـان وثم بـاقي المـدن الإيرانية وممن دعوه إلى فرقتهم في شيراز الشيخ أبو تراب (رض) الـذي كان

---

(١) بشرويه من توابع مدينة مشهد بخراسان وإليها ينسب هذا، وقد درس ثماني سنوات لدى السيد كاظم الرشتي ولكنه كان بليد الذهن فلم يترقّى في الجانب النظري ولكن في الجانب العملي كان متفوقاً في الجانب العملي.

(٢) وقد ذكر د. همتي في كتابه البابيون والبهائيون أن كتـاب (البرنس دالكـوركي) تمّت طباعته فيمكن قراءة تفاصيل هذه القصة وتأريخ زعماء البهائية (وهي الفرقة التي تولدت من البابية) وأثرهم السياسي والطريقة التي استعملهـا السياسيـون الروس في الاتيـان بالباب وأصحابه.

صدر فقهاء شيراز في ذلك الوقت .

وما أن سمع بذلك منهم ثارت ثائرته واشتعل هيجانه لما عرف من مدى البلية والطامة التي حلت عن قرب فدعا الشيخ أبو تراب علماء وفقهاء المدينة إلى الاجتماع ، ليطلعهم بالفتنة التي كشفت عن رأسها .

وتم الاجتماع وحصل الاتفاق على رفع توصية إلى والي المنطقة حسين خان نظام الدولة التبريزي الذي كان ماضي العزم ذي حنكة وتدبير وهو بدوره أيضاً أقام مجلساً جمع فيه العلماء ودعاة الباب فاستنطقهم وأجابوا حينها بكل صراحة وجرءة أنهم يدعون إلى الباب وأبرزوا للملاء الحاضر في المجلس كتباً للباب الشيرازي التي زعم أنها وحياً سماوياً فحينها ضج المجلس وارتفعت الأصوات وأفتى العلماء على أثر ذلك بكفرهم ووجوب قتلهم ولم يتباطأ الوالي في تنفيذ الحكم عليهم . وأرسل شرحاً مفصلاً للقضية إلى الحكومة في طهران .

وكان الباب الشيرازي حينها في بوشهر فاستدعاه الوالي إلى الحضور في شيراز برفقة من الحرس . وأمهله عدة أيام بعد وصوله حتى يسكن روعه ويهدأ خوفه .

وكان الباب الشيرازي في مدة إقامته في بوشهر قد كتب عدة من المؤلفات منها كتاب (البيان) زاعماً أنه المراد من قوله تعالى : ﴿ **الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان** ﴾ .

وأن كتابه البيان ناسخ للقرآن ـ والعياذ بالله ـ وأن ما فيه هو الشريعة الناسخة الجديدة وتعمد فيه إلى اقتباس النصوص القرآنية مع التغيير بما تشهاه من الأحكام والبدع والضلالات التي سيأتي ذكرها والمضحك المبكي أنه مملوء بالأغلاط النحوية والصرفية وغيرها من قواعد علوم الأدب العربي .

وهذا الأسلوب الاقتباسي مارسه بكثرة زعماء الفرقة البابية سواء مع

النصوص القرآنية أو مع الأحاديث النبوية والمروية عن الأئمة (عليهم السلام) .

ثم أن الوالي أحضر الباب ليلاً لديه وأظهر له عذره في قتل أعوانه وأنه كان مخطئاً في ذلك ـ وكل هذه المسرحية التي قام بها الوالي استدراج لأخذ الإقرار من الباب على دعاويه ـ وأخبره بأن هذا التحول المفاجىء بسبب رؤية رآها في المنام وكأن الباب قد أتاه وأمسك على رجله اليمنى فاستوى جالساً وأخذ الباب يخاطبه بأن نور الايمان يسطع من جبهتك وبعد ذلك انتبه من النوم .

وما أن سمع الباب ذلك من الوالي الذي تمثل بنحو من الارتعاد الجسمي والدموع المفتعلة ـ قال : هنيئاً لك يا أمير إن الذي رأيته لم يكن مناماً بل يقظة وأني أتيتك في موضع نومك وخاطبتك بذلك ، وذلك لمعرفتي بسلامة فطنتك وصفاء شعورك .

وقام الوالي بتقبيل يد الباب والتذلل أمامه وقال له : « إن كل ما أملك من عدة وعتاد هو قيد أمرك ورهن إشارتك وما أنا إلا ظل يتبعك » . فقال له الباب : « هنيئاً لك هنيئاً لك لاتّباعك الحق ، فقد وصلت إلى مقام كريم وموهبة عظيمة وإني أعدك بولاية ممالك الروم في المستقبل » .

وأخذ الوالي في إظهار السرور والقشعريرة وقال : « يا سيدي إني أتبعك لا لمطمع دنيوي من مال أو جاه وعزة بل للجهاد بين يديك لالتحق بالشهداء الصالحين » .

ثم أن الوالي بعدما اطمئن إلى وثوق الباب الشيرازي به قرر مع العلماء والفقهاء عقد مجلس يحضر الباب فيه ويتم المسرحية كي يستخرج من الباب بلسانه أمام الملأ دعاويه ، ومن جانب آخر قال للباب : « يا سيدي إني قد أعددت مجلساً يحضره علماء المدينة وتحضره أنت كي تدعوهم إلى الإيمان بك وبما تدعوا إليه ومن لا يستجيب منهم لذلك اضرب عنقه بالسيف » .

فاستطار الباب لذلك فرحاً .

واستعد لذلك المجلس وذهب برفقة أحد أعوانه السيد يحيى بن السيد جعفر الدارابي المعروف بالكشفي الذي كان من كبار الفرقة البابية ووالده كان من أعاظم علماء عصره ذي المؤلفات المهمة .

فابتدأ الباب بالخطاب في المجلس الحافل :

« ياعلماء ، ألم يأن لكم أن تتحرروا من الهوى وتتبعوا الهداية وتتركوا الضلالة فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري ، إن نبيكم لم يترك لكم غير القرآن وهذا كتابي (البيان) فتعالوا واقرأوه واتلوه لتعلموا أنه أفصح من القرآن وأحكامه ناسخة للقرآن ، فاستمعوا لي واقبلوا نصيحتي ما دام السيف في الغماد وقبل أن تقطع الرؤوس واحفظوا دماءكم وأموالكم وأطفالكم ، فأطيعوا أمري ووعوا كلامي فهذه نصيحتي لكم » .

هذا والعلماء منصتين لا يحركون ساكناً ولا ينطقون ببنت شفّة كما متفق عليه مسبقاً .

ثم قام الوالي أمام الباب والتمس منه أن يكتب دعاويه على ورقة ليعرضها بينة وبرهان على أهل المجلس لتتم الحجة . فكتب الباب عدة أسطر بأسلوب الدعاء ونهج المناجاة كما هي عادته في كتاباته . فدارت الورقة على أيدي العلماء ولاحظوا فيها أخطاء شنيعة في الأسلوب والصياغة الأدبية والأغلاط النحوية والصرفية .

وأخذ الباب الشيرازي في الدفاع عن نفسه وتبرير ذلك بأن ذلك ليس من تقصيري وإنما هو من الإلهامات الغيبية والوحي السماوي فالجهالة ليست فيّ فوقعت في المجلس الضوضاء .

وارتفعت الأصوات فمن قائل يفتي بقتله وكفره وخسرانه ومن قائل يحكم

بجنونه واختلال عقله وأنه يعزر ويؤدب وقام الوالي مخاطباً الباب :

« يا جاهل ، يا مغرور ، ما هذه البدعة التي أحدثتها كيف تدّعي النبوّة والرسالة أو المهدوية ؟ وأنت لا تقدر على التعبير عن مرادك بلفظ عربي مستقيم منتظم ، ومع هذا الحال تدّعي أن كلامك أفصح من القرآن وأبلغ ، وإني أفكر أن قتلك واجب في شريعة الإسلام ، ولكن أرى بقرائن حالك أنك مختل العقل وفاسد الدماغ فلا يصح قتلك ، ولكنك رجل سفيه أبله ولهذا يجب تعزيرك وتأديبك لعلك ترجع عن الضلالة وتعود إلى الهداية » .

ثم أمر بإخراجه من المجلس وضربه بالفلقة ، فأخذ يستغيث ويتوسل بالناس لينقذوه ولكن الضرب المبرح تواصل حتى أظهر التوبة والاستغفار .

ثم حمل على حمار طيف به الأسواق والطرقات تشهيراً به ـ ولكن الباب كان يتوخى ويحرص على ذلك ويحب الشهرة أياً كانت ـ وأرجع مرة أخرى إلى المجلس المحتشد فأخذ الباب بتقبيل يد الشيخ أبي تراب وكرر التوبة والاستغفار ولكن العلماء أصروا على صعوده المنبر أمام الناس وإعلانه التوبة والرجوع عن الدعاوي السابقة والضلال الذي كان يدعو إليه .

فصعد المنبر قائلاً : « لست أنا وكيل القائم الموعود ، ولست أنا الواسطة بين الإمام الغائب وبين الناس » .

وثم طلب منه إمام الجمعة أن يحضر يوم الجمعة في مسجد وكيل وأن يعلن ذلك مرة أخرى أمام الناس ، وطلب الوالي ضامناً للباب أن لا يعود إلى بِدَعِه السابقة فضمنه خاله السيد علي ، وفي يوم الجمعة حضر الباب مسجد وكيل وقال : « لعن الله من يرى أني وكيل الإمام الغائب ، لعن الله من يرى أني أنكر وحدانية الله تعالى ، لعن الله من يرى أني أنكر رسالة رسول الله (ص) ، لعن الله من يرى أني أنكر إمامة الأئمة (عليهم السلام) » .

ثم نزل عن المنبر وذهبوا به إلى السجن ومكث فيه ستة أشهر في رفاهية

من العيش مع الحد من أي نشاط أو اتصال .

وفي تلك السنة انتشر وباء وطاعون أتى من الهند وأفغانستان جعل الأوضاع في شيراز مضطربة وفرّ الكثير إلى القرى النائية خوفاً من العدوى وكذلك لجأ الوالي ومعاونيه إلى أطراف المدينة فساد البلد الهرج وحينها أهملت الرقابة على السجن .

فقام والي أصفهان ويدعى منوجهرخان القرجي الأرمني النصراني باستغلال الفرصة وأرسل إلى السجن في شيراز بعض معاونيه مع عدد من دعاة البابية الذي كانوا على ارتباط وثيق معه في أصفهان لنشر البابية وكان يهيأ لهم مختلف الطرق والوسائل لذلك .

وهذا الوالي النصراني الأرمني كان قد وقع أسيراً لدى الدولة الإيرانية آنذاك مع عدد من إخوته في الحروب التي وقعت لها في أرمينيا والقفقاز وكأنه هو من الأمراء هناك .

وبعد وقوعه أسيراً حاول مع إخوته التسلل إلى الحكومة والوصول إلى مناصب حساسة فيها كي يتم له الوصول إلى مآربه الحاقدة الدفينة على الإسلام ، وأما ارتباطه مع الأيدي الأجنبية فعلى قدم وساق .

وفي هذا الأثناء استفحل نشر البابية في أصفهان من دعاتها ، فثارت الغيرة الدينية لدى الناس والعلماء في مدينة أصفهان والتي كانت تعج آنذاك بفحول الفقهاء والعلماء في مختلف الفنون من الحكمة والأصول والهيئة والكلام وغيرها .

فاجتمع العلماء على أثر تصاعد فتنة البابية للبحث عن التصدي لها .
وأثناء ذلك حضر الوالي المجلس وخاطب الحضار بأن الباب قد وجه أحد العلماء إليه دعوة للحضور إلى أصفهان وإني أخاف من اشتداد الفتنة من ذلك (وكان يظهر حاله في منتهى الغم والحزن والتأثر) ، وإني أقترح لتفادي

ذلك بأن يستعد إلى استقباله على باب المدينة عدة منكم كي يحتووه ويخمدوا بدعته وهو على أي حال من الفقهاء الذين قدموا من المشاهد المشرفة من العراق .

« ويقصد من ذلك أنه من المرسوم عندكم الاستقبال في مثل هذه الموارد حيلة منه لإجلال مقدم الباب مع أنه ليس له هذه الصفة الذي يطلقها عليه الوالي » .

وكان يكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله في كلامه ، وقال : « وليقوم الناس بزيارته من مختلف الطبقات كي يعلم جهله وكونه صفر اليدين من الفضل والعلم (وهو يقصد بذلك حصول الترويج والدعاية للباب) ثم اقترح تشكيل ندوة يحضرها المقدمين منكم فضلاً كي يحسموا شبهاته وتنقضوا ضلالته وتثبتوا مروقه من الدين الإسلامي وتفتوا بقتله أو حرقه أو تبعيده ، وأني لن أمهله إلا بضربة السيف تطهر عنقه » . والوالي بهذا التمثيل والتصنع حاول إغراء أكثر الحضّار مع شيء من التهديد لمن لا يوافق فيهم بالوقوف بجانب الباب كما اتّهم في بادىء كلامه أحد العلماء بأنه الذي وجّه الدعوة للحضور إلى أصفهان ويكون بذلك قد خطّط للدعاية والنشر ببرنامج وسيع النطاق .

وما أن وصل الباب إلى مشارف أصفهان استقبلته هيئة منتخبة تمثل العلماء وذهبوا به إلى بيت الميرزا السيد محمد الملقب بسلطان العلماء ، ولكن الباب التزم الصمت عدة أيام ولم يظهر شيئاً من دعاويه ، ولكن العلماء دفعوا الناس إلى الإصرار عليه بإظهار مقالته وكتابتها كي يتم معرفته عقائده .

وقبل الباب الشيرازي فكتب رسالة طويلة في تفسير سورة الكوثر وكعادته خبط وخلط في الأسلوب العربي بتركيب متدافع الأطراف معوج البيان مختل نحواً وصرفاً .

وفوق ذلك استدل فيها على أنه المهدي الموعود ، وسرعان ما تناقلتها

الأيدي وانتشرت فازداد الصخب والغيض لدى الناس وواجهوا الـوالي بأن يفي بما وعد من الإجراءات بحقه ومجازاته .

ولكن الوالي احتال مـرة أخرى وأخـذ يماطـل ويؤخّر وسبب ذلـك توقـع الـوالي متابعـة بعض الناس للفـرقـة البـابيـة أولا أقـل من إحـداث الشـك في صفوفهم .

ولكن الهيجان ازداد حماساً وحذر العلماء الوالي بأن يفي بما وعـده من عقد ندوة للنقاش مع الباب حول شبهـاته وادعـاءه وإلا فلن يملك الوالي زمـام الأمور أمام الصخب الشعبي .

فـاضطر الـوالي إلى عقد النـدوة بعد ممـاطلة كثيرة لمعـرفته أن عـاقبتها فضيحة الباب وضياع للمجهود الذي قام به لنشر البابية .

وحضر الندوة جمع كثير من العلمـاء في مقدمتهم الميـرزا السيد محمـد والشيخ محمد مهدي كلباسي اللذان كانا متفوقين على البقية في الفقه والأصول والميـرزا حسن ابن الملا علي نـوري الـذي كـانت لـه الصـدارة في الحكمـة والفلسفة ، وأجلس الباب في صدر المجلس وأخذ العلماء بالكلام حول دعواه المهدوية والباب ظل صامتاً لا يحرك ساكناً فبادره الشيخ محمد مهدي الكلباسي قائلاً :

« يـا سيـد لا يخفى عليـك أن المسلمين على صنفين : الأول : وهم اللذين يستنبطون أحكام الشريعة الإسـلامية من القـرآن الحكيم والسنة النبـوية لخاتم النبيين والمأثـورة عن الأئمة المعصـومين (ع) ، وهذا الصنف يسمـون بالمجتهدين »

« والثـاني : هم أولئك الـذين يقلدون المجتهـدين في معـرف الأحكـام ويسـألونهم عمـا يجهلونه ويحتـاجون إليـه كي يرشـدوهم ، والآن أنت من أي القسمين وبعبارة أخرى أنت مجتهد أم مقلّد ؟ » .

فأجاب الباب : « إني لم أقلّد أحداً بتاتاً ، والعمل بالظن أراه حراماً » .

فقال له الشيخ : « يا سيد ألا تعرف أن الطائفة الشيعية تعتقد أن الإمام الحجة (ع) غائب ولا محالة طريق العلم بالأحكام الشرعية مسدود » .

ولا بد لنا في كل عصر من الأعصار من تقليد المجتهد الجامع لشرائط الفتوى على طبق القواعد المقررة من الصدر الأول إلى عصرنا الحاضر ، حتى يظهر حجة الله قائم آل محمد المنتظر فيزيل المفاسد ويميت البدع ويعيد الشريعة المحمدية التي أتى بها رسول الله (ص) ، فهذه وظيفتنا ، فكيف أنت لا تقلد ولا تعمل بالظنون (الخاصة التي قام الدليل على حجّيتها لاستنباط الحكم الشرعي) ؟ » .

« الآن وحيث لا أراك تأتي بحجة قبال استدلالي ولا أراك قد سمعت بأحكام الشريعة الإسلامية ، إذاً من أين تعلمت الدين ومن أين حصل لك اليقين بالأحكام ؟ » .

فاشتعل الباب غيظاً وقال : « إنك تعلمت علم المنقول وبمنزلة الطفل المبتدىء الذي يتعلم أ ب جـ د ، ولكن مقامي مقام الذكر والفؤاد ، فلا يصح لك الدخول في هذا البحر اللامتناهي ومناقشتي والمناظرة معي في شيء لا تعلمه » .

فانبرى له الميرزا حسن النوري الحكيم المشهور قائلاً : « يا سيد اثبت في مكانك وإياك والرجوع عن ادعائك ، إن الحكماء قد عيّنوا وقرروا للذكر وللفؤاد مقاماً ومنزلة إذا وصل إليها شخصاً ما يكون محيطاً بكل الأشياء ولا يخفى عليه شيء فالآن هل قد وصلت أنت إلى هذا المقام والمنزلة ؟ وهل وجودك يحيط بكل الأشياء ؟ » .

فأجاب الباب بثبات وجرأة : « نعم وجودي هكذا سل ما بدا لك » .

فقال له : « يا سيد ، بيّن لنا كيفية معجزات الأنبياء وحصول طي الأرض

للأولياء وكيفية سرعة سير الزمان في عصر السلطان الجائر وبطؤه في زمان الإمام المهدي الذي وردت به الروايات ، نحن وإياك نعد بني أمية وبني العباس حكّاماً جائرين وملوكاً ظالمين وأئمة أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة أئمة هادين وفي هذه الحال يلزم أن يكون للزمان سيرين سريع وبطيء وكيف يمكن ذلك ! » .

« وأيضاً بعض أئمة الجور والعدل كانوا في عصر واحد ولازم ذلك وقوع سيرين متضادين سريع وبطيء في زمان واحد ، وكيف يمكن ذلك ؟ » .

« وأيضاً نحن المسلمون نعتقد أن الأرض تطوى لأولياء الله وحججه ، يعني أن المسافة الطويلة تنطوي لهم (كطي السجل) بطرفة عين مثل ما نقل آصف بن برخيا وزير سليمان بطرفة العين عرش ملك بلقيس من سبا إلى محل إقامة سليمان (فلسطين) كما قال تعالى : ﴿ **وقال الذي عنده علم من الكتاب أنّا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً** ﴾[1] .

« فالآن يا ترى كيف وقع ذلك ؟ هل المدن والصحارى بين المبدأ والمنتهى للمسير تهبط (خسفاً أو ابتلاعاً) ؟ » .

« وحينها يتصل المبدأ والمنتهى (للسير) وفي هذه الصورة يلزم انعدام عباد الله والحيوانات والنباتات والجمادات حيث الأرض (التي طويت) قد خسفت بهم أو أن القطع الأرضية تجتمع وتتداخل ؟ وفي هذه الصورة لا بد من اطلاع العالم على مثل هذه الحادثة مع أن حتى هذه الساعة لم يسمع أحد بهذا ولم ينتشر خبر بذلك وفي المستقبل سوف لن ينتشر ، أو أن طي الأرض يحصل بنحو الطيران والتحليق ؟ وهذا الوجه أيضاً لا يطابق العقل الانساني ولا يؤيده برهان عقلي أو نقلي (شرعي) » .

أجب عن هذه الأسئلة ؟ :

فتبسّم الباب وأجاب : « يا حكيم ، هل تريد أن أرفع النقاب عن وجه

المشكل باللسان والبيان أو بالقلم والبنان أكشف عن هذا السر ؟ » .

فقال له : « اصنع ما شئت ؟ » .

فتناول الباب القلم والورقة وأخذ يكتب مدة من الوقت حتى أتى بالطعام فوضع الورقة على سفرة الغذاء وشرع في الأكل .

فلمح الميرزا حسن بطرف عينه الورقة فتناولها فقرأها على الحضور وإذا فيها البسملة وحمد الله والصلوة على النبي وبعد ذلك دعاء مطول بسبك المناجات من دون أي إشارة إلى موضوع المناقشة والأسئلة .

فسكت أهل المجلس حتى يحصل الفراغ من الأكل ، ثم حكم بعضهم بجنونه وفقد توازنه ومن ذلك البعض الميرزا السيد محمد سلطان العلماء ، وحكم البعض الآخر بكفره وارتداده عن الدين ووجوب القتل ، ومن ذلك البعض الشيخ محمد مهدي الكلباسي وسائر الفقهاء ولكن تردد مع تمايل إلى الباب مدرسان للفقه مشهوران كانا على ارتباط مع الوالي واتفاق مسبق معه .

وبعد حكم الأكثر بقتله استدعوا من الوالي إجراءه ، فتظاهر بأن تنفيذ هذا الحكم خارج عن صلاحياته وأن القضية يجب أن يعلم بها الحكومة المركزية في طهران وينتظر الأوامر منها بقتله أو لا ، ولكي يقل الضغط عليه من العلماء أمر بتقييد الباب بالسلاسل .

وذهب به إلى السجن ، ولكنه أخرجه من السحن ليلاً في الخفاء وأحضره بيته مع المبالغة في الاحترام والتجليل ، ثم بعث برسالة إلى طهران صاغ عبارتها كما أراد وذيلها بقوله : « قتل الباب في هذا الوقت في أصفهان مع تمايل أكثر أهاليها إليه يستوجب خطر الثوران والهيجان والرأي الصائب أن يبقى في السجن حتى تنطفىء نائرة الصديق والعدو له ثم تنظر هيئة الدولة في ما هو الصالح وتأمرنا به » .

وقد نجحت خطته وانطوت خدعته على هيئة الوزراء واستصوبت رأيه .

ومن جانب آخر تـزايد دعم الحـاكم منوچهـرخان القـرجي لعلي محمد الشيرازي (الباب) وظهرت نواياه الهادفة إلى ضرب المذهب الشيعي ومحاربة العلماء ، فحمل ذلك العلماء على الكتابة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) حاجي ميرزا آغاسي وطالبوه بقمع الفتنة التي تتقنّع بالإسلام والتي تدّعي البابية تارة ، وأخرى التوبة وإنكار البابية وإنها في توسّع وانتشار » .

فأجابهم برسالة بعثها : « أنا في خدمـة العلماء الأعـلام والفضلاء ذوي العز والاحترام ، والمعذرة في تصديعكم حـول هذا الشخص الشيـرازي الذي سمي نفسه باب ونائب (خاص) الإمـام (ع) الذي كتبتم عنـه . فلأنـه ضال مضلّ بحسب مقتضيات الدين والدولة » .

فـالمورد ضـروري التعقيب ليكون عبـرة في المستقبـل طبقـاً للسيـاسـة الملكية .

وهذا المجنون الجاهل الجعال (المفتعل) لم يدّعِ النيابة فحسب ،

بل ادّعى النبوّة حيث أنه مع كمال الجهل والسخافة كتب كتاباً جمع فيه المزخرفات وسماه قرآناً مع أن الآية الشريفة ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾دالة على استحالة الاتيان بمثل أقصر صورة و ﴿ **لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثـل هـذا القـرآن لا يـأتـون بمثله ولـو كـان بعضهم لبعض ظهيـرا** ﴾ فكيف بالقرآن !

هذا الجاهل مثلاً بدل كهيعص كتب كاف ها ، جيم ، دال وبهذا النمط من المزخرفات والأباطيل لفق كتابه ، نعم إني أكثر اطّلاعاً على حقيقة حاله لأن أكثر هذه الجماعة الشيخية تداوم على الطنطنة والشعارات (الهتافات) .

وهذا الشقي قد وقع في تلك الخيالات الباطلة والذي قررت في شأنه أن يحبس في قلعـة (ماكـو) حبس الأبد ، وأمـا الذين اتبعـوه وتمـايلوا إليـه فهم مقصرون وأطلعوني بهم كي يعزرون وينبهون . دام فضلكم وافاضاتكم » .

ومع ذلك فلم يبعث الحاكم منوچهر خان بالباب إلى قلعة (ماكـو) التي تقع في شمال إيران طيلة عدة أشهر والتي مات الحاكم بعدها وخلفه حاكم آخر يدعى جرجين خان الذي سارع بإرسال الباب إلى ماكو ، ولكن لجهات سياسية تحيط بذلك الظرف توسط دالكوركي السفير الروسي في طهران بنقله من ماكو التي هي مدينة على الحدود الروسيـة إلى قلعة (جهـريق) وأرسل السفيـر إلى وزير الخارجية الروسي نسلرد مكتوباً قال فيه : « باب هو الذي أبعد عن مـاكو الحدودية بوساطتي في العام الماضي »[1] .

ولم ينقـطع ارتباط البـابية بـالسيد البـاب في القلعة فقـد كانـوا يبـذلـون الرشاوي الكثيرة لإقامة الاتصال وكـان على رأسهم المدبّـر النشط ملا بشـرويه وحاج بار فروشي ويحيى الدارابي وقرة العين ، فالأول في خـراسان ، والثـاني في مازندران (طبرستان) ، والثالث في شيراز ، والرابعة في قـزوين ، فكانـوا بذلك يقيمون دائرة محيطة بأكثر أرجاء إيران للنشر والدعاية للفرقة البابية .

ثم أن الشاه محمد القاجاري طلب من ولي عهده ناصر الدين ميـرزا أن يجمع العلماء والفقهاء والفضلاء والأعيان الأشراف والقـواد وبقية الشخصيـات المهمة في تبريز المدينة المركزية في منطقة آذربايجان والتي كـانت مقرّاً لـه ، وأن يعقد مجلساً يديره بنفسه لينظر ما يقولـه الباب ويـدعيه كي يتقـرر الإجراء اللازم بحقه .

وأوصاه بعدم الاستعجال في إصدار الحكم وعليه الانتظار إلى صدوره من طهران على ضوء التقرير المرسل .

وعقد المجلس بحضور الجمـوع المختلفة فمن العلمـاء الحاج محمـود الملقب بنـظام العلماء ، والمـلا محمد الممقـاني الملقب بحجـة الإسـلام ،

---

(١) ذكر في كتاب (تاريخ جامع بهـائيت، ص١٥٢) رقم السند المسلسـل بتمامـه لتلك الرسالة.

والـذي كان رئيس الشيخيـة في تبريـز ومر سـابقاً أنـه من تلامـذة السيد كـاظم الـرشتي . والملا بـاشي الحاج ميـرزا عبد الكـريم والميرزا على أصغـر شيـخ الاسلام ، والميرزا محسن قـاضي ، والملا بـاشي ميرزا حسن زنـوزي ، ومن الشخصيات السياسية للدولة محمد خان زنگنه أمير نـظام ، ووزير الأمن ميـرزا فضـل الله على آبادي نصيـر الملك ووزير الخـارجية ميـرزا جعفـر خـان معيـر الدولة ، ووزير المالية ميرزا موسى تفرشي ، ووزير الداخلية ميرزا مهدي خان بيـان الملك ، وعـدة كثيـرة من هـذا الصنف ، ثم أتى بـالبـاب علي محمـد الشيرازي وأجلس صدر المجلس .

وأول من افتتح النقاش والبحث نظام العلماء فخاطب الباب قائلاً :

« يا سيد انظر إلى هذا الكتـاب والأوراق التي أضعها الآن بين يـديك ، والتي كتبت بـأسلوب قرآني ووحي سمـاوي[1] ، ونشـرت في بـلاد إيـران في متناول أيدي الناس ، تأمّل فيها وأمعن النظر في صفحاتهـا ثم أخبرنـا أهي من قولك أنت حقيقة ؟ أو من أناس أعداء لك افتروها عليك وكذباً نسبوها إليك ؟ »

ثم وضع الكتب والأوراق بجانب الباب .

فأجاب علي محمد الشيرازي : « نعم هذه الكتب من قبل الله » .

فقـال له نـظام العلماء : « هـل سميت نفسـك شجـرة طـوبى في هـذه الكتب ؟ ومعنى ذلك أن كل ما جرى على لسانك أو يجري فهو كلام الله وبعبارة أخرى : أنت تعتقد أن كلامك كلام الله وقول الله ؟ » .

فأجاب : « الله يرحمك ، نعم ، أقسم بالله هو كما تقول » .

فقال نظام العلماء : « هل تسميتهم لـك بـ (الباب) صـادرة منك أو أن

---

(١) يشير إلى كتاب البيان الذي ألفه الباب بتلفيق من الآيات القرآنية ومن الحشو الـذي زخرفه فجعله بين الاقتباس والحشو وسيأتي نماذج من كتابه.

الناس خاطبوك بذلك من أنفسهم ؟ » .

فأجاب : « لا ، هي صادرة مني ، والناس لا يقولون من أنفسهم ، هذا الإسم من الله ، وأنا باب العلم » .

فقال له : « في أين ، في بيت الكعبة ، بيت المقدس ، والبيت المعمور ؟ » .

فأجاب : « في كل مكان إله » .

وفي هذه اللحظة نهض ولي العهد ناصر الدين شاه وقال : « يا سيد اعلم أني عاهدت الله أنك إن قدرت أن تثبت لنا أنك باب العلم فإني سأترك لك منصبي ومقامي ونفسي سأكون مطيعاً ومنقاداً لك » .

ثم قام نظام العلماء : « يا سيد أحسنت ، هذا الذي تدعيه هو إسم لأمير المؤمنين (ع) والذي سماه بذلك هو رسول الله (ص) حيث قال : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ، وقال علي (ع) « سلوني قبل أن تفقدوني لأن بين جنبي علماً جماً » .

فالآن لدي بعض من المسائل المعضلة أريد حلها منك وجملة منها مرتبطة بعلم الطب »[1] .

فأجاب علي محمد الشيرازي : « إني لم أتعلم الطب » .

فقال له : « أسألك عن العلوم الدينية ، ولكن معرفة جملتها مشروط بفهم معاني الآيات والأحاديث وذلك الفهم متوقف على معرفة علوم منها النحو

---

(١) كان ديدن أكثر علمائنا القدامى (قدس الله أسرارهم) لا يقتصرون على دراسة الفقه وأصوله وما يتعلق بطرق الاستنباط، بل كانوا إلى جانب ذلك يلمّون وبشكل في عمق ببعض العلوم الأخرى، كالفلك والرياضيات وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ والطبيعة. . . . الخ. كالمحقق الطوسي والعلاّمة الحلي (قدهما).

والصرف والمعاني والبيان والبديع (علم البلاغة) والمنطق وعلوم أخرى ، فإذاً اسئل عن هذه العلوم المقدمية وابتدأ من علم الصرف » .

فأجاب : « إني قرأت علم الصرف في صغري » .

فقال له : « فسّر لنا هذه الآية الشريفة : ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ ، وبيّن لنا إعرابها النحوي ، وقل لنا شأن نزول سورة الكوثر ؟ ولأي سبب سلى الله تعالى نبيّه بهذه السورة ؟ » .

فأجاب : « أمهلني » .

فقال له : « ما معنى كلام الإمام علي بن موسى الرضا (ع) في مجلس المأمون جواباً لسؤاله : ما الدليل لك على خلافة جدك علي بن أبي طالب ؟ فقال (ع) : آية أنفسنا ، فقال المأمون لولا أبنائنا ، فقال (ع) لولا نسائنا ؟ » .

فأجاب : « هذا ليس بحديث » .

فقال له : « أيّاً ما كان هو أليس من أقوال العرب أيضاً ؟ فسّره وبيّنه ؟ » .

فأجاب : « الرخصة والمهلة » .

فقال له : ما معنى الحديث القائل : « لعن [الله] له الأعين ظلمت العين الواحدة » ؟ .

فّاب : « لا أعرف » .

فقال له : ماذا يعني « إذا دخل الرجل على الخنثى والخنثى على الأنثى وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأنثى ؟ » .

سكت الباب ولم يحر بشيء ، فقال له نظام العلماء : « مؤلفاتك تظن أنك قد صغتها على وجه فصيح وبليغ ، فالآن قل أي نسبة من النسب الأربع

بين الفصاحة والبلاغة ، ولماذا الشكل الأول (من الأشكال الأربعة في القياس الاقتراني المنطقي) بديهي الانتاج ؟ » .

سكت الباب أيضاً وعجز عن الجواب .

فقال له : « يا سيد ، سؤال آخر وليس عندي بعده سؤال ، لو ظننا وسلّمنا أن هذه العلوم الموجودة لدى البشر كلما قيل وقال (مجرد ألفاظ) ولا تنفع البشر بقدر فلس ، وها نحن صرفنا النظر عن تلك العلوم ، فالعادة التي جرى عليها من قديم الزمان واتبعها عقلاء العالم نتّبعها نحن . . . وحيث قد اتضحت هذه المقدمة ، فنسألك الآن حيث يعلم من كتبك وحالاتك أنك تدعي تارة الرسالة وأخرى المهدوية وثالثة الولاية ، نحن حضرنا ههنا لنسألك هل عندك معجزة أو كرامة تكون حجّة لك على الناس ؟ » .

فأجاب : « أطلب أي شيء تريده » .

فقال له : « يا سيد ، لا يخفى عليك أن ملك إيران مصاب بمرض النقرس ، وهذا المرض صعب العلاج عجز عنه الأطباء والآن نريد منك أن تشافيه من هذا المرض المستعصي » .

فأجاب : « هذا الفعل غير ممكن » .

فقال له ناصر الدين شاه : « يا سيد هذا الشيخ الذي يناظرك معلمي وهو شخص أدبني بالأدب الجميل ولكنه الآن قد ذهبت منه حيوية الشباب ولا يقدر على ملازمتنا في السفر والحضر فهل تقدر على إعادته شاباً ؟ » .

فأجاب : « هذا أيضاً محال » .

فقال نظام العلماء : « أيها الناس اعلموا أن هذا الرجل (يشير إلى الباب الشيرازي) وعاءه خال ومحتواه فارغ من كل شيء من معقول أو منقول هو مغرور بالباطل وسفيه وجاهل ، وليس عنده أية معجزة أو كرامة وغير لائق لأدنى احترام » .

فأجاب علي محمد الشيرازي وهو غضبان مما قال : « يا نظام ، ما هذا الكلام التي تقوله ! أنا الرجل الذي مكثتم ألف سنة تنتظرونه ! » .

فقال له نظام العلماء : « هل انت المهدي والإمام القائم ؟ » .

فأجاب : « نعم ، أنا هو » .

فقال له : « المهدي النوعي أنت أم المهدي الشخصي ؟ » .

فأجاب : « أنا عين المهدي الشخصي » .

فقال له : « ما إسم أبيك ، وأمك ، وأين مكان ولادتك ؟ » .

فقال له : « إسمي علي محمد ، وإسم أبي ميرزا رضا البزاز ، أمي خديجة ، محل ولادتي شيراز وخمسة وثلاثون سنة مضت من عمري » .

فقال له : « اسم مهدينا المنتظر مهدي ، واسم أبيه حسن ، واسم أمه نرجس ، ومحل ولادته سر من رأى (سامراء) فكيف تنطبق عليك تلك المشخصات ؟ » .

فأجاب : « الآن أريك كرامة كي يتضح أني صادق فيما أدعي » .

فقال الحضور بأجمعهم : « حباً وكرامة ، أظهر كرامتك » .

فأجاب : « إني أكتب في اليوم ألف بيت (البيت في علم الخط آنذاك خمسين حرفاً) » .

فقال الحضور : « على فرض أن ما تقوله صحيح ، ولكن ذلك ليس بكرامة لأن كثير من الخطاطين يشتركون معك في ذلك » .

وقال نظام العلماء : « إني عند زيارتي للعتبات العاليات (المشاهد المشرفة) صادفت كاتباً يكتب في اليوم ألفين بيت وانتهى أمره إلى العمى . البتة أنت أيضاً أترك هذا العمل وإلا فستعمى » ثم جرى بين بقية العلماء وبينه

أخذ ورد على هذا المنوال .

وبعد ذلك استدعى ناصر الدين ميرزا من العلماء رأيهم في شأن الباب ، فأفتى بعضهم بكفره ووجوب قتله ، وبعض حكم بسفاهته وجنونه .

ثم أمر نصر الدين ميرزا أعوانه بربط الباب وضربه على أقدامه ضرباً مبرحاً حتى يتوب ويظهر الاستغفار من تلك الدعاوي وبعد ذلك كتب علي محمد الشيرازي ورقة التوبة قال فيها : « . . . إني موقن بتوحيد الله جل ذكره ، ونبوة الرسول (ص) وولايته ولساني مقر بكل ما نزل من عند الله وآمل رحمته ولم أرد بتاتاً ما يخالف رضاه وإذا جرى من قلمي كلمات خلاف رضاه فلم أتعمد العصيان وعلى أي حال فإني مستغفر تائب . . . أستغفر الله ربي وأتوب إليه من أن ينسب إلي أمر وبعض المناجات والكلمات التي جرت على لساني ليست دليلاً على أية أمر وأعتقد أن مدعي النيابة الخاصة لحضرة حجة الله (ع) مدّع مبطل ، وهذا العبد لم يكن له ادعاء ذلك ولا ادعاء آخر . . . »[1] .

وأجاب رسالته علماء تبريز ، وجاء فيها : « . . . أقررت بمطالب متعددة كل منها توجب وتبعث على ارتدادك وتوجب قتلك ، وتوبة المرتد الفطري لا تقبل ، والذي أوجب تأخير قتلك هو شبهة خبط دماغك (اختلاله) وإذا ارتفعت تلك الشبهة فلا تأمل في إجراء أحكام المرتد الفطري عليك » .

ثم أنه بعد موت محمد شاه ومجيء ناصر الدين شاه على سدنة الملك ونصّبه للميرزا محمد تقي الملقب بأمير كبير بدل ميرزا آغاسي الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وازدياد حدة البابية وتشكيلهم لعصابات تهاجم القرى والمدن وارتكابهم لجرائم فظيعة يقشعر الانسان عند قراءتها مثل الأحداث

---

(١) الرسالة بخط يده كانت حتى سنة ١٣١٥ في مكتبة المجلس في طهران معلقة في قاب وبعد ذلك فقدت (عن كتاب جامع تاريخ بهائيت، (ص ١٧٠).

والوقائع في مازندران (طبرستان) والوقائع في قلعة الشيخ الطبرسي والوقائع في زنجان مما لا يدعوا منكراً ووحشية إلا أتوها بعد التزامهم الإباحات وتحليل كل المحرمات .

وجعلوا أهالي تلك المناطق تعيش حالة من الخوف والرعب من الإرهاب والسفك للدماء التي مارسوها تخيلاً منهم لإنشاء دويلة يوسعون نطاقها شيئاً فشيئاً أقدم أمير كبير ـ والذي كان على درجة من الحزم وفطانة التدبير بعكس سابقه آغاسي ـ على إعدام علي محمد الشيرازي بعد أن أعاد الباب إصراره على دعاويه السابقة .

وكان الباب الشيرازي قد نصّب ميرزا يحيى النوري خليفة له مع معاونة أخيه حسين علي النوري ولقب الأول عندهم بالأزل والثاني ببهاء وكانا قد اعتقلا من قبل الدولة فتوسّطت السفارة الروسية والبريطانية لإطلاق سراحهما وإخراجهما مع جماعة من البابية إلى بغداد .

ومكثوا هناك عشر سنين وأخذوا شيئاً فشيئاً يبتدعون الأحكام كبقية الفرق المنحرفة .

ثم أن السلطات اضطرت إلى إبعادهم إلى جزيرة قبرص وهناك تنازع الإخوان فانقسمت البابية إلى الأزلية والبهائية[1] .

---

(١) للاطّلاع أكثر على تاريخ البابية والبهائية نشير إلى كتب منها «كشف الحيل» و «تاريخ جامع بهائيت» و «ظهور الحق» و «فتنه باب» باللغة الفارسية .



الخاتمة

(وفيها ثلاث أمور :)

الأمر الأول :

(في خروج الدجال)

فقد روى الصدوق عن النزال بن سبرة أنه قال : « قـام الأصبغ بن نبـاتة إلى أمير المؤمنين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين من الدجال ؟» فقال : « ألا أن الدجال صائد بن الصيد فالشقي من صـدّقه والسعيـد من كذّبـه يخرج من بلدة يقال لها أصفهان من قرية تعرف بـاليهودي عينـه ممسوخـة والعين الأخرى في جبهته تضيء كأنهـا كوكب الصبـح فيها علقـة كأنهـا ممزوجـة بالـدم بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل كاتب وأمي » .

« يخوض البحار وتسير معه الشمس بين يديه جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر ، خطوة حماره ميل ، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً » .

« لا يمر بماء إلا غار إلى يوم القيامة ، ينادي بأعلى صوته ، يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقـول : « إليّ أوليائي ، أنـا الذي خلق فسوّى ، وقدّر فهدى ، أنا ربكم الأعلى » وكـذب عدو الله ، أنـه أعور يـطعم

الطعم ، ويمشي في الأسواق وأن ربكم عز وجل ليس بأعور ولا يطعم ولا يمش ولا يزول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

« ألا وإن أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسة الخضر ، يقتله الله عز وجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي عيسى بن مريم (ع) خلفه »[1] .

وروي عن النبي (ص) أنه قال عن الدجال : « أيها الناس ما بعث الله عز وجل نبيّاً إلا وقد أنذر قومه الدجال وإن الله عز وجل قد أخّره إلى يومكم هذا ، فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور ، إنه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل يخرج ومعه جنة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء ، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب يدخل آفاق الأرض كلها إلا مكة ولا بتيها والمدينة ولا بتيها » .

وروى الأربلي في كشف الغمة عن رسول الله (ص) (في حديث عن الدجال) يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خير الناس فيقول له اشهد أنك الدجال الذي حدّثنا رسول الله (ص) حديثه ، فيقول الدجال : « أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر ؟» فيقولون : « لا » .

قال : « فيقتله ثم يحييه (وذلك خداعاً بالسحر كما ورد في روايات أخرى) فيقول حين يحييه : والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن . قال : فيريد الدجال أن يقتله ثانياً (أي حقيقة) فلا يسلط عليه »[2] .

ونقل في منتخب الأثر عن أربعين الخاتون آبادي عن الصادق عن آبائه

---

(١) إكمال الدين (ص ٥٢٦) أي على يد الحجة (عج) وهو الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم (ع) كما جاء في روايات الفريقين.
(٢) ص ٤٨٩.

عن أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) في حديث فيه خروج الدجال وقرية يخرج منها وبعض أوصافه وأنه يدّعي الألوهية وأن في أول يوم من خروجه يتبعه سبعون ألفاً من اليهود وأولاد الزنا والمدمنين بالخمر والمغنين وأصحاب اللهو والأعراب والنساء قال (ع) في آخره : « فيبيح الزنا واللواط وسائر المناهي حتى يباشر الرجال النساء والغلمان في أطراف الشوارع عرياناً وعلانية ويفرط أصحابه في أكل لحم الخنزير وشرب الخمور وارتكاب أنواع الفسق والفجور ويسخر آفاق الأرض إلا مكة والمدينة ومراقد الأئمة (ع) فإذا بلغ في طغيانه وملأ الأرض من جوره وجور أعوانه يقتله من يصلّي خلفه عيسى بن مريم (ع) » .

وروى السيد ابن طاووس (قده) عن الصادق (ع) في حديث « خروج الدجال من بعد ذلك يخرج الدجال من ميسان نواحي البصرة فيأتي سفوان ويأتي سنام فيسحرهما ويسحر الناس فيكونان كالثريد وما هما بثريد من الجوع والقحط إذ ذلك لشديد »[1] .

الأمر الثاني :

(في علامات ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف وعدة أصحابه) . قد حدد الأئمة (ع) أمد الغيبة الكبرى التي انقطع الشيعة فيها عن الحجة (ع) بانقطاع النيابة الخاصة بموت النائب الرابع علي بن محمد السمري في نهاية الغيبة الصغرى .

والتحديد هو بوقوع علامات للظهور وانتهاء الغيبة ، وهذه العلامات كثيرة (منها) : ما يقارن عام ظهوره (ع) والسنة التي يخرج فيها بدءاً من مكة من بيت الله الحرام يوم العاشر من محرم يوم قتل فيه جده الحسين سيد الشهداء

---

(١) الملاحم والفتن (ص ١٣٤).

وسبط رسول الله (ص) ويخطب تلك الخطب التي طالما تعطشت إليها البشرية جمعاً والشيعة خصوصاً ويبدأ بعقد البيعة له وأول من يبايعه جبرئيل (ع) وثم عدة أصحابه التي هي عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر .

و (منها) : ما لا يقارن عام الظهور وإنما تشير إلى الاقتراب ليس إلا .

والمهم هو القسم الأول وهي العلامات التي أطلق عليها في الروايات المأثورة بالعلامات الحتمية التي لا بدء فيها .

فقد روى الصدوق (قده) عن الصادق (ع) أنه قال : « خمس قبل قيام القائم (عج) اليماني ، والسفياني ، والمنادي ينادي من السماء ، وخسف بالبيداء ، وقتل النفس الزكية »[1] .

وهذه العلامات الخمس الأولى وهي خروج سيد حسيني من نسل الإمام الحسين (ع) من ناحية اليمن ولذا أطلق عليه اليماني .

الثانية : وهي خروج شخص يدعى عثمان بن عنبسة من بني أمية من سلالة أبي سفيان ولذا أطلق عليه السفياني من ناحية الشام .

الثالثة : المنادي وهو جبرئيل (ع) يصيح بصيحة من السماء ونداء يسمعه كل العالم كل قوم بلسانهم أن الحجة قد ظهر وأن الحق مع علي وآله .

الرابعة : الخسف الذي يقع بأرض البيداء قرب المدينة المنورة والذي يقع بجيش السفياني الذي يرسله من الشام لمقاتلة الحجة .

الخامسة : قتل النفس الزكية وهو الشاب السيد الحسني الذي يبعثه الحجة بعد عقد البيعة سرّاً مع العدة المخصوصة من أصحابه ليدعوا أهل مكة ولكنهم يقوموا بقتله وروي عن الصادق (ع) أن قال : « ليس بين قيام قائم آل

---

(١) إكمال الدين (ص ٦٤٩).

محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة »[1] .

وروي عن ميمون البان قال : « كنت عند أبي جعفر (الباقر) (ع) في فسطاطه » ، فرفع جانب الفسطاط فقال : « إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس » ، ثم قال : « ينادي مناد من السماء فلان بن فلان هو الإمام باسمه » ، ويناد إبليس (لعنه الله) من الأرض كما نادى برسول الله (ص) ليلة العقبة .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : « إن أمر السفياني من الأمر المحتوم وخروجه في رجب » .

وقال (ع) : « الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان » ، وقال (ع) : « ينادي مناد باسم القائم (ع) » ، قلت : « خاص أو عام ؟ » ، قال : « عام يسمع كل قوم بلسانهم » ، فسأله زرارة : فمن يخالف القائم (ع) وقد نودي باسمه ؟ قال : « لا يدعهم إبليس حتى ينادي ويشكك الناس » .

وقال (ع) : « صوت جبرئيل من السماء وصوت إبليس من الأرض فاتبعوا الصوت الأول وإياكم والأخير أن تفتنوا به » . وقال : « ينادي مناد من السماء أول النهار : ألا أن الحق في علي وشيعته ثم ينادي إبليس (لعنه الله) في آخر النهار ، ألا أن الحق في السفياني وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون »[2] .

وروى الصدوق عن الصادق (ع) أنه سأله رجل من أهل الكوفة : « كم يخرج مع القائم (ع) فإنهم يقولون : أنه يخرج معه مثل عدة أهل بدر

---

(١) إكمال الدين (ص ٦٤٩).
(٢) إكمال الدين (الباب ٥٧).

ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً » ، قال : « وما يخرج إلا في أولي قوة وما تكون أولوا القوة أقل من عشرة آلاف » .

وروي عن الباقر (ع) أنه قال : « اثنان بين يدي هـذا الأمر : خسـوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمس عشرة ولم يكن ذلك منذ هبط آدم (ع) إلى الأرض وعند ذلك يسقط حساب المنجين » .

وروى النعماني في كتاب الغيبة عن الصادق (ع) أنه قال : « النداء من المحتوم والسفياني من المحتوم ، وقتل النفس الزكية من المحتوم ، وكف يطلع من السماء من المحتوم » ، قال : « وفزعة في شهر رمضان توقظ النـائم وتفزع اليقـظان وتخرج الفتـاة من خدرهـا »[1] وفي هذه الـرواية عـلامة سـادسـة من العـلامات الحتميـة مضـافـاً إلى الخمس التي تقـدمت ، وهي طلوع كف من السماء .

وروي عن الباقر (ع) أنـه قال : « لا بـد لبني فلان من أن يملكـوا فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفـرّق ملكهم وتشتت أمرهم حتى يخـرج عليهم الخراسـاني والسفيـاني هـذا من المشـرق وهـذا من المغـرب يستبقـان إلى الكـوفـة كفرسي رهان (أي السباق) هذا من هنا وهذا من هنا ، حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما أما إنهم لا يبقـون منهم أحداً » . ثم قـال (ع) : « خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهـر واحد في يـوم واحد ، نظام كنظام الخرز (أي كخرز السبعة وما شابهه) يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه ويل لمن ناوأهم وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني هي راية هدى لأنه يدعوا إلى صاحبكم » .

وروي عن الباقر (ع) أنه قال : « السفياني والقائم في سنة واحدة » .

---

(١) الغيبة للنعماني (الباب ١٤، ح ١١).

الأمر الثالث :

(في مدح العلم وذم الجهل)

فقد روى الكليني (قده) عن الصادق (ع) : « أن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلا به العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم فبالعقل عرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون وأنه المدبر لهم وأنهم المدَبَّرون وأنه الباقي وهم الفانون واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه من سمائه وأرضه وشمسه وقمره وليله ونهاره وبأن له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول وعرفوا به الحسن من القبيح وأن الظلمة في الجهل وأن النور في العلم فهذا ما دلهم عليه العقل . قيل له : « فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره ؟ » قال : « إن العاقل لدلالة عقلة الذي جعله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية فلم يجد عقله يدله على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلا به »[1] .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : « لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا » .

وروي عن الكاظم (ع) أنه قال : « لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن امقت عبيدي إلى الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وأن أحب عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء » .

---

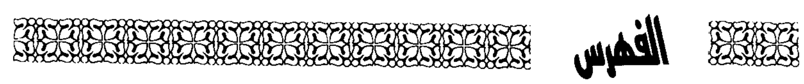
(١) الكافي (ج ١، ص ٢٩) ورواه الصدوق في التوحيد عن الكليني (قده).

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : « إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون » ، وقال : « قال رسول الله (ص) : اف لرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر ديمنه فيتعاهده ويسأل عن دينه » . وقال (ع) : « العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً » .

وقال : قال رسول الله (ص) : « من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح » .

وقال (ع) : الناس ثلاثة : « عالم ومتعلم وغثاء » .

هذا والحمد لله رب العالمين على كل حال والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين تم الفراغ منه يوم السابع عشر من رجب الأصب ١٤١١ هـ ق ، في جوار السيدة الطاهرة فاطمة المعصومة بقم المقدسة . بيد العبد الاثم محمد بن الحاج حميد سند البحراني عفا الله عنهما .



الفهرس



(الفصل الأول)

الموضوع .... الصفحة

(الفصل الثاني)

الموضوع	الصفحة

الموضوع .... الصفحة

(الفصل الثالث)

(الفصل الرابع)

(الخاتمـــة)